حضارة بلاد الشام

المؤلف

د. محمد علي

إعداد

د. منى سعد المشكلط



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

علي محمد .

حضارة بلاد الشام| ...محمد علي.

- القاهرة. مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٦م، ١٩٢ ص؛ ٢٥سم.

١- تاريخ الشام

أ- العنوان ٩٣٢

رقم الإيداع : ٢٠١٦/٤٩٨٤

الترقيم الدولى :٧-٠٦-٦٥٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى: ٢٠١٦م



القاهرة : ميدان حليم. خلف بنك فيصل(الفرع الرئيسي) شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا

ت: 27877574/ 0100104115/ 0100004046/ 0129961635

Email:tokoboko_5@yahoo.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة يوسف: ١١١

كانت « بلاد الشام » على الدوام بالنسبة للعرب – قبل الإسلام وفي فجره – هي المنطقة الواقعة إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية بإستثناء الزاوية الشمالية التابعة « لأهل المصرَين: البصرة والكوفة » .

لقد كانت لطبيعة وجغرافية بلاد الشام بالإضافة إلى موقعها المتوسط بين دول الشرق الأوسط أثر كبير على تاريخها؛ فقد كانت منذ زمنٍ بعيد تقوم بدَور الوسيط بين الحضارات النهرية الكبرى: حضارة الرافدين وحضارة وادي النيل، وبين الحضارات البحرية التي كانت تتخذ البحر المتوسط طريقاً لها، كالحضارة اليونانية. ولم يكن هذا الموقع الجغرافي مسؤولاً عن دور الوسيط الذي لعبته فحسب، بل كان مسؤولاً عن مزاجها الحضاري، فقد كانت في موقع وسط بين العالم السامي من ناحية، وبين العالم الإيجي من ناحية أخرى، كما أنها كانت متأثرة بآسيا الصغرى وحضاراتها المختلفة. وكان لموقع بلاد الشام أكبر الأثر في عبور كثير من الهجرات خلال فترات التاريخ المختلفة؛ فقد عبرته كل الطرق البرية بين البحر المتوسط والخليج الفارسي عن طريق ممرات طبيعية خاصة هيّأتها الطبيعة حيث عُرِفت سوريا باسم المعبر السوري.

ونظراً لأهمية هذه الحضارة بين حضارات العالم القديم فقد قدم المؤلف هذا الكتاب في شكل بانوراما من خلال نظرة عامة مختصرة لأسباب نشأتها ومظاهرها. وقد راعى أن يكون العرض مبسطاً ليتناسب مع كافة مستويات القراء .

راجياً من المولى عز وجل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون نافعاً لكل من يقرأه .

ويهدي هذا المُؤَلَّف إلى أرواح شهداء ليبيا الأبرار، وإلى روح أبيه الطاهرة، وإلى أبناء عمومته في ليبيا ومصر .

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة هود: ٤٩

صدق الله العظيم

المُؤلف

د. محمد علي

تمهيد

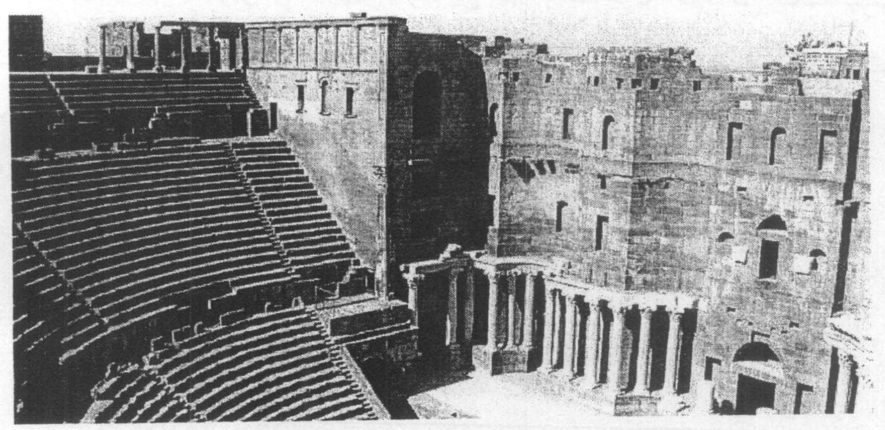
إنّ حضارة بلاد الشّام تشمل جميع الحضارات التي قامت عبر التاريخ في بلاد الشام التي تمتدّ من الجهة الغربية أي من سواحل البحر الأبيض المتوسّط، لتصل إلى الجهة الشرقيّة أي ما يعرف بالجزيرة السّورية، حيث تعاقبت حضارات كثيرة في هذه المنطقة من بلاد الشّام والتي تعرف بسوريا القديمة؛ ومن أهمّ هذه الحضارات (الآراميّة – الفينيقيّة – الكنعانيّة – الآشوريّة – الأكاديّة .. وغيرها) .

في عام ٢٥٠٠ ق.م هاجر كلّ من الكنعانيّين والأموريين؛ حيث استوطنوا جنوب بلاد الشّام، وبسبب الاختلاف بين الشعوب؛ فإنّ الأموريّون قد تأثّروا بحضارة السومريّين التي كانت سائدة في المناطق الداخليّة لسوريا وأيضاً في مناطق ما بين النهرين، وكذلك تأثّروا بحضارة الأكاديين، وكذلك كانت الدولة البابلية أمورية. بينما استقر الكنعانيّين في فلسطين خاصّة على سواحل بلاد الشّام. وقد قام اليونانيّين بإطلاق اسم (فينيقيا) على ساحل بلاد الشّام وتحديداً الجزء المتوسّط والشمالي منه، وأطلقوا بالتالي اسم (الفينيقيّين) على سكّان هذا الساحل وهم السوريين والفلسطينيّين واللبنانيين؛ والذين هم الكنعانيون. لم يكن الكنعانيون يفضلون الحروب ولكنهم كانوا يخوضونها فقط من أجل الدفاع عن أنفسهم؛ حيث بنوا عدّة ممالك؛ أهمّها: (حبرون، وطرطوس، ويبوس، وبيروت، وارواد، وصيدون، وبيسان، ومدين، وحيفا، وعكا، وصور) وغيرها.

وبالرغم من أنّ الآشوريون كانوا قد تمكّنوا من بسط سيطرتهم على الحكم في سوريا؛ إلاّ أنّ الآراميون استطاعوا هزيمتهم، وضمّوا بلاد الآشوريين إلى حكمهم

وأراضيهم؛ حيث حقّقوا الكثير من الازدهار لمملكتهم في ظل استقرار حكمهم الطويلة.

إنّ الحضارة القديمة لبلاد الشام كانت تولي أهميّة كبيرة في الكتابة والمكتبات، حيث وُجدت آلاف المخطوطات والرقم المكتوبة والوثائق في حضارة مملكة إيبلا أو ما تعرف بـ (تل مرديخ) والتي تقع في شمال سوريا؛ حيث نجد وثائق عن صياغة العقود التجاريّة، وأيضاً المعاملات المختصّة بأمور الزراعة. وقد وجد في بلاد الشّام أول أبجدية في التاريخ عرفت بـ (أبجدية رأس شمرا)؛ التابعة لمنطقة أوغاريت في سوريا؛ منقوشة على ألواح حجرية في الكتابة المسماريّة التي تبلغ أعداد حروفها ثلاثين حرفاً. وتبيّن الدراسات ما كانت تتمتّع به هذه المنطقة من مركزٍ تجاريّ هامٍ، إضافة لعدّة مناطق كمدينة جبيل التي تعرف بـ'بيبلوس' قديماً؛ حيث كانت لها علاقات مع باقي الحضارات وخاصّة المصرية؛ تتّصف بالمتانة. ولا نغالي إذا قلنا بأنّ الفينيقيّين هم الأكثر تفوّقاً بين الحضارات التي عرفت بالصناعات النسيجيّة من صوفية وقطنيّة وأيضاً الأقمشة، وخاصة اللون الأرجواني والذي يعني كلمة الفينيق التي نسبوا لها، ولا يغيب عن البال بأنّ الفينيقيّين هم أول من ركب البحر، وتفوّقوا في الصناعات الزجاجيّة.



الفصل الأول

حضارات بلاد الشام

تشمل حضارة بلاد الشام الحضارات التي قامت منذ فجر التاريخ في المنطقة الممتدة من ساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً حتى منطقة الجزيرة السورية شرقاً؛ وقد شهدت بعضاً من أقدم وأهم الحضارات على وجه المعمورة، كما دلت على ذلك الاكتشافات الأثرية الهائلة التي يعود بعضها إلى ما يزيد عن ثمانية آلاف عام قبل الميلاد. فلا تكاد تخلو منطقة من مناطق سوريا من المواقع الأثرية التي تعود إلى فترات زمنية مختلفة والتي يزيد عددها على ٤٥٠٠ موقع أثري هام. ومن الحضارات القديمة الكثيرة التي قامت على أرضها: الآراميون، الفينيقيون، الكنعانيون، بالإضافة للحضارات التي تقاطعت وازدهرت في سوريا القديمة؛ وتشمل حضارات عديدة شملت المنطقة بالكامل في بلاد الشام وسوريا الداخلية ومنطقة الجزيرة السورية والأناضول وبلاد الرافدين؛ وهي تشترك ما بين جزء من بلاد الشام (سوريا)، والبلاد المجاورة في شمال سوريا (تركيا)، وجنوب شرق سوريا (العراق). ومن الحضارات التي قامت في سوريا الداخلية : الحضارة السومرية والبابلية والأكادية والآشورية والحيثية والأمورية والحورية والميتانية.

بلاد الشام عبر التاريخ :

- حضارات سوريا القديمة والجزيرة ٥٥٠٠ ق. م – ٣٠٠٠ ق. م
- السومريون (كامل سوريا) ٢١٣٠——١٢٥٠ ق. م

- الاكاديون (شرق وشمال) ٢٢٥٠ - ٢٢٠٠ ق. م
- الأموريون (العموريون) ٢٢٠٠ - ١٨٨٠ ق. م
- البابليون (شرق سوريا) ٣٥٠٠ ق. م - ٢٦٥٠ ق. م
- الآراميون ١٨٠٠ - ٧٩٥ ق. م
- الآشوريون (مناطق من شرق سوريا) ١٠٥٠ - ٦٠٠ ق. م
- الفرس ٥٥٠ - ٣٣٢ ق. م
- اليونان ٣٣٢ - ٦٣ ق. م
- الرومان ٦٣ ق. م- ٦٣٦ م

* ما قبل التاريخ :

تعود بدايات الاستيطان في سوريا إلى أولى فترات الاستيطان البشري في العصر الحجري ما قبل الفخاري.

* التاريخ القديم (الحضارات السامية القديمة) :

يعتبر علماء الآثار بلاد الشام مركزاً لإحدى أقدم الحضارات على وجه الأرض. فهنا كانت بداية الاستيطان البشري وتخطيط أولى المدن واكتشاف الزراعة وتدجين الحيوانات ومعرفة وتطور الأبجدية هنا اكتشف (المنجل الأول والمحراث الأول). هنا قامت المدن الأولى في التاريخ، مثل المملكة الأثرية إيبلا في شمال سوريا بنت امبراطورية امتدت من البحر الأحمر جنوباً حتى تركيا شمالاً وحتى الفرات شرقاً مستمرة من عام ٢٥٠٠ إلى ٢٤٠٠ قبل الميلاد. كما أنها ضمت العديد من الحضارات والمدن والممالك مثل مملكة ماري، وأوغاريت، ورماميتا، والبارة، ودورا أوربوس، وسرجيلا، وكرك بيزة، وجرارة، وقاطورة، وعين دارة،

وشمس، وباصوفان، والنبي هوري، وأرواد، وقطنا، وشهبا/فيليبولس، وقنوات، وصلخد، وأفاميا، وحمو كار، وبعودة، والمنارة، وتوتال، ودير سنبل، وإيمار، والدانا، وسرمدا وغيرها العشرات من المدن.

إن كثرة الحضارات التي قامت وتقاطعت فوق أرض بلاد الشام بالإضافة إلى الغنى الكبير للمواقع التاريخية التي تعود لكافة العصور والحضارات تجعلها مدخل وبوابة للتاريخ، فقد قامت على أرضها حضارات كثيرة وسكنها شعوب شتى يمكن تعدادها على الترتيب: السومريون، الأكاديون، الكلدان، الكنعانيون، الآراميون، الحيثيون، البابليون، الفرس، الإغريق، الرومان، النبطيون، البيزنطيون، العرب، وجزئياً الصليبيون، وأخيراً كانت تحت سيطرة الأتراك العثمانيون.

*** حضارة إبلا :** (بالعربية القديمة: عُبيل) مدينة أثرية سورية قديمة كانت حاضرة ومملكة عريقة يقال أن ظهورها يعود إلى ٣٠٠٠ ق.م. وبدأت ببناء حضارتها عن طريق التجارة مع السومريين والأكاديين حيث ازدهرت في شمال غرب سوريا وبسطت نفوذها على المناطق الواقعة بين هضبة الأناضول شمالاً وشبه جزيرة سيناء جنوباً، ووادي الفرات شرقاً وساحل المتوسط غرباً. كشفت عنها بعثة أثرية إيطالية من جامعة روما يرأسها عالم الآثار باولو ماتييه كانت تتولى التنقيب في موقع تل مرديخ قرب بلدة سراقب محافظة إدلب السورية على مسافة نحو ٥٥ كم جنوب غرب حلب في سوريا. انتهت امبراطورية إبلا بسيطرة سارجون الأكادي عليها حوالي ٢٢٦٠ ق.م، لكن الأموريين استعادوا المدينة بعد عدة قرون، وازدهرت مجدداً في بدايات الألفية الثانية قبل الميلاد وبقيت إلى حين قيام الحيثيين. لقد اكتشف في مملكة إبلا في أول غرسة زيتون تعود لعام ٢٢٠٠ ق.م. وتعد سوريا الموطن الأول لشجرة الزيتون. اكتشفت آثار إبلا في عام ١٩٧٥

بواسطة بعثة أثرية إيطالية من جامعة روما برئاسة **Paolo Matthiae**. وعثر في الموقع على أرشيف يحوي حوالي ١٥.٠٠٠ لوحاً مسمارياً يقدر أنها تعود إلى ٢٢٥٠ ق.م ومكتوبة بخط مسماري مشتق من الخط المسماري السومري ولكن اللغة هي لغة سامية غير معروفة سابقا تعرف الآن بلغة إبلا، وهي من أقدم اللغات السامية المعروفة ومرتبطة بشكل وثيق بما أطلق عليه **Gelb** الأكدية القديمة.

* **مملكة ماري** : (قرب البوكمال) على نهر الفرات في سوريا، هي إحدى الممالك السورية القديمة التي ازدهرت في الألف الثالث قبل الميلاد. وذكر علماء الآثار والمراجع التاريخية والباحثون أن حضارة مزدهرة أنارت بتطورها وقوانينها وتجارتها العالم القديم هي مملكة ماري التي قامت في سوريا حوالي عام ٢٩٠٠ق.م. والتي سكنها قبل عام ٢٥٠٠ ق.م. أقوام أكادية سومرية وكان تأسيس هذه المملكة عن طريق سلطة اجتماعية وسياسية ملكية كان لها حضور قوي وموقع دعم في المنطقة على نهر الفرات في سوريا، فقامت حضارة عريقة متأصلة ارتقت بين الحضارات هي ماري. وكانت حضارتها تشبه حضارة السومريين فقد ازدهرت ازدهاراً عظيماً وسيطرت على طرق المواصلات التي تصل الخليج العربي بسوريا والأناضول قرابة قرنين (١٧٥٠ : ١٩٥٠) ق.م. لكن حمورابي بعدما سيطر على جنوبي ما بين النهرين كله سار بجيشه نحو مملكة ماري فأخضعها لحكمه .

◄ مدينة ماري : تقع على نهر الفرات على مسافة ١١ كم شمال شرق البوكمال فهي مدينة سومرية قديمة أصلاً، ويعتقد أنها كانت مأهولة منذ الألف الخامسة قبل الميلاد. عثر في المدينة التي اكتشفت في ثلاثينات القرن العشرين بواسطة بعثة فرنسية على أكثر من ٢٥.٠٠٠ لوحا مسمارياً مكتوباً بالأكدية القديمة حسب

تقسيم Gelb، والخط المستخدم في كتابة الأكدية القديمة -كما هو ذاك المستخدم في كتابة لغة إبلا- هو خط مشتق من الخط السومري ويتميز عن الخطوط الأكدية السرجونية و(البابلية-الآشورية) باعتماده الكبير جداً على اللوغوغرامات السومرية مما يجعل قراءته عسيرة للغاية. وكان لمدينة ماري عاصمة المملكة دوراً هاماً في الطريق التجاري الذي يتبع مسلك الفرات في سوريا الداخلية. ويعتقد أن الخارطة الجغرافية المتغيرة للمنطقة آنذاك حفزت نشوء كثير من المدن الجديدة في سوريا امتداداً من الساحل إلى الداخل وفي بلاد الجزيرة السورية وما بين النهرين، فكانت ماري ميناء على نهر الفرات ترتبط مع النهر بقناة مجهزة للملاحة النهرية واستقبال المراكب والسفن التجارية، وبالتالي أصبحت مارى صلة الوصل بين الطرفين فهي تتوسط المسافة بينهم، فقامت وازدهرت حضارة من أهم الحضارات القديمة؛ لذلك اعتني بعاصمة المملكة وهي مدينة ماري ومرافقها لتكون أحد أهم الحضارات المتطورة.

ملحوظة : بعد نشوء مملكة أكد في جنوب ما بين النهرين في القرن ٢٣ قبل الميلاد على يد سرجون أكد تم غزو وتدمير مدينتي ماري وإبلا.

*** أوغاريت** : (بالإنجليزية: **Ugarit**) هي مملكة قديمة أثرية تقع أطلالها في موقع رأس شمرا تتبع محافظة اللاذقية في سوريا على مسافة ١٢ كم إلى الشمال من مدينة اللاذقية على ساحل البحر المتوسط. وقد بينت الحفريات أن موقع رأس شمرا يشمل على حوالي ٢٠ سوية أثرية (استيطان) تعود حتى العام ٧٥٠٠ ق.م. إلا أنه مع حلول الألف الثاني قبل الميلاد تضخم الاستيطان في الموقع لتتشكل ما عرف باسم أوغاريت. هذا الاسم الذي كان معروفاً قبل اكتشافها- صدفة في العام ١٩٢٨ م- من خلال ذكرها في نصوص مملكة ماري، حيث تذكر

النصوص زيارة الملك زميري ليم في العام ١٧٦٥ ق.م لأوغاريت، من رقيم آخر عثر عليه أيضاً في وثائق ماري، وهو عبارة عن رسالة من ملك أوغاريت إلى ملك يمحاض بعاصمتها حلب؛ يرجوه فيها أن يطلب من ملك ماري (مملكة ماري على نهر الفرات في سوريا) أن يسمح له بزيارة قصر ماري الذي كان ذائع الصيت في ذلك الوقت، وإن دل هذا على حرص أوغاريت على إقامة علاقات طيبة مع ملك ماري فإنه يدل في نفس الوقت بأنه يحرص أن تكون هذه العلاقة عن طريق وبمعرفة ملك يمحاض القوي. وكذلك ورد ذكر أوغاريت في النصوص الحيثية المكتشفة في الأناضول وسوريا ورسائل تل العمارنة المكتشفة في مصر. وتبين من الحفريات أن أوغاريت كانت عاصمة لمملكة بلغت مساحتها ٥٤٢٥ كم مربع تقريباً في القرنين الخامس عشر والثاني عشر قبل الميلاد، وهي فترة ازدهار المملكة. وفيها تم العثور على أقدم أبجدية عرفها التاريخ. حيث يعد اختراع الحروف الأبجدية المعروفة بالكتابة الكنعانية القديمة أعظم الاختراعات والتي اشتقت منها أبجدية أوغاريت السورية التي تعد أقدم وأكمل الأبجديات .

أ ب ج خ د هـ

و ز ح ط ي ك

ش ل م ذ ن ظ

س ع ف ص ق ر

ث غ ت ئ ؤ س2

أبجدية أوغاريت

في العصر السوري الوسيط أي في الألف الثاني قبل الميلاد كان شمال سوريا مسرحاً للميتانيين ثم الحيثيّن، وهم من أصول غير سامية، وكانوا في نزاع مع النفوذ المصري. حتى إذا جاء تحتمس الثالث استطاع التغلب في قادش (تل النبي مندو) على الحيثيّن. وجرى تقاسم النفوذ في سوريا، فأصبح الشمال تحت النفوذ الميتاني، ولكن الحيثيّن تمكنوا من التغلب على الميتانيين واحتلوا مكانهم. فتصدى لهم المصريون الذين شنوا معركة قادش الثانية بقيادة رمسيس الثاني ضد الحيثيّن بقيادة مواتاليش ولقد أبانت ألواح أوغاريت أن شعوب البحر المتوسط قد أتت نهائياً على نفوذ الحيثيّن الذين تركوا في موقع عين دارة آثارهم الرائعة، وتعود حضارة أوغاريت إلى هذه الحقبة، وكانت زاهرة بفضل تجارتها الواسعة وأسطولها وبفضل الاحتكاك مع ثقافات أخرى، حيثية ومصرية وايجية، ولقد اكتشفت هذه الحاضرة منذ عام ١٩٢٨، كما تم اكتشاف مرفأ المينا البيضا بالقرب من اللاذقية. وفي المدينة حي سكني وقصر ملكي، وإلى الغرب معبد بعل، ومنطقة تجارية وصناعية تنتج المعادن الثمينة والمنسوجات. ويعد رأس ابن هاني امتداداً لها. ونستطيع أن نضيف مدينة إيمار مسكنة إلى قائمة الحواضر التي ازدهرت في العصر السوري الوسيط، وكانت إيمار مرفأ على الفرات استطاع أن يتوسط التجارة بين ماري والساحل السوري.

كما ذكرنا سلفاً أنه خلال الألفية الثالثة والثانية قبل الميلاد؛ قامت في بلاد الشام حضارات كثيرة منها: حضارة الكنعانيين، الأموريين، الفينيقيين، الأراميين. حيث حكم الكنعانيون معظم المناطق السورية. أما الفينيقيون فقد استوطنوا على امتداد الساحل السوري مؤسسين امبراطورية بحرية في منطقة غرب سوريا. وامتدت ممالك الأراميين في معظم أنحاء بلاد الشام.

* الكنعانيون :

هاجر الكنعانيون مع الأموريين حوالي ٢٥٠٠ ق.م. لكنهم استوطنوا سوريا الجنوبية، وانتشروا في بعض مناطق سوريا الداخلية وبلاد ما بين النهرين. حيث تأثروا بالحضارة الأكادية، وكذلك بالحضارة المصرية وحضارة مغرب البحر المتوسط. وانتشر الكنعانيون على طول ساحل بلاد الشام وتمركزوا في فلسطين .

أطلق اليونانيون اسم فينيقيا المشتق من فينيقيين أي الأحمر الأرجواني على القسم المتوسط والشمالي من ساحل بلاد الشام، كما أنهم أول من أطلق اسم الفينيقيين منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد على الكنعانيين سكان هذا الساحل الذين بادلوهم التجارة على شاطيء المتوسط (الشاطئ اللبناني السوري اليوم) .أما الكنعانيون (سكان فلسطين) فقد رفضوا تبديل اسمهم على الرغم من الشهرة التي اكتسبها الفينيقيون عبر البحار. والكنعانيون مسالمون بطبيعتهم لا يرغبون في الحرب إلا دفاعاً عن النفس، فاستفاد قوم موسى من ذلك، ومن المنازعات بين المدن الكنعانية فأخذوا في الاستيلاء الساحل الجنوبي لسوريا وفلسطين تدريجياً حتى بسطوا نفوذهم على كامل الساحل السورى .

* الفينيقيون (كنعانيو الساحل) :

الفينيقيون هم أول الشعوب البحرية وكانت لهم صولاتهم وجولاتهم في البحر المتوسط . فقد أملت عليهم طبيعة المنطقة التي سكنوها أن ينظروا إلى البحار، لأن السهل الساحلي ضيق حيث شكلت الجبال سداً بين المنطقة الساحلية والمناطق الداخلية لذلك صنعوا سفنهم وركبوا البحر للتجارة فيه، ومن أهم مدنهم أوغاريت (رأس شمرا) في سوريا الذي نقب فيها منذ عام ١٩٢٩ كلودشيفر. وتبين أنها كانت مركزاً تجارياً هاماً. فيها اكتشفت أبجدية يرجع عهدها

إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، مكتوبة بالمسمارية وتضم ثلاثين حرفاً، وبلغت أوج ازدهارها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وكذلك مدينة جبيل (بيبلوس) التي كانت علاقتها مع مصر متينة؛ حتى عُدّت من أتباع الفراعنة. وصيدون سيدة الساحل الفينيقي ما بين (١٥٠٠ : ١٢٠٠) ق.م. فقد سيطر تجار صيدون على قبرص الغنية بالنحاس، ورودس وعدداً من بحر إيجه؛ حيث الرخام والكبريت والذهب والأرجوان. وجزيرة ارواد مقابل طرطوس التي كان لها أسطولها البحري وسيطرت على جزء من الساحل الفينيقي الشمالي، وكان أسطولها وسفنها ومراكبها تجوب البحر وتبسط سيطرتها. أما مدينة صور التي أصبحت زعيمة المدن الفينيقية من ١٠٠٠ إلى ٥٠٠ ق.م. فكانت مراكبهم تجوب البحر الأحمر، حتى وصلت إلى الهند وعادت محملة بالتوابل والذهب والأحجار الثمينة، ووصلوا في تجارتهم إلى إنجلترا. والفينيقيون هم الذين أسسوا مدينة قرطاجة في تونس حوالي عام ٨٠٤ق.م. والتي تبعت صور ولكنها أشرفت على بقية المراكز في غربي المتوسط وكانت ترسل في كل سنة بعثة إلى معبد ملقارت إله معبد صور، وتقدم إليه عُشر وارداتها. وقد ازدادت أهمية قرطاجة بعد سقوط صور بيد الكلدانيين. إذ انتقل إليها التجار الصوريون، ولما بدأت الدولة الرومانية بالتوسع اصطدمت بقرطاجة وببطلها الأسطوري هانيبال. الذي غزا إيطاليا نفسها بعد حروب البونية الشهيرة. والتي انتهت في آخر الأمر باستيلاء الرومان على قرطاجة عام ١٤٦ ق.م. فحرقوها ودمروها تماماً.

* الأراميون :

في نهاية النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ابتدأ ظهور الآراميين في سوريا، وبعد أن تم استقرارهم انتشروا في أنحاء واسعة مشكلين ممالك

متجانسة في اللغة والحضارة والعقيدة. يعتبر الآراميون أول الشعوب العربية القديمة التي هاجرت من الجزيرة العربية باتجاه سوريا منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وذلك حوالي ٢٥٠٠ ق.م. فانتشروا في أواسطها وشمالها وشرقها. واستوطنوا أجزاء من المنطقة الوسطى والشرقية من سوريا، ثم تسرب قسم منهم إلى الشمال وجنوب بلاد الرافدين فاصطدموا بالآشوريين. وأسسوا عدة ممالك ومدن في كافة البلاد السورية وتحديداً في سوريا الداخلية من أشهرها: يمحاض وكانت عاصمتها مدينة حلب ومن أشهر ملوكها يارم ليم وابنه حمورابي مُعاصر حمورابي ملك بابل، ومملكة آسين التي تأسست في بلاد ما بين النهرين (الجزيرة السورية). ومن ممالكهم أيضاً : مملكة بيت عدن وعاصمتها تل برسيب (على نهر الفرات حالياً) وامتدت إلى البليخ شرقاً ومنابع الساجور في الشمال الغربي. وبقيت حتى حوالي ١٠٠٠ ق.م. ومملكة بيت بخياتي أو آرام النهرين، وعاصمتها جوزانا، وكانت في سفوح جبال الأمانوس الشمالية، وكانت تسمى (بعودي)، أيضاً مملكة حماة ومملكة دمشق.

وفي سنة ٧٤٥ ق.م اجتاح تيجلات بيلاسر الثالث أحد ملوك الآشوريين الجبابرة القساة الممالك الآرامية وهزمها، ولما عادت إلى التحالف تحت زعامة مملكة حماه هزمهم سرجون الثاني في معركة قرقر الثانية عام ٧٢٠ق.م. فوطد حكم الآشوريين في سوريا.

*الممالك الآرامية :

- مملكة فدان آرام وعاصمتها حران.
- مملكة أرام النهرين بين الفرات والخابور.
- مملكة بت بخياني وعاصمتها غوزانا على نهر الخابور.

- مملكة بت عديني وعاصمتها تل بارسيب في الجزيرة السورية.
- مملكة بت اغوشي وعاصمتها أرفاد تل رفعت شمال حلب.
- مملكة سمآل في جبال الامونوس شمال غرب سوريا.
- مملكة آرام حماة وعاصمتها حماة.
- مملكة آرام معكا في الجولان.
- مملكة صوبا في سهل البقاع.
- مملكة حبشور جنوب دمشق حتى نهر اليرموك.
- مملكة آرام دمشق وعاصمتها دمشق.

* انجازات حضارات بلاد الشام :

• اختراع الأبجدية (أبجدية أوغاريت السورية) التي تعد أقدم وأكمل الأبجديات وتتألف من ٣٠ حرفاً صوتياً لم تكن معروفة قبل أوغاريت وهي أقدم الحضارات في سوريا. نشروا هذه الأبجدية ليس فقط في بلاد الشام والساحل السوري بل في المناطق التي حكموها كلها بلاد عيلام والأناضول حتى جزيرة قبرص وجزيرة ديلمون أو جنة ديلمون البحرين حالياً.



أول أبجدية في العالم وتتكون من ثلاثين حرفاً رأس شمرا

- اعتنى الكنعانيون بالزراعة وخاصة زراعة الكروم والتين والزيتون وعرفوا بعض الأدوات لدرس الحبوب والتي طحنوها في مطاحن تدار باليد واستعملوا وزنات من الفضة بدلاً من النقود.

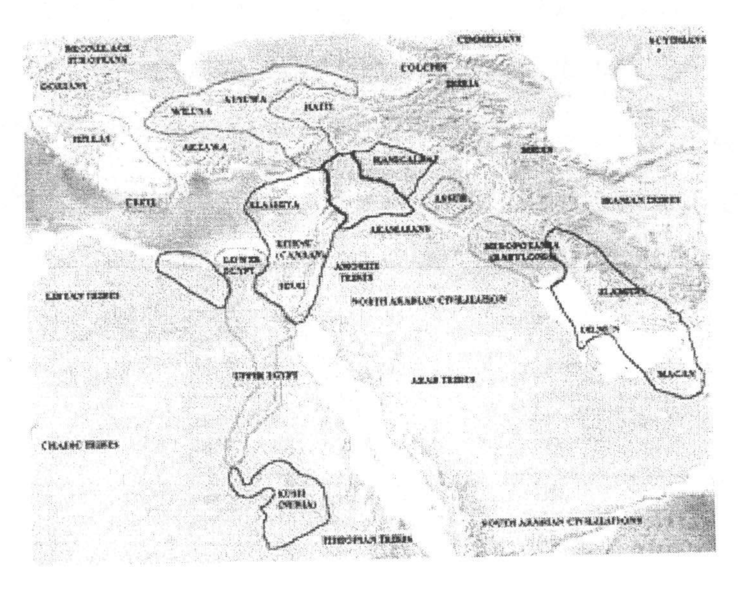
- تفوق الفينيقيون في صناعة الزجاج والنسيج الصوفي والقطني وصباغة الأقمشة بالأرجْوان وهم من أول الشعوب البحرية في التاريخ. ارتقى فن الملاحة بسبب هذه التجارة الواسعة النشيطة حتى استطاع أدِلّاء السفن الفينيقية الإبحار ليلاً مسترشدين بالنجم القطبي أو النجم الفينيقي كما كان يسميه اليونانيون، وطافوا حول القارة الأفريقية واكتشفوا رأس الرجاء الصالح قبل 'فاسكودي جاما' بألفي عام. وكما يقول 'ديورانت' في «قصة الحضارة»: "ربطوا الشرق بالغرب من سواحل سوريا إلى سواحل المتوسط بشبكة من الروابط التجارية والثقافية وشرعوا ينتشلون أوروبا من براثن الهمجية".

- أهم مكتبات التاريخ القديم وأكبرها في حضارة (مملكة إبلا) تل مرديخ الواقعة شمال سوريا والتي وجد بها آلاف الرقم والمخطوطات في كافة نواحي الحياة المدنية والإدارية والقوانين ووثائق التملك والعقود والمعاملات التجارية والزراعة وغيرها.

الفصل الأول

الحضارة الكنعانية

كنعان هي منطقة تاريخية سامية اللغة في الشرق الأدنى القديم تشمل اليوم فلسطين ولبنان والأجزاء الغربية من الأردن وسوريا. و كانت المنطقة مهمة سياسياً في العصر البرونزي المتأخر خلال حقبة العمارنة كون المنطقة كانت محل نزاع الإمبراطورية المصرية والآشوريين. ذُكر الكنعانيون كجماعة إثنية كثيراً في الإنجيل العبري. تم استبدال الاسم "كنعان" بـ"سوريا" عقب سيطرة الإمبراطورية الرومانية على المنطقة. من القرن ٧ ق.م إلى القرن ٤ ق.م أسّس الكنعانيون مستعمرات كنعانية جديدة، امتدّت من غرب البحر الأبيض المتوسط إلى حدود السواحل الأطلسيّة.



* كنعان :

كنعان باللغة الإنجليزية : **Canaan**، وبالعبرية : **כְּנַעַן**، وباليونانية : **Χαναάν**، وباللاتينية : **Canaan**، وبالآرامية : **ܟܢܥܢ**.

تحدث الكنعانيون لغة سامية قريبة من العربية والعبرية، وقد ذُكرت كنعان في الكتاب المقدس على أنها تقع ما بين النهرين وكذلك في النصوص المصرية القديمة. ورغم أن بعض المصادر الحديثة لا تجد أي دليل مادي، فهي ترجح أن الكنعانيين دخلوا الهلال الخصيب من شبه الجزيرة العربية، وهم قوم من العماليق وهناك شعبية لهذه الفرضية أيضاً.

والكنعاني على وجه الإجمال، معتدل القامة، ممتلئ الجسم، عريض الأنف، ضخم الشفتين، بارز الذقن، كثيف الشعر وجلود في الأعمال الشاقة.

◄ التسمية :

لا يعرف على وجه الدقة في تحديد تسمية الكنعانيين بهذا الإسم، ولكن هناك أطروحات تحاول تفسير الاسم، وغالباً فإن التسمية أطلقتها أمم وأقوام أخرى عليهم. وقد اختلف العلماء في تفسير معنى كلمة "كنعان" فبعضهم ذكر أن "كِنَع" أو "خَنَع" كلمة سامية بمعنى على الأرجح "منخفض على الشاطئ" أو "المنطقة المنخفضة" وهو مصطلح قديم لمنطقة الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في فلسطين ولبنان وسوريا، وقد دُعِيَ الكنعانيون باسمهم هذا لنزولهم الأراضي السهلية واستقرارهم فيها تمييزاً لهم عن غيرهم الذين نزلوا الجبال والمرتفعات. والحقيقة أنهم سكنوا الجبال كما استقروا في السهول. أو أن الكنعانيين دُعوا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأول "كنعان" كما هي عادة العرب في تسمية قبائلهم،

فيقولون "بنو مخزوم" و"بنو لَخْم" و"بنو تميم" و"بنو هاشم" و"بنو كنعان"... و"بنو كنعان" هؤلاء كانوا يقيمون في بادئ أمرهم في أرضهم السهلية الواقعة على الساحل الشرقي للخليج العربي. وقد نسبت إليهم وسميت بـ "أرض كنعان". ولما نزحوا منها ونزلوا الشام حملوا معهم اسمهم واسم بلادهم الذي أعطوه لوطنهم الجديد. وبما أن تاريخهم ليس واضحاً تماماً لذا فقد خضع لعدّة نظريات حول أصل تسمية (كنعان) وهي كالتالي :

١- نظرية الاسم الأكدي :

يرى بعض المؤرخين أن الإسم الأكدي (كناجي أو كناخني Kinakhni) والذي ظهر في رسائل تل العمارنة في مصر هو أصل التسمية، وهو اسم أطلقه البابليون، ويعني اللون الأحمر الأرجواني .

٢- نظرية الاسم المصري :

استعمل المصريون منذ عصر الدولة القديمة كلمة (فنخو) للدلالة على شعب من شعوب الشام، ويرى بعض الدارسين أن اللفظة إستخدمها الإغريق وحورت إلى فويفكس (Phoivikes) للدلالة على فينيقيا وفويفيكن Phoivikn للدلالة على الفينيقيين .

٣- نظرية الاسم الكنعاني :

وجد نص الملك أدريمي ملك الالاخ (المملكة الكنعانية - الأمورية) إستخدم فيه الكنعانيون أنفسهم هذا الاسم للإشارة لنفسهم .

٤- نظرية الاسم العبري :

وفق التقسيم الإثني للتوراة، فإن الكنعانيين من نسل حام بن نوح، وعادة

اليهود كانت تنسب كل أعدائهم إلى حام. التسمية أتت من السامية القديمة "كنع" بمعنى منخفض وبالتالي فالكنعانيون سكان الأراضي المنخفضة، وذلك بعكس الآراميين الذين تعود تسميتهم إلى الجزر "رم" بمعنى مرتفع .

٥- نظرية الاسم العربي :

تتماشي هذه النظرية لغويا من معاني تلك العبرية، فالكلمات العربية (خنع) و(قنع) و(كنع) تفيد معاني الإنخفاض والهبوط والتواضع .

٦- نظرية الاسم الحوري :

تقترح هذه النظرية أن اسم كنعان مشتق من كلمة كناجي **Kanaggi** وهي تعني بالحورية الصبغة الأرجوانية أو القرمزية؛ والتي اشتهر الكنعانيون بصناعتها، وقد يكون الحواريون أخذو عن الأكديين تلك التسمية أو العكس.

٧- نظريات أخرى :

يرى بعض المؤرخون أن الهكسوس هو الاسم المصري الذي اطلقوه على الكنعانيين عندما حكموا مصر ولذلك يقال حتى الآن بأن مصر هى أرض الكنانة إشارة إلى حكم سلالة النبى إسماعيل عليه السلام -(حديث ابن عباس "نحن معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثى")- وكنانة من النبط ولفظ نبط كان وصفاً لخروج الماء من زمزم على يد السيدة هاجر.

◄ كنعان في مخطوطات بلاد ما بين النهرين :

بعض كتبة المادة الإبلوية (سنة ٢٣٥٠ ق.م.)، في محفوظات تل مردخ ، يرون في المصادر القديمة الإسم الإثني "غا - نا - نا" كبديل لكلمة كنعان ، والتي تعطي بذلك مصادر تعود للألفية الثالثة قبل الميلاد.

ذكرت كلمة كنعان في مخطوطة تعود للقرن الثامن عشر قبل الميلاد وجدت في آثار ماري (مركز سومري سابق في سوريا يقع في وسط نهر الفرات) . في تلك الحقبة كانت كنعان كتلة سياسية خاصة (من الأرجح تجمع لدويلات). توجد رسالة من ذلك الوقت حيث يشتكى من بعض "اللصوص و الكنعانيين (أو كيناهو)" يسببون المشاكل في قرية راهيسوم .

في ألواح وجدت في مدينة نوزي جنوب شرق كركوك تستعمل كلمة "كيناهنو" (كنعان) كمرادف للصبغة الأرجوانية التي كانت تصنع من صدف الموركس في ساحل البحر الأبيض المتوسط (مادة تصدير هامة بالنسبة للكنعانيين). الصبغة سميت على اسم المكان الذي استخرج منه هذه المادة. وكلمة فينيقيا مرتبطة بالكلمة اليونانية "أرجوان" ولكن لا يوجد تأكيد على ما إذا كانت الكلمة اليونانية تأتي من الإسم أو العكس. اللباس الأرجواني في مدينة صور في لبنان كان يعرف لأهميته ورمزيته الملكية.

* تاريخ الكنعانيين :

وجد علماء الآثار في مختلف المناطق الكنعانية؛ وأبرزها مدينة أوغاريت الكنعانية التي اكتشفت في سوريا في عام ١٩٢٨، الكثير من المعلومات الحديثة عن الكنعانيين خلال التنقيب.

الأصول الكنعانية :

ينتمي الكنعانيون إلى عائلة الشعوب السامية، وقد استقر الكنعانيون في جنوب سوريا وفلسطين وسيطروا عليها سيطرة تامّة، حتى أنها عرفت باسم أرض كنعان أو بلاد كنعان. ويعتبرهم مؤرخو العرب القدامى من العماليق، هم من

الشعوب في مناطق جنوب سوريا وكذلك هناك ساحل في منطقة عُمان جنوب الجزيرة العربية يعرف باسم كنعان.

هناك عدّة نظريات حول أصل موطن الكنعانيين، ومن أشهر النظريات، بعض المؤرخين كـ"خزعل الماجدي" هي أن الكنعانيين من أكبر الموجات المهاجرة التي خرجت من شبه الجزيرة العربية، لكن يناقضها اكتشافات أن المدن الكنعانية في فلسطين أقدم من المدن الكنعانية في شبه الجزيرة العربية، وخير دليل مدينة أريحا الكنعانية التي هي أقدم مدينة في التاريخ.

وقد أعطى المؤرخون القدماء عدة فرضيات لأصلهم فرأى "سترابو" أن أصل الكنعانين هي سواحل الخليج العربي، وذلك لتشابه أسماء مدن تلك المناطق القديمة مع أسماء المدن الكنعانية في الشام، ويرجح أصحاب هذه النظرية أن تكون تلك الخليجية هي الأقدم وهاجروا إلى منطقة بلاد الشام في العصور القديمة. ويرى ابن تيمية أنهم سكان حران وأن ملوكهم هم النماردة (جمع نمرود).

وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الكنعانيين من أولى الشعوب السامية التي قطنت الشرق الأوسط بعد وصولها من أفريقيا عبر مصر بعد انهيار الحضارة الغسولينية في فلسطين حوالي ٣٣٠٠ ق.م.

وفقاً للتقديرات الموثقة فإن الهجرة (الآمورية – الكنعانية) الشهيرة من الجزيرة العربية قد حدثت في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد غير أن بعض الباحثين يستنتجون أن الكنعانيين كانوا منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد مستندين في ذلك إلى أن اللغة الكنعانية قد ثبت انتشارها منذ أول الألف الثاني قبل الميلاد وذلك من خلال مكتشفات الآثار المصرية، ويذهب باحثون آخرون إلى أبعد من ذلك فيقولون بوجود الكنعانيين ما قبل سبعة آلاف سنة، وذلك من

خلال تتبع الآثار في مدنهم القديمة؛ وأقدمها مدينة أريحا الباقية حتى اليوم؛ وهي تعتبر أقدم مدينة في العالم.

وإن تأرجحت تقديرات البداية الزمنية لوجود الكنعانيين؛ فمما لا خلاف فيه إطلاقاً أنهم كانوا أول من سكن المنطقة من الشعوب المعروفة تاريخياً، وأول من بنى على أرض فلسطين حضارة.

وورد في الكتابات العبرية أن الكنعانيين هم سكان البلاد الأصليون، كما ذُكر في التوراة أنهم الشعب الآموري، ووفقاً للتوراة تمتد كنعان من أوغاريت (رأس شمرا) حتى غزة، وقد عثر على قطعة نقود أثرية كتب عليها "اللاذقية في كنعان".

يذكرنا هذا التشابه بتاريخ الكنعانيين الفينيقيين، فالشعبان شعب واحد في الأساس لغةً وديناً وحضارةً، لكنهما كانا قبائل لم تجمعها رابطة سياسية إلاّ في الأوقات العصيبة لدرء الخطر عنها من الشمال والجنوب .

وقد ورد في أماكن أخرى أن الكنعاني مرادف للفينيقي، والفينيقي مرادف للتاجر، وقد كانت أهم المدن الفينيقية كصيدا وصور وأوغاريت تعرف أيضاً بالمدن الكنعانية، فبلاد كنعان إذاً امتدت تاريخياً على طول الشاطئ، وفي الداخل شملت فلسطين كلها وقسماً كبيراً من سوريا.

والكنعانيون شديدو الصلة بالآموريين. فهما فرعان من قبيلة كبرى واحدة تحركت في هجرة واحدة لا في هجرتين مختلفتين. تعد لغة الآموريين والكنعانيين لهجتين من فروع كتلة اللغة السامية (العربي) السورية. فلهجة الكنعانيين شبيهة بلهجة الآموريين لا تختلف عنها أكثر مما تختلف اللهجات الشامية اليوم – من سوريا ولبنانية وفلسطينية – بعضها عن بعض. ويحلل بعضها أن الآموريين هم

الكنعانيون، والكنعانيين هم الآموريون، إنما كانوا يسمون أولاً بالآموريين، ومع الزمن عرفوا باسم الكنعانيين.

ذكر بعض المؤرخين أنه : في حوالي ٢٢٠٠ ق.م. بدأ تسلل قبائل عربية بدوية من شمالي الجزيرة العربية على نطاق واسع. وقد انتشرت هذه القبائل في سهول سوريا الشمالية الشرقية وقد اتجه بعضها غرباً جنوباً إلى شرق الأرض وتلال القدس وجبال لبنان. أما الذين تاخموا البحر؛ فقد عرفوا بالكنعانيين، ومن الكنعانيين كان الفينيقيون. واتجه البعض الآخر شرقاً جنوباً واكتسحوا بابل، ومنهم كانت سلالة حمورابي الآمورية .

وذكر بعض المؤرخين أن الكنعانيين كانوا في بادئ أمرهم يقطنون سواحل الخليج العربي الغربية، قبل نزوحهم إلى سواحل الشام وفلسطين. وأن سفنهم أبحرت في مياهه قبل أن تنزل في البحر الأبيض المتوسط. فكانوا يتاجرون مع الهند وإيران وسواحل الجزيرة العربية الجنوبية بل وافريقية.

ومن الذين قالوا بهجرة الكنعانيين من الخليج العربي"هيرودوتس – **Herodotus**" (مؤرخ يوناني ٤٨٤ : ٤٢٢ ق.م.) ساح في بلدان الشرق الأدنى. ولما عاد إلى بلاده كتب تاريخ تلك الأقطار نقلاً عن علماء صور الذين ذكروا له ذلك. و" إسترابو "و(إسترابو) الجغرافي الروماني (٦٤ق.م : ١٩م) الذي أشار إلى المقابر الموجودة في جزر البحرين بأنها تشابه مقابر الفنيقيين، وأن سكان هذه الجزر يذكرون أن أسماء جزائرهم ومدنهم هي أسماء فينقية. وقال أيضاً إن في هذه المدن هياكل تشبه الهياكل الفينيقية الشامية.

وقد عثر رجال شركة الأرامكو في الأحساء على مقابر أخرى تشبه بصورة عامة المقابر التي عثر عليها في البحرين، كما عثر الرحالة "جون فلبي" على مثل

هذه المقابر في (الخَرْج) و (الأفلاج) من أعمال نجد. وعلى رأيه وبما كان الفينيقيون من هاتين المنطقتين، حيث هاجروا بعدئذٍ إلى سواحل الخليج العربي.

وفضلاً عما تقدم فهناك أسماء في شرق الجزيرة العربية تحمل نفس أسماء المدن التي أنشأها الفينيقيون على الساحل الشامي. مثل (صور) على ساحل عُمان، و(جُبَيْل) على ساحل الأحساء و أرواد . **Aradus** وهي الاسم القديم لجزيرة المحرّق

وقد زار "نيركس **Nearchus**" أمير البحر عند الإسكندر المقدوني مدينة الشمس (صيدا) على شاطىء الجزيرة العربية الشرقي. ولم يتمكن أحد بعد من تعيين موقع (صيدا) هذه حتى اليوم .

ويُذكَر أن الفنيقيين انطلقوا من البحرين إلى البصرة سالكين طريق الهلال الخصيب إلى الساحل الشامي حيث بنوا مدنهم وأنشأوا حضارتهم الرفيعة التي نشروها في البحر الأبيض المتوسط.

ويرى "فرنسيس لزمان" مؤلف تاريخ الشرق القديم أنهم سلكوا طريق القوافل من القطيف إلى وادي غطفان وجبل طويق في نجد. ثم مروا بالوشم والقصيم فالحناكية. ومنها ساروا في الطريق التي يسلكها الحجاج في كل سنة، حين عودتهم من المدينة إلى دمشق .

ويتتضح من خلال ما أجمع عليه المؤرخون والأثريون أن الفينيقيين مثل العرب ساميون. بل أنهم عرب الأصل. نزحوا من الشواطئ العربية الشرقية على خليج فارس (فارس العربي)، ومن البحرين إلى سواحل البحر المتوسط في قديم الزمان).

ويُستنتج من درس الآثار التي وُجدت في المقبرة القديمة في البحرين أن هجرتهم كانت قبل عهد الشبه، في أواخر العهد الصواني، يوم لم يكن الإنسان يحسن شيئاً من الكتابة. إذ لا كتابة البتة في مقابر البحرين الكنعانية.

وقد ذكر المؤرخ العربي "أبو جرير الطبري" المتوفى عام ٣١٠هـ – ٩٢٢م. الكنعانيين في تاريخه أنهم من العرب البائدة، وأنهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة. وأخذ عنه ابن خلدون وغيره من المؤرخين.

وقال "الطبري" : "عمليق أبو العماليق. كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم "الكنعانيون"، ومنهم كانت الفراعنة بمصر" .وقال أيضاً : "والعماليق قوم عرب لسانهم الذي جلبوا عليه لسان عربي و إن عمليق أول من تكلم بالعربية. فعاد وثمود والعماليق وأُميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب".

وقال "ابن خلدون" عن الكنعانيين : "وأما الكنعانيون الذين ذكر الطبري أنهم من العمالقة، كانوا قد انتشروا ببلاد الشام وملكوها". وقال أيضاً : "أول ملك كان للعرب في الشام فيما علمناه للعمالقة". وقال أيضاً : "وكانت طَسْم والعماليق وأُميم وجاسم يتكلمون بالعربية".

وأما الكنعانيون الذين ذكرهم "سترابون" الجغرافي الروماني (٦٤ ق.م : ١٩م). الذي أشار إلى المقابر الموجودة في جزر البحرين تشابه مقابر الفينيقيين، وأن سكان هذه الجزر يذكرون أن أسماء جزائرهم ومدنهم هي أسماء فينيقية .

إن الرأي السائد بين الذين عنوا بدراسة وفحص هذه المقابر هو أنها مقابر فينيقية، ففي عام ١٨٨٩م جاء "تيودور بنت **Theodore Bent**" – العالم

الإنجليزي – إلى البحرين وأجرى تنقيباً في مقابرها. وبعث بشيء منها إلى المتحف البريطاني. ولما درستها لجنة المتحف قررت أنها من مقابر الفينيقيين وذلك قبل هجرتهم إلى سواحل الشام وفلسطين وقالت أيضاً إن في هذه المدن هياكل تشبه الهياكل الفينيقية الشامية.

وقد جاء في الجزء الثاني من (لغة العرب): ".. والظاهر أنهم (أي الكنعانيين– الفينيقيين) من أصل عربي فقد نقلت التقاليد القديمة أنهم ظعنوا من الديار المجاورة لخليج فارس إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط ".

◄ **تعددت آراء المؤرخين حول أصول الفينيقيين نذكر منها :**

– أن سكان هذه البلاد الآسيوية (سوريا) ساميون، لا يبعد أن يكونوا من مهاجري صحراء العرب، والمعروف أن مثل هذه الهجرة تكررت في العصور التاريخية. ويقال لهؤلاء القوم الحاليين بالجهات الشمالية "الآراميون" وبالجهات الجنوبية "الكنعانيون."

– أن أصل الفينيقيين (الكنعانيين) من سكان البحرين في الخليج العربي. ظعنوا من هناك إلى ساحل الشام منذ نحو خمسة آلاف سنة. وأنهم عرب بأصولهم وأن هناك مدناً فينيقية أسماؤها أسماء فينيقية مثل صور وجبيل.

وعليه فإن الكنعانيين دخلوا بلادنا وهم متقدمون في المدنية، فأخذوا يتابعون نشاطهم ويمارسون حضارتهم على نطاق أوسع من وطنهم الجديد. ونسبة إلى هؤلاء الكنعانيين دُعيت البلاد بأرض كنعان. فكان أقدم اسم سميت به بلادنا. وقد بقيت لهم السيادة والسلطة في البلاد مدة تنوف عن ألف وخمسمائة سنة.

وذلك من نحو ٢٥٠٠ ق.م إلى نحو ١٠٠٠ق.م. حيث تمكن اليهود من إعلان مملكتهم.

* حدود أرض كنعان :

يطلق اسم "أرض كنعان" على سكان الجبال والسهول ومنطقة بئر السبع الواقعة في جنوبي البلاد، والتي كانت تعرف باسم "النجب **Negeb**" – بمعنى الأرض الجافة. ويحدد الإنجيل بالعبرية بأن كنعان تمتد إلى لبنان وتحوي جزءاً من مدينة صيدا الساحلية، وتمتد "أرض كنعان" جنوباً إلى غزة عبر "بروك مصر" وشرقاً إلى نهر الأردن. هذه المنطقة الجنوبية احتوت مجموعات لغوية "عرقية" مختلفة. فمخطوطات تل العمارنة التي وجدت في مصر القديمة، ذكرت كنعان فيما يتعلق بغزة وغيرها من المدن الفينيقية على طول الساحل وإلى الجليل. وهناك أيضاً مصادر مصرية عديدة سابقة ذكرت العديد من الحملات التي نظمت في كنعان داخل آسيا.

ويتضح من مراسلات " تل العمارنة " التي ترجع بتاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، إن المصريين كانوا يطلقون لفظة " كنعان" على جميع السواحل السورية. و"العهد القديم" الذي هو أهم مصدر لنا في هذا الشأن اختلف في تحديد "أرض كنعان " في مختلف أسفاره فتارة يطلقها على الساحل الشامي إلى حدود مصر، وأحياناً يضيف إلى " كنعان" القسم الجبلي وغور الأردن .

وفقاً للمصادر التاريخية كانت حدودها الأصلية مدخل حماة (بمعنى الطريق إلى حماة) شمالي لبنان إلى الشمال وبادية سوريا والعرب إلى الشرق وبادية العرب إلى الجنوب. ولم تمتد إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط في كل الأماكن إلى الغرب لأن الفلسطينيين ما زالوا إلى أن انقرضوا يقطنون ذلك الساحل بوحدة

مستقلة قوية. ولذلك اشتمل على عدد كبير من الممالك المدينية (الآمورية – الكنعانية) المختلفة. فكانت كل منها تسعى لأن تضم أكبر عدد ممكن من الأراضي والقرى المجاورة لها.

وكان لكل من هذه المدن ملكها وحكومتها ومعبودها وكهنتها. وكان الملك في بعض الأحايين، يجمع في شخصه منصبي الحاكم والكاهن الأكبر. يأتمر الجميع بأوامر الملك الذي كان أحياناً يتقيد بمجلس المدينة العام المؤلف من رجال الدين والقضاء والأغنياء والأشراف. وكثيراً ما كانت المدن الكنعانية بيد ملوك صالحين يقضون بالعدل ويحفظون حقوق الأرامل واليتامى. وكان الأبناء أو الإخوة يخلفون آباءهم أو إخوتهم على العرش على الأغلب. وقد ينتقل الملك إلى أسرة أخرى أو تنتزع الإمارة وتسلب نتيجة ثورة عناصر تصبح لها الغلبة وحسن الضرورة كانت تعقد مؤتمرات من المدن الكبرى للتداول في الشئون العامة المشتركة. ولم تكن المدن والإمارات الكنعانية ميّالة بطبيعتها إلى توحيد كلمتها وتحسين إرادتها، بل كان الشقاق سائداً بينها طمعاً في نهب الأمتعة وضم الأراضي إليها.

قال المؤرخ "جورج رولنسون": "ما تأسس حلف من الولايات الفينيقية كلها مرة واحدة، حتى ولا حلف موقت. وما كان يرد إلى الولاية المهددة أي نجدة من الولايات الأخرى شقيقاتها. الانطواء وتضارب المصالح الخاصة، وضعف الحس القومي، كانت كلها تحول دون توحيد الكلمة والعمل في أيام الخطر والشدة، وكانت كل ولاية تسقط وحدها، فتتبعها الولايات الأخرى واحدة واحدة".

مما سبق يتضح أن الفينيقيين ما كانوا ليدركوا معنى التعاون، ولا مالوا يوماً إلى التضامن العام الذي فيه خير القومية الواحدة والوطن. ولنا أن نقول ما كان هناك وطن واحد، ولا حس قومي واحد، حتى ولا إله واحد يجمع شملهم، ويربطهم

برابطة وطنية واحدة. وما عرف أبناء مدنهم المنحدرون من نسل واحد معنى الإخاء القومي، ولا أدركوا مغزى الحياة الوطنية. وقل فوق ذلك أنهم كانوا متعادين في بعض الأحيان، متخاذلين على الدوام. إلا أن هذه الإمارات كانت ولا شك على جانب عظيم من الحضارة والمدنية في أمور أُخرى مما سنذكره في حينه.

والكنعانيون الذين نزلوا الساحل أمام جبل لبنان عُرفوا بعد القرن الثاني عشر أو الحادي عشر قبل الميلاد بالفينيقيين. فالكنعانيون والفينيقيون شعب واحد، نسباً ولغة وديناً وتمدناً، وقد انقسموا إلى قسمين: سكن القسم الأول فلسطين والثاني الساحل الشامي من مصب نهر العاصي إلى جنوبي الكرمل. ومع أن اسم الفينيقيين أصبح أشهر من اسم كنعان عليهم إلا أنهم ظلوا محافظين على نسبهم الكنعاني. وبقوا يسمون أنفسهم كنعانيين ولا يرضون عنه بديلاً. ونظراً لما بين بيئتي القسمين الجغرافيين من الاختلاف لم يتشابها تماماً في حياتهما. فالساحل السوري صيّر من كنعان أمة اشتهرت بملاحتها وخوضها عُباب البحور. وأما فلسطين فلعدم وجود موانئ صالحة على سواحلها، ولتعرضها للغارات المتعددة من قبل الأمم القديمة، اتجه كنعانيوها إلى الأعمال الزراعية وإلى الجبال والقلاع، وأحاطوا مدنهم بأسوار يلتجئون إليها كلما شعروا بقدوم غازٍ أو فاتح جديد.

وحصل الفينيقيون على أكبر نصيب من العمران عن طريق التجارة، كما أن إخوانهم في الجنوب اهتموا بالتغلب على صعوبات الحاجات العمرانية بترفيه حالتهم الاقتصادية على أساس زراعة راقية غنية جداً، اتخذت مثالاً نقلت عنه الأمم الأخرى.

ومما يجدر ذكره، ونحن بصدد الحديث عن الكنعانيين أن ابن خلدون المؤرخ العربي المغربي الكبير وكثير ممن درس تاريخ المغرب يؤكدون بأن الأمازيغ – (أصل وأقدم سكان ليبيا والمغرب العربي كافة) – هم من الكنعانيين. دعوا بذلك نسبة إلى جدهم "مازيغ بن كنعان"، وارتحلوا من ربوع الشام إلى شمالي إفريقية عن طريق مصر. وقد أطلق اللاتينيون، ومن والاهم، اسم "البربر" على الأمازيغ وما زالوا يعرفون به إلى اليوم. وهذا وأن معظم البربر يعتقدون بأنهم مشارقة الأصل. وكان الكنعانيون المغاربة ينقسمون إلى عشائر متعددة وقبائل صغيرة محلية، وكانت حضارتهم كنعانية ترتكز على الزراعة.

وجاء في معجم البلدان/١/٣٦٨: "وإنما هم (أي البربر) من الجبّارين الذين قاتلهم داود وطالوت، وكانت منازلهم ناحية فلسطين، فلما أُخرِجوا من أرض فلسطين أتوا المغرب فتناسلوا به وأقاموا في جباله". وقال مثل ذلك المؤرخ "المسعودي" المتوفى عام ٣٤٦ هـ. وفي تاريخ أبي الفداء (هو الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة. توفي سنة ٧٣٢ هـ) أن الكنعانيين بعد تفرقهم سارت طائفة منهم إلى المغرب .

وفي نحو ١٠٠٠ق.م. نزل كنعانيو الشرق (الفينيقيون) سواحل المغرب العربي واستقروا فيه، وأسسوا مع أبناء عمهم الأمازيغ، أسواقاً لتجارتهم أصبحت فيما بعد مدناً قائمة بذاتها، تمتد على سواحل المملكة المغربية الواقعة على المحيط الأطلسي ونتيجة لهذه المستعمرات أو المدن اختلط كنعانيو المشرق مع كنعانيي المغرب اختلاطاً وثيقاً فانتشرت اللغة الكنعانية بين الأمازيغ الذين اعتنقوا عقائد أبناء عمهم الفينيقيين الدينية وتطبعوا ببعض عاداتهم وتعلموا منهم أصول التجارة والصناعة وغيرها.

وقد أطلق اسم كنعان على المنطقة الساحلية التي تقع بين مصب نهر العاصي شمالاً وحدود المملكة المصرية جنوباً قرب العريش وتضم هذه المنطقة فلسطين وما سمي فيها بعد فينيقية وأما الكنعانيون فيختلف العلماء في أصلهم فمنهم من قال أنهم الأقوام الذين تسللوا بين العموريين في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد ويدعوهم "كلود شيفر" و"كاثلين كنيون" حملة الأطواق ومنهم من قال الأقوام العمورية التي استوطنت في الأراضي المنخفضة من فينيقية وفلسطين، ويقوي الأخذ بالرأي الثاني لأن الدلائل التي تشير إلى أن حملة الأطواق كانوا في الغالب أقواماً حورية لا سامية، وأنهم جاءوا من الشمال لا من الشرق أو الجنوب مهبط الأقوام السامية، والكنعانيون كانوا دون أدنى شك من أصل سامي. والمعلوم أن العموريين الذين جاءوا من الصحراء شنوا في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد حملات كثيرة على المدن الفينيقية والفلسطينية التي ازدهرت في الألف الثالث قبل الميلاد وتدعى حضارتها حضارة العصر البرونزي القديم ودمروها شر تدمير وفتكوا بأهلها وأفنوهم عن بكرة أبيهم ونشروا الفوضى والخراب في المنطقة لمدة أربعة قرون. وعندما قامت الأسرة الثانية عشرة في مصر في القرن العشرين قبل الميلاد أُعيد النظام إلى نصابه وتأسست مدن جديدة على أنقاض المدن التي دمرها العموريون.

تدعى هذه المدينة الجديدة حضارة العصر البرونزي المتوسط وقد حلت محل حضارة العصر البرونزي القديم التي دمرها العموريون وتدل أسماء ملوك بعض المدن على أن اللغة كانت لغة أو لهجة عمورية واستوطن بعض العموريين في المنطقة الجبلية وبقوا على اسمهم واستوطن بعضهم الآخر في الأرض المنخفضة في فلسطين وفينيقية وسموا كنعانيين وكلمة كنعان مشتقة من كلمة (كنع) ومعناها

في اللغة الفينيقية أو الكنعانية: (انخفض). ويشمل عهد الكنعانيين العصرين الأثريين البرونزي المتوسط والبرونزي المتأخر.

* الديانة عند الكنعانيين :

تلتقي الديانات القديمة في تصوراتها بما يسمى بـ (مجمّع الآلهة). والكنعانيون مثل غيرهم من الأقوام القديمة المحيطة بهم، كانت لهم تصوراتهم التي أثرت وتأثرت بما حولها من الديانات. وهذا أمر طبيعي، خصوصاً بين أقوام هذه المنطقة، ذلك لأن عوامل الالتقاء بينها أقوى من عوامل التنافر، وتظل هي الأقوى لأسباب جغرافية، وأخرى غيرها عرقية. فالغالبية من هذه الأقوام نزحت من شبه الجزيرة العربية التي ظلت الخزان الذي تخرج منه الهجرات المتعاقبة، وبسبب هذا الالتقاء فإننا نرى التشابه في المفاهيم وإن تباينت الصياغات أحياناً .

قامت الديانة الفينيقية الكنعانية على عبادة قوى الطبيعة كالشمس، القمر، الأرض، السماء، المطر، البرق، الرعد، والعواصف. كسائر الديانات في الشرق القديم. وكان الكنعانيون يقدمون الأضاحي إلى الآلهة، والضحايا البشرية في الأوقات العصبية، وكانت تستبدل بالحيوانات في بعض الأحيان، التي كانت تحرق على المذابح اعتقاداً منهم أن دخانها يشبع الآلهة ويرضيها.

وبخصوص الكنعانيين وآلهتهم، فإن الإله (أيل) يوضع عادة في رأس القائمة، وهو رئيس مجمع الآلهة؛ أي كبيرها. ويوصف عادة بأنه رب السموات والأرض وبقية المخلوقات. كما أنه أيضاً المتعالي، الذي يحتجب فوق كرسيه في السماء السابعة. وقد انتشرت عبادته بين مختلف عشائر الكنعانيين ابتداء من الألف الثالثة قبل الميلاد.

وهناك أيضاً ضمن المجمع الإلهي، الإلهة أشيرة أو شعيرة، وهي الأم الكبرى، وزوجة أيل، وترمز للخصب والعطاء. أيضاً هناك الإلهة عناة، التي هي ابنة أيل، وتلقب بالعذراء تارة، وبالخطّابة – التي تخطب الفتيان والفتيات بعضهم للبعض الآخر– تارة أخرى. وهي إلهة الحب التي يقوم على أكتافها الحفاظ على الأسرة الكنعانية، وهي الثي تحافظ على الأخلاق بصورة عامة. وهناك الإله بعل، الذي هو رب المطر والسحاب والصواعق، وهو سيد الزراعة الذي يحارب بضراوة. وإلى جانب هؤلاء هناك آلهة أخرى عديدة. والكنعانيون إجمالاً سبقوا أمم العالم في نشر أرقى ديانات الأمم السامية الوثنية، لذلك كان تأثيرهم الديني لا يقل عن تأثيرهم العلمي والصناعي .

ونظر الكنعانيون إلى خلق الآلهة والبشر سوية واعتبروا أن الآلهة والبشر والكون قد ظهروا من إله واحد هو الإله (يم) المياة الأولى كما في ديانات بلاد ما بين النهرين السومريين، الآشوريين، والبابليين. لم تكن أخلاق الكنعانيين مهيأة للغزو والتقتيل، فقد كانت ديانتهم وملامحهم وآدابهم تدور حول أبوة الواحد (أيل) الذي يوصف غالبا بالخالق الجبار.

وقد ظهر الإله (شمتم) من الإله (يم)، بحيث أن (شم) الإله يتحول إلى (شمايم) وأن (تم) الإله تتحول إلى (أديم) أدمه إلهة الأرض. هذا يعني عملية انفصال السماء عن الأرض.

اعتقد الكنعانيون بالتثليث الإلهي (أب وأم وابن)، أشهر آلهتهم كما ذكر سابقاً ايل (الوهيم) رب الأرباب وهو رئيس مجمع الآلهة ، وأنه ايل يملك أربع عيون : عينان إلى الأمام، وعينان إلى الوراء، عينان مفتوحتان وعينان نائمتان، ومعنى هذا أنه كان في مقدور الإله أيل أن ينام متيقظا ويستيقظ وهو نائم. وزوجته

الأساسية هي عشيرة وتلقب بالعذراء وهي الإلهة الكنعانية الأم وريثة أمها إلهة الأرض (ادمه)، ومن عشيرة ينجب الإله ايل سبعين إلهاً وعلى رأسهم بعل الرب وعناة.

وتكمن أهمية الديانة الكنعانية ، في أنها جاءت كأساس للاهوت التوحيدي الذي وصلنا مع الديانات السماوية الثلاث. إن ما يسبغه الكنعانيون من نعوت التعظيم والتفوق لإله واحد فوق الجميع، يدل دلالة واضحة على ميلهم إلى تقبّل عقيدة التوحيد، بل إن التوراة نفسها التي صبّت عليهم اللعنات، تشير إلى وجود قبيلة كنعانية كانت تؤمن بعقيدة التوحيد. وفي اعتقادنا فإن هذا كله، يرتبط بنضوج البنية الذهنية عندهم. إن نضوج البنية الذهنية وكما نرى، ينعكس على البعد العقيدي في حياة أي مجتمع، أو بتعبير آخر، فإن رقي الحالة العقيدية، يتناسب طرديا مع سمو البنية الذهنية وتطورها. فإذا كانت الثانية متطورة، فإن الأولى العقيدية أن تكون كذلك، والعكس صحيح كذلك .

يوصف في التراتيل الشعرية الكنعانية، بأنه هو الذي يبعث المطر، فيجعل الأودية تفيض عسلاً. ولقد تعامل الذهن الكنعاني مع أيل باعتباره فكرة مطلقة لها ارتباط بنواميس الطبيعة، وغير ذلك مما يكشف ابتعاده عن العواطف والأهواء في الوقت الذي يبدو فيه قادراً على فعل كل شيء.

لقد اعتقد الكنعانيون بأن كلا من الآلهة والانسان وكذلك الكون قد خلقت جميعها في الوقت نفسه على يد إله واحد أزلي قديم هو الإله (يم). وأما عملية تشخيص الآلهة على هيئة بشر، وقيامهم بما يقوم به البشر؛ فإنها عملية مجازية، ترتبط بعلاقة الدين الكنعاني بقوى الطبيعة، ولكن دون أن يقود هذا التشخيص إلى ظهور عقائد خرافية أو مبالغات خيالية. ولأنهم على سبيل المثال

يبحثون عن علاقة هذه القوى بالزراعة، فقد عبدوا في بواكير حياتهم الدينية الشمس لارتباطها بالنمو، كما عبدوا الأرض وجعلوها إلهة تتعهد شئون الزراعة والخصب. وعلى الرغم من أن الكنعانيين كما تشير العديد من الآثار، كانوا يقيمون لبعض آلهتهم تماثيل ونقوشاً ورسوماً، أو أنهم كانوا يجسدونها في هيئة الانسان الذي له هيبة إلهية، إلا أنهم كانوا ينفرون من عبادة الأصنام أو التماثيل في أشكالها الظاهرة للعيان، وهي مداخل يتم العبور من خلالها إلى قيم عليا في الحياة .

الجيل الثاني من آلهة الكنعانيين :

تعتمد الزراعة في بلاد الشام (سوريا لبنان شرق الأردن وفلسطين) على الأمطار والندى، وبهذا تختلف عن الزراعة في العراق ومصر، حيث الزراعة هناك تعتمد بالأساس على الري. وكان الكنعانيون أصحاب ديانة معروفة وكبير الآلهة عندهم الآله (بعل)، وهو إله الخصب والإنتاج، وهو يسيطر على الرياح والغيوم والعواصف والأمطار والبروق والرعود. وربما من هنا جاء مصطلح الزراعة البعلية في سوريا. وقد كشفت الآثار في أوغاريت (رأس شمرا) على الساحل السوري عن هيكل لبعل وشكله أقدم نموذج، بني هيكل سليمان فيما بعد على طرازه. وتتحدث الأسطورة الكنعانية عن بناء بيت لبعل. ويستعين بعل بالإلهة عناة أن تتوسط له عند أبيها الإله (أيل) ليبني بعل قصره.

لا تقتصر الديانة الكنعانية على تسميات بعينها كمثل: مجمع الآلهة، إله الأموات، إله الأجداد، إله المطر والسحاب وغيرها من الآلهة، ولا على طقوس بعينها كذلك كمثل: الصلاة، الشكوى والتضرع بصوت مرتفع، التطهر، تقديم القرابين ، وسواها ، وإنما لها نظرتها الخاصة للإله أيل الأعلى المتعالي المحتجب،

وللشعب –(شعب أيل الأبدي) – وللعلاقة بينهما كثنائي يدور حول فكرة : 'مخافة الآلهة هي في نهاية الزهو' .

وإلى ذلك أيضاً فإن الأسطورة (الأوغاريتية – الكنعانية) تتجه لتفسير الطبيعة وموجوداتها بطريقة تروي توق الانسان الكنعاني لرؤية الخصب في كل من الأرض والحيوان والانسان جميعها معاً، ودوام اتصال دورة الطبيعة. وقد صيغت الأسطورة الكنعانية لذلك في قالب حركي، مليء بالفعل، بفضل الذهنية البعيدة كل البعد عن التجريد. لذلك نجد الآلهة التي تمثل تشخيصاً لظواهر الطبيعة، وغيرها مما ترتبط بالواقع الاجتماعي؛ تقوم دوماً بأفعال حركية متعاقبة، دون أن تتوقف وعلى غرار ما نراه في كل من (يم) و(بعل) و(أشيرة) و(عناة)..إلخ.

لقد كانت للديانة الكنعانية سلطتها الكبيرة على الفرد والمجتمع. وهي بسبب هذه السلطة، تركت تأثيراتها حتى على أدق التفاصيل في حياة الكنعانيين، الذين كانوا يذعنون إليها بأريحية بالغة، وبدون أي إحساس بكونها ديانة تمارس العسف معهم. وعلى هذا فإن أثرها لا يتوقف عند الجانب المعنوي الأخلاقي، وإنما امتد ليجد انعكاسه في السلوك، ومن هنا يتم الحديث عن واقعية الديانة الكنعانية، وهي الصفة التي بسببها ابتعدت عن المثالية الخرقاء.

من بين أبرز ما يطالعنا في المشهد الديني لبلاد الشام (سوريا، لبنان، فلسطين) هو آلاف من التماثيل الأنثوية الصغيرة، على هيئة جذع ورأس ونهدين عاريين، وجدت في كل موقع أثري تقريباً، سواء في المعابد والمقامات الدينية، أو في بيوت الناس العاديين. وبالطبع فإنه ليس من المعقول النظر إلى هذه التماثيل بمعزل عن عقيدة الخصب التي سادت آنذاك، وآمن بها الكنعانيون هم الآخرون.

ومهمة الكاتب كعالم آثار هي أن يفهم هذه التماثيل في سياقها الزمني. وبما أننا لا نصنفها في زمرة الدمى العادية، فالاعتقاد المُرجح هو : أنها 'تماثيل خصب أنثوية'، وأنها تمثل الإلهة عشيرة التي نعرف عنها الكثير. أما لماذا عشيرة ؟ فذلك لأن الكنعانيين كانوا يعتقدون كما ذكرنا، بأنها أم الآلهة، ومرضعتها جميعها، ولأنهم يرون فيها إلهة للحب، وراعية للأمهات في أيام الحمل والولادة، ولأنها في اعتقادهم ترعى شئون الأسرة.

الفرية الكبيرة التي حاولت الدراسات التوراتية إلصاقها بالديانة الكنعانية، ونقصد اتهامها لها بأنها إحدى عقائد الخصب الهابطة، وهذه التهمة كما يجمع مفكرون كثيرون ممن درسوا الديانة الكنعانية، مجرد أكذوبة، الغاية منها تشويه هذه الديانة لأسباب سياسية، وليس لغيرها من الأسباب التي يمكن أن يقبلها العقل. فالدين عند الكنعانيين يظهر دوماً كمؤسسة اجتماعية أخلاقية، تعنى بوقائع يوميات الانسان، وهو يصون قيمه، ويحمي ضعفه، ودوماً فإنه لم يكن يعني الخرافات والقصص الخيالية بين الآلهة، دون ضابط منطقي أو مبرر فني تشخيصي يميز بين الجوهر والشكل كما لدى الإغريق، بل إن الآلهة عند الكنعانيين لم تكن تخوض الحروب رغبة فيها أو لاستعراض قوتها، وإنما لتحقيق أشياء يسعى الناس لتحقيقها. هذا ما نراه في حروب عناة على وجه التحديد، من أجل إنقاذ مملكة أوغاريت، وما نراه أيضاً في أسباب حروب بعل هو الآخر. كل هذا لأن الفكر الكنعاني ينطلق من الوجود ذاته. وأما ما يبدو لنا من أفكار غيبية، فليست سوى أطر تضم هذا الفكر.

وتبدو لنا أخيراً في هذا الدين، الرغبة في زرع الحب والوئام في نفوس الناس، والعمل على إبعادهم عن الحروب والعدوان، وإذا ما صادف وحدث الخطأ

في حياة إنسان ما، فإن هذا الدين سرعان ما يدفعه للبحث عن أفضل الطرق للتطهر من الآثام، عبر طقوس الديانة بالطبع، كالصلاة والشكوى لـ (أيل) بتقديم القرابين والذبائح وقرع الطبول والإغتسال وسواها الكثير .

وكان الكنعانيون يقدسون الينابيع وبعض الآبار والأشجار وخاصة أشجار الجميز، حيث الينابيع تروي الأرض بالماء فتنمو به المزروعات ويستقي منها الناس، وما زالت هذه العادة شائعة في كثير من أنحاء الوطن العربي، فعبادة الينابيع والأشجار وتقديسها معروفة عند العرب وغيرهم من الأمم القديمة، فقد صور هذا الخصب لهم وجود قوى كامنة في تلك الأرضين كانت السبب في نظرهم في بعث الحياة للإنسان، كما اعتقدوا في الأشجار بأنها تزيل عنهم الآلام وتشفي من الأمراض.

ويرجح أن قرية سِفْر – بيت مِرْسِم كانت مركزاً لتعليم ديانة الكنعانيين وقد عرفت هذه المدينة بحب أهلها للعلم وبكثرة من نشأ فيها من الكُتّاب والأدباء وغيرهم، فقد كانت مركزاً عظيماً للثقافة الكنعانية، ومع الأسف أن آثارهم المختلفة ذهبت بها عوادي الزمن.

ويظهر أنه لم يكن للقبائل الكنعانية في أقدم أيامها هياكل ومعابد بل كانوا يختارون الأماكن المرتفعة كالجبال والتلال ذات المناظر الجميلة فيقيمون عليها في الهواء الطلق نُصُباً يسمونه "بيت الإله" فيعبدونه ، وعنهم أخذ اليهود ذلك فأقاموا معابدهم على قمم الجبال.

أقام الكنعانيون معابدهم في مختلف أنحاء بلادهم وكانوا يضعون داخلها تمثال الإله المعبود، وبالقرب منه مكان لتقديم الضحايا التي كانت إما بشرية أو حيوانية، وكانت الضحايا البشرية عندهم أعظم الضحايا ويتقدمون بها غالبا بكر

أولادهم أو أحدث مولود لهم زاعمين أن هذه الضحايا تستجلب بركات الآلهة على أصحابها، وقد استبدلت فيما بعد الذبائح البشرية بذبائح من الحيوان، وأول من فعل ذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام. وأقدم الهياكل الكنعانية التي عثروا عليها هي التي وُجدت في أريحا ومجدّو وتعود بتاريخها إلى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، ثم عثروا عليها في جازر وبيسان وتِعِنّك وغيرها ، وعثروا في بقايا بعض المعابد على مغاسل للأقدام وقد وُجدت المغسلة في الغرفة الكبرى من المعبد ولا بد أن العابدين كانوا يستعملونها للغسل قبل العبادة. قال المطران "الدِّبس" : "كانت كهنة بعل وعشتروت عند الفينيقيين (الكنعانيين) في أعيادهم يلبسون ملابس النساء ويخضبون وجوههم بالحمرة ويزججون حواجبهم ويكحلون عيونهم ويعرون أيديهم إلى الكتف ويحملون بأيديهم سيوفاً أو يتنكبون حراباً ويتأبطون دفوفاً أو معازف يضربون بها ويرقصون ويضجون ويدورون على عقب واحد ، وينعطفون برأسهم إلى الأرض عند دورانهم فيمرغون شعورهم بالوحول ويعضون أذرعهم ويخدشون أجسامهم بسيوف وحراب". وكان لهؤلاء الكهنة نفوذ في أمور مملكتهم يصغى لهم الحكام ويستشيرونهم ويعملون بمشورتهم.

كانت توابيت الكنعانيين عبارة عن جرار من الفخار يطوى فيها الميت طياً كما يكون الطفل قبل الولادة في بطن أمه، وأما توابيت الملوك فمنها ما هو من الصخر الصلد ومنها ما هو من الخشب المزين بقطع من القيشاني الملون. وقد وجد في الجرار وفي توابيت الملوك الكثير من السكاكين والملاعق والحلي والتعاويذ وغيرها. وهذا يدل على أنهم كانوا يعتقدون أنه من حاجات الرحلة في الظلمات الأبدية. ولكن لم يؤمن الكنعانيون بوجه عام باليوم الآخر وبالحساب والثواب والعقاب، فالموت عندهم كان النهاية الأبدية للحياة. ولم يكن الثواب

والعقاب عندهم أمراً يتعلق بالسلوك الاجتماعي أو التصرف الخلقي بقدر ما كان يتعلق بإقامة الفروض والطقوس الدينية، وكان الثواب والعقاب عندهم غنماً أو غرماً مادياً يناله العابد على هذه الأرض، فكانوا ينظرون إلى الصحة والثروة والفلاح المادي والبنين وما شابهها أنها ثواب على القيام بفروضهم الدينية، لاوإذا حرموا هذه اللذات فإنهم كانوا ينظرون إلى الأمر على أنه عقاب لتركهم فروض دينهم .

وكانت مزاولة السحر والعرافة والتنبؤ بالغيب أشياء مألوفة لدى الكنعانيين وقد عثروا في البلاد على تمائم تعود بتاريخها إلى ما بين عامي (١٦٠٠ : ١٢٠٠) ق.م . فتمائم مجدو كانت مصنوعة من القيشاني وأما تمائم (تل العجول) فبعضها كان على صورة كبش من الفضة والبعض الآخر كان على صورة ضفدع من العقيق الأحمر. ومما هو جدير بالذكر أنه بينما كانت الوثنية سائدة بين الكنعانيين انتشرت ديانة التوحيد بين جماعات منهم على أثر قيام سيدنا إبراهيم عليه السلام بدعوته الإسلامية.

* الطقوس الدينية :

١- الإغتسال والتطهر : كان الإغتسال أو التطهّر يجري بواسطة أربعة أشياء عند الكنعانيين :

أولاً : الماء : وقد كان عليهم وفق العقيدة الإغتسال يومياً، وكان الإغتسال بعد الحرب ضرورياً أيضاً لأنها تعتبر جريمةً يجب إزالة كلّ أثرٍ لها .

ثانياً : الزيت : وقد كان يستخدمه الملوك غالباً وقد كان الدهان الأرجواني يشفي من بعض الأمراض حسب عقيدتهم ، وقد كان على الملك الإغتسال بالزيت قبل تولّي الحكم .

ثالثاً : النار : التي كانت من أعظم وسائل التطهر عندهم، وقد كانت النار تستخدم دائماً لتطهير الذبائح .

رابعاً : الصلاة .

٢- دق الطبول وصهر التماثيل : كان دق الطبول طقساً تطهيرياً الغرض منه إبعاد الأرواح الشريرة (كما يعتقدون)، وقد كان صهر التماثيل تطهيرياً أيضاً وذلك لأنه كان يُتم بالنار .

٣- القرابين : كانت القرابين توضع مع الموتى، وقد عثر على قرابين تمثل حيواناتٍ في بعض بقايا المدن القرطاجية، وهناك إناءٌ خاصٌ للقرابين به سبعة أوعيةٍ كلٌ منها على شكل زهرة سوسن.

٤- الألواح الجنائزية : كانت هذه الألواح تثبت بواسطة الطين أمام القبور، وأحيانا تمثل الألواح وجه الميت أو تكون اللوحة زخرفاً مثلثاً.

٥- الأعياد : من الأعياد التي كان يُقيمها الكنعانيون: الأدونيات، عيد الهفريس، أعياد ملكارت، أعياد رشف، أعياد ياشمون.

* الأساطير الكنعانية :

◄أسطورة بعل :

من يتتبع تماثيل بعل في متحف (دمشق) ومتحف (بيروت) ويتفحص الهيئة التي تجسدت بها هيئة التماثيل، ومن يكن له بعض الثقافة عن آلهة السومريين والأكديين؛ سيقف على حقيقة مفادها؛ أن الاعتقادات القديمة حول تصور الحياة في المنطقة متداخلة وربما انتقلت من خلال بلاد الشام إلى إفريقيا وأوروبا. فمن الأسماء التي أطلقها الكنعانيون على (بعل) - وهي كثيرة - ومنها (هدد) وهو

الطقس عند الكنعانيين في حين الإله (أدد) عند السومريين والأكديين والذي ورد في ملحمة (جلجامش) هو إله الرعد. في نماذج لتماثيل (بعل) في متحفي (دمشق وبيروت) وجدت هيئة بعل في حوالي ١٩٠٠ ق م، يمد اليد اليمنى للأمام واليد اليسرى إلى الأسفل، ويعتمر غطاء للرأس، مع أنف على شكل منقار وجسد نحيل، ويظهر معه ثور أو أسد في بعض النماذج. ولكن في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، تخلى (بعل) عن مساعدة الثور أو الأسد، وبدا بشكل قاسي ويحمل وجه شيطاني ويرفع يده اليمنى للأعلى ويمد اليد اليسرى للأمام وعيون غائرة أو جاحظة وفم مفغور. وهذا النموذج موجود في متحف (حلب) من الحضارة الأوغاريتية. وهذا النموذج يبقى مستمراً لنهاية.

تكثر الأساطير عن صراع (بعل) مع (يم). وأسطورة دعوة (بعل) لـ (عناة) لزيارته للكشف عن سر الطبيعة، وأساطير صراع بعل مع القوى السفلية، وصراعه مع (شليط) و(عتك) و(إيل) و(إشت) والكثير من الأساطير التي تغلغلت في التراث الشعبي في المنطقة، وانتقلت إلى إفريقيا، ولا يتحمل المقام التفصيل الكبير في كل تلك الصراعات وقد بدأنا بأساطير بعل لكثرتها للتأسيس في تكوين صورة عن أساطير أخرى.

◄ أسطورة (أدونيس) :

في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد؛ توارت أساطير (بعل) وقوته في السواحل السورية واللبنانية والفلسطينية المتاخمة أصلاً لحضارتي وادي النيل والعراق. وظهرت أسطورة أدونيس في المدن اللبنانية أولاً، في مدينة (جبيل) وكان اسمها (آدون) ومعناها السيد أو الرب ، وهو اسم مماثل في العراق حيث (أدون) هو إله رافديني يمثله (دموزي) السومري و(تموز) البابلي وهما يمثلان المراعي

والخصاب والجمال، وبقيت العلاقة الثنائية بين (تموز وعشتار) أساساً لأساطير الحب في العالم القديم. وانتقلت عبادة (أدونيس) من شرق المتوسط إلى مصر، حيث كان له معبد في مدينة (فاروس) وهي (الاسكندرية) .

• **ولادة أدونيس** : كانت (مورا) فتاة جميلة جدا تفاخرت ذات يوم مع الإلهة (فينوس) بنعومة شعرها، فحقدت عليها (فينوس) وحكمت عليها بأن تقع في حب آثم مع (أبيها) واستعانت بالملاك (كيوبيد) بأن يرشقها بسهام الحب وهي نائمة، فرشقها فوقعت بحب والدها. وكان الخاطبون يتقاطرون على (مورا) في حين ترفضهم كلهم، وطلبت من مربيتها أن تعينها في وضع خطة لتلتقي مع أبيها وتمارس معه الحب دون أن يعلم. فأخبرت المربية والدها بأن أحد جواريه تريد معاشرته، فاستجاب للطلب فوضعت وشاحاً أو قناعاً على وجه (مورا) وتم لها ذلك. وكررت اللقاء، حتى اكتشفها والدها فأشهر سيفه ليقتلها، فهربت بالليل واختفت، وتضرعت للآلهة بعد أن اقترب موعد ولادتها من الحمل الخاطئ، وطلبت من الآلهة أن تتحول إلى شجرة. فاستجابت الآلهة وتحولت (مورا) إلى شجرة، فتمددت أصابع رجليها لتتحول إلى جذور اخترقت الأرض، وتحولت يديها إلى أغصان وفروع وعظامها إلى خشب، وجلدها إلى لحاء وهكذا تحولت شجرة (المر أو العفص) التي هي (مورا) إلى شجرة مقدسة. ولا يزال الكثير من الناس حتى اليوم يقدسون أو يعتقدون بدور تلك الشجرة أو نماذج منها يختارونها في جبال سوريا ولبنان والأردن، ويربطون بها قطعة من قماش لمن تريد أن تتزوج أو يخطبها أحد الشبان. دنت ساعة الولادة، فانشق اللحاء وخرج الوليد لتلتقطه (الحوريات) ويغسلنه بدموع أمه ووضعه فوق العشب، وكان طفلاً جميلاً جداً يشبه الآلهة .

- **خلاف (فينوس) و (برسفونة) على (أدونيس)** : كانت فينوس تراقب ولادة أدونيس، فتعلق فؤادها بجماله وشغفها حباً، فأوكلت تربيته بعد أن خطفته ووضعته بصندوق وأعطته لأختها (برسفونة) ملكة الجحيم، وعندما كبر وقعت (برسفونة) في حبه فتقاتلت الأختان عليه فاحتكمتا عند كبير الآلهة (جوبيتر) أو (زيوس) فقسم السنة إلى ثلاثة أقسام، كل قسم من أربعة أشهر، قسم لفينوس وقسم لأختها وقسم يكون أدونيس حراً يقضيه مع أي منهما، فاختار فينوس ليقضي معها ثلثي العام والثلث الآخر مع شقيقتها.
- **تحذير فينوس لأدونيس** : لم تكن فينوس لتترك أدونيس في الأربعة أشهر التي يقضيها مع شقيقته، بل كانت تطوف حوله بعربتها التي تجرها (بجعات مجنحة) لتختلي به، فاختلت به في أحد المعابد، فولد لهما خنزير نتيجة الخطيئة. فلحق الخنزير بأدونيس وعضه بأنيابه في فخذه، فارتمى وأخذ يصرخ ودماءه تسيل على الرمال. وقد كانت فينوس هي من حذرته من خلال سرد قصص لقوة الإثم في ممارسة الجنس بالمعابد .
- **دم أدونيس** : سمعت فينوس أنين أدونيس فهرعت فلما رأت دماءه، شقت ثوبها، ولطمت وجهها، وقررت أن تلون الأزهار البيضاء بحمرة دمه، فظهرت (شقائق النعمان) بلونها الأحمر المعروف .

◄ أساطير كنعانية أخرى :

ما يزال الحديث عن أساطير أخرى كأدونيس، منها ما يتردد بين الناس أو يحتل اسماً لمدينة أو منطقة أو نهر، ومنها ما اندثر وسنحاول رص وتكثيف وإيجاز تلك الأساطير بما يكمل الصورة العامة عن الحضارة الكنعانية :

أولاً: أسطورة إشمون : إشمون هو إله النار وهو إله صيدا. وقد عُبد هذا الإله في بيروت وقرطاج وقبرص وسردينيا وشمال إفريقيا. وكان اسمه في مدينة صور اللبنانية (ياسومون) وهو إله الطب عند أهل صور. وقد أعطي اسمه لزهور (الياسمين) وقيل أن (إشمون) هو (شامون) ويعني الإله الثامن من حيث ترتيبه بين أخوته .

ثانياً: أسطورة شدرافا : وهو إله الطب الواقي من لسعات الأفاعي والعقارب والحشرات، ولذلك أينما ظهر له تمثال، ظهر مع أفعى، ومنه أخذت إشارة الصيدلة الراهنة. وقد ظهر هذا الإله في القرن الخامس قبل الميلاد، وأقيم له معابد في كل من صور وصيدا وإيليس ومعد وقرطاج .

ثالثاً: أسطورة حرون : كانت كلمة (حر) التي اشتق منها اسم الإله (حرون) تعني الشمس، وكانت العرب تشير إلى كوكب المشتري باسم (حر) وكان الإله المصري (حورس) وهو ابن الإله (رع) هو إله الشمس ويرمز إليه بالصقر. أما الإله الكنعاني (حورون) أو (حوران) فهو مرتبط بنسبه بالإله (شاليم) وكان يعبد في شمال العراق (حران) وجنوب سوريا (حوران) وظل تمثاله أو صورته في مسلة (مؤاب) جنوب الأردن إلى القرن الثاني أو الثالث عشر الميلادي حيث تم سرقته. كما وجد له صورة في (شيحان) في الأردن بنفس الفترة.

رابعاً: أسطورة شبش : لم تحظ الشمس بأهمية دينية أو ميثولوجية عند الكنعانيين، وظلت هامشية، إذ طغى (بعل) و(حورون) اللذان أخذا صفتها على الإله (شبش) الذي يمثلها. وقد اختلفت الديانة الكنعانية عن العراقية والمصرية في تقديم الأخيرتين للشمس على غيرها في الديانة .

خامساً: أسطورة يرح (القمر) : كان للقمر حضوراً – على قلته – أوفر من حضور الشمس، وقد كان يظهر بشكلين أنثوي وذكري، في حين كانت الشمس تظهر بشكل أنثوي، ولا زال هذا التصنيف ماثلاً حتى اليوم. والشكل الأنثوي وارد من الرافدين باسم الآلهة (نيكال) التي تم نزوح عبادتها من (حران) شمال العراق إلى سوريا. أما الشكل الذكري، فكان (يرح) الذي كان يُعبد في اليمن وجزيرة العرب باسم (ورخ) وتقول أساطير الجزيرة أن (يرح) هو ناتج زواج (الإلهة) نيكال مع إله ثمرات الصيف .

سادساً: أسطورة حمون : من أكثر الآلهة غموضاً، ففي حين أنه كان إله (حماة) إلا أنه وجد أنه الإله الوحيد عند البربر في شمال إفريقيا، قبل قدوم الكنعانيين (الفينيقيين) إليها، وكان يسمى (حمون المباخر). أو (سيد المباخر) وقد اقترح العلامة (ستاركي) تفسيراً لذلك، معتمداً على وجود أنصاب كثيرة له في شمال إفريقيا يقدم فيها البخور . وهناك من يعتقد أنه إله مصري هو نفسه (آمون). ويذهب أصحاب هذا الاعتقاد الى أنه وجد في واحة (سيوه) معبداً (لآمون)، وكانت هيئته هيئة كبش يحمل الشمس بين قرنيه، وهو نفس الشكل الذي وجد له في ليبيا وعند البربر .

سابعاً: أسطورة تانيت : إلهة قديمة جُلبت لشمال إفريقيا في الألف الثاني قبل الميلاد، ويُعتقد أنها (عناة) وهي إلهة معروفة بالمشرق والعراق وهي (إناتا). والبربر يقدمون تاء التأنيث على الأسماء فأصبحت (تاناتا) وهي الإلهة التي وجدت على نقوش فخارية في مصر قبل (الفراعنة) ويذهب البعض الى أنها نفسها (أثينا) الإلهة اليونانية. ولكن أصلها (سومري) قديم. وهي إلهة الأمومة والخصوبة عند البربر، وزوجها عند البربر هو الإله (بعل حمون)! وقد ظلت عبادتها قائمة للقرن

الثالث الميلادي، وتأثرت إسبانيا وأوروبا بعبادتها حيث بنا لها القيصر (سبتموس سفيروس) وهو من أصل إفريقي معبداً في روما.

* اللغـة :

رغم تعدد التقديرات للبدايات الزمنية للوجود الكنعاني في فلسطين، فمما لا شك فيه اطلاقاً أنهم كانوا أول من سكن المنطقة من الشعوب المعروفة تاريخياً وأول من بنى على أرض فلسطين حضارة. وكانت لغة الكنعانيين أقرب ما تكون إلى اللغة السامية الأم (الساميين الشماليين الغربيين العموريون) أي اللغة العربية البائدة. وتدل أسماء ملوك بعض المدن على أن اللغة كانت لغة أو لهجة عمورية.

وقد ظلت اللغة الكنعانية هي اللغة السائدة منذ فجر التاريخ المكتوب، أي منذ خمسة آلاف عام، ولم تعرف فلسطين حتى عهد الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٠م سوى لغات ثلاث: الكنعانية أولاً، والآرامية ثانياً وهي اللغة التي تكلم بها السيد المسيح عليه السلام، والعربية ثالثاً. وكانت لغة الكنعانيين أقرب ما تكون إلى اللغة السامية الأم (أي اللغة العربية البائدة، وذلك وفقاً للعديد من المتضلعين من اللغات السامية)، ثم انفردت بخصائص معينة وأصبحت ضمن مجموعة عرفت بكتلة اللغات السامية الغربية، ومنها: المؤابية والفينيقية والعبرية.

واليوم عندما نقارن اللغة العربية باللغة الكنعانية ،نكتشف كلمات متطابقة لا تحصى ومنها : جبل، لون، أم، أب، أخ، بيت، أرض، قبر، رأس، يد، ثلاث، أربع، ...إلخ وهناك كلمات عديدة متشابهة؛ ومنها : لسن (لسان)، شمش (شمس)، نحس (نحاس)، كتن (كتان)، قرت (قرية) ... إلخ

- تصنف اللغات الكنعانية إلى العديد من اللغات وهي :

- **اللغة الفينيقية** : وقد كانت محكية على لسان الفينقيين في الساحل الغربي من لبنان والذي يشمل صيدا وبيروت وغيرها من المدن الفينيفية، بالإضافة إلى الساحل الغربي الشمالي من فلسطين (عكا) .
- **اللغة البونيقية** : وهي عبارة عن لهجة من اللغة الفينيقية وقد انتشرت في المستطونات الفينيقية في إمبراطورية قرطاج.
- **اللغة المؤابية** : وهي اللغة التي كانت محكية على لسان المؤابيين في مملكة مؤاب.
- **اللغة العمونية** : وهي اللغة التي كانت محكية على لسان العمونيين الذين كانوا يعيشون في المملكة العمونية التي نشأت شرق نهر الأردن (مدينة عمّان حالياً) .
- **اللغة الإدومية** : وقد كانت محكية على لسان الإدوميين في مملكتهم التي نشأت في جنوب فلسطين وجزء منها في الأردن .
- **اللغة العبرية** : وهي اللغات التي كانت محكية على لسان العبرانيين في فلسطين، وقد تأثرت اللغة العبرية التي كانت محكية في مملكة إسرائيل الشمالية باللغة الفينيقية، واللغة العبرية التي كانت محكية في مملكة يهوذا باللغة الآرامية، إلا أن اللغة العبرية التوراتية هي نفسها التي كانت محكية في مملكة يهوذا، وقد انقسمت اللغة العبرية إلى عدة لهجات نتيجة الأوضاع المختلفة التي تعرض لها اليهود، ونتيجة الأوضاع التي مر بها اليهود، انقسمت اللغة العبرية كما يلي:

- لغات عبرية تستعمل بنطاق ضيق .
- لغات عبرية حية ومستعملة بشكل واسع .

وهذه اللغات هي :

- اللغة العبرية التوراتية : وهي لغة العهد القديم .
- اللغة العبرية السامرية : تستعمل بنطاق ضيق لدى السامريين الذين يعيشون على جبل حولون داخل إسرائيل حالياً، والسامريين الذين يعيشون على جبل جرزيم في مدينة نابلس بالضفة الغربية والتي تسمى بمنطقة (يهوذا والسامرة) .
- اللغة العبرية الطبرية : تستعمل بنطاق ضيق في الطقوس الدينية.
- اللغة العبرية المزراحية : ما زالت مستخدمة لدى بعض اليهود الشرقيين .
- اللغة العبرية اليمنية : ما زالت مستخدمة على لسان يهود اليمن .
- اللغة العبرية السفاردية : تستخدم على لسان يهود السفارديم لكن أصبحت أقل.
- اللغة العبرية الإشكنازية : تستخدم على لسان يهود الإشكناز .
- اللغة العبرية المشناوية : (عبرية المشناة)، تستخدم في قراءة المشناة .
- اللغة العبرية الحديثة : تستخدم حاليا كلغة رسمية في دولة إسرائيل على لسان اليهود ويتحدث بها كذلك أعداد كبيرة من الفلسطينيين

و قد تقلص استعمال جميع اللغات الكنعانية ، باستثناء اللغة العبرية الحديثة.

* السياسة :

لم يكن الحكم على أرض كنعان موحداً فقد كانت تتكون من دويلات تتقاتل فيما بينها، إلا عند مجابهة الخطر الخارجي وخصوصاً من (الحيثيين) أو

(المصريين). لذلك اشتهر الكنعانيون ببناء القلاع والأسوار لحماية أنفسهم. وقد ارهبت قلاع أريحا الجواسيس والعيون الذين أرسلهم موسى لاستكشاف أرض فلسطين 'إن فيها قوماً جبارين'. وقد توصل الكنعانيون إلى بناء الصهاريج فوق السطوح، وحفر الأنفاق الطويلة تحت الأرض لإيصال المياة إلى داخل القلاع. ومن أهم هذه الأنفاق نفق يبوس (القدس). حيث حفر اليبوسيون – وهم فرع من القبائل الكنعانية – نفقاً وجاءوه بالمياة إلى حصن يبوس من نبع جيحون، ولذلك صمدت القلعة ثلاثمائة سنة أمام اليهود . غير أن الملك سيدنا داوود عليه السلام اكتشف المدخل السري من خارج السور، فأدخل رجاله إلى النفق حتى وصلوا إلى منتهاه داخل السور وصعدوا إلى السطح وباغتوا اليبوسيين واحتلوا الحصن والمدينة بلا قتال على الأرجح .

وقد عرف الكنعانيون في حروبهم الحصان والمركبة الحربية وكذلك أسلحة الحديد، كما استعملوا القوس والنشاب والخنجر القصير والسكين المعقوف. وقد برعوا في صناعة الأدوات الحربية وهم أول من أدخل فن التعدين مما ساعدهم في صناعة الأسلحة الفتاكة من البرونز والحديد وحتى الفولاذ .

لكنهم لم يشتهروا بأنهم شعب مقاتل، فقد برهنوا على أنهم شعب مسالم أكثر من كونهم شعباً تحكمه عقلية الحرب، كانوا مدافعين عن أنفسهم ولم يكونوا مهاجمين وهذا ما جعل العديد من الأمم المجاورة تتغلب عليهم من مصر وبابل وبلاد الحيثيين ومقدونيا، وكانوا عادة يفضلون دفع الضرائب والجزية كي يدفعوا عنهم التدخلات الخارجية، وفي عهد الفرعون تحتمس الثالث اضطروا إلى التحالف فيما بينهم ١٤٧٩ ق.م ضد الفرعون المصري في مجدو، وعندما عاد تحتمس الثالث إلى بلاده أخذ معه العربات المطعمة بالذهب، وأسِرَّة من العاج،

وأواني وسيوفاً وتماثيل من الذهب، كما أخذ ٢٠٧ آلاف كيس من الحنطة، وفي كتاباته أسماء ١١٨ مدينة يعتقد أنها المدن التي افتتحها في بلاده كنعان، وقد تحولت الدويلات أو الدول المدينية إلى محميات مصرية بعد ذلك.

* تعرضها لهجمات :

في أواسط القرن الثامن عشر قبل الميلاد تعرضت أرض كنعان لهجمات شنتها أقوام جاءت من شمال العراق تدعى الأقوام الحورية (ر. الحوريون) التي غزت أرض كنعان عندما ضعفت السلطة المركزية في مصر بعد زوال الأسرة الثانية عشرة. وقد جمع الحوريون عدداً كبيراً من المرتزقة من.كنعان وانقضوا على مصر واحتلوها برمتها لمدة ١٥٠-١٨٠ سنة على وجه التقريب. وكان من بين المرتزقة زمرة من بني إسرائيل. ويسمى المؤرخ مانيتون هذه الأقوام الهكسوس. أي الحكام الأجانب.

الغزو الحيثي :

في خلال الفترة التي تلت ذلك قامت دولة جديدة في المنطقة هي الدولة الحوثية والتي تقاتلت مع مصر في بلاد الشام لمدة من الزمن. وبعد ذلك عقدوا السلم حين تزوج الملك المصري ابنة الملك الحوثي، وبعد ذلك استقرت أمور شمال بلاد الشام للحوثيين بينما بقي جنوبها مع المصريين. لكن خلال هذه الفترة قام الملك الأموري "عبدي عشيرتا" بالإدعاء بالرغبة بتوحيد بلاد الشام، وبدأ يستولي على الإمارات الكنعانية والأمورية، وهكذا استطاع بسط سيطرته ومن بعده ابنه "عزيرو" على كل بلاد الشام.

وقد كان الحيثيون يدعمون عبدي وابنه في توحيد بلاد الشام، وقد انتظروا

حتى توحدت على أيديهم ثم غزوها وضموها إلى أراضيهم. وقد حاولت بعض مدن بلاد الشام المقاومة مثل أوغاريت لكنها فشلت. وقد أحس الفرعون "سيتوس الأول" بخطر الحيثيين ولذلك سار واسترجع بعض المدن الشامية مثل مجدو وحوران وبعض المدن التي تقع اليوم ضمن حدود لبنان. وحينها عقد الملك الحيثي "موواتالي" معاهدة سلامٍ مع المصريين بحيث يبقى الجزء الشمالي من بلاد الشام في يد الحيثيين والنصف الجنوبي مع المصريين.

◀ الغزاة اللاحقون :

في عام ١١٩٠ ق.م سقطت الدولة الحيثية إثر مهاجمة الإغريق وبعض الشعوب العراقية لها من مختلف الجهات. وخلال ذلك الحين استغل الملك الآشوري "تجلات بلاسر الأول" (١١١٦ – ١٠٩٠) ق.م الفرصة واجتاح جنوب سوريا، وأجبر مدينة جبيل على دفع الجزية واستولى على جزيرة أرواد لمدةٍ من الزمن، ولكن لم تكن فترة حكم الآشوريين طويلة كما أنها اقتصرت على مساحة صغيرة من أراضي الكنعانيين.

◀ الغزو المصري :

لقد كانت بداية الاستعمار الطويل لبلاد الكنعانيين الذي استمر ١٢ قرناً هو غزو المصريين لبلاد الشام في عهد الدولة المصرية الحديثة. وقد حدث الغزو خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد في أيام الأسرة المصرية السادسة عشر، وقد كان قائد المصريين هو الملك المصري "وني"، ويُقال أن تعداد جيشه كان بضعة عشرات من الألوف.

وفي زمن الأسرة الثامنة عشرة طرد المصريون الهكسوس من مصر ولاحقهوهم حتى مدينة شاروجين في جنوب فلسطين. وبعد هذا لا يعثر لهم على أثر اذ اندمجوا بالكنعانيين وضيعوا شخصيتهم. ولم ينسى المصريون ما فعلت بهم أقوام جاءت عن طريق كنعان، وإن لم تكن كنعانية ، فأخذوا يشنون الهجمات على كنعان. وأول من غزا كنعان كان تحتمس الأول. ولكن غزوته كانت غزوة طارئة تلاشت ملامحها بعد أن عاد إلى مصر، ولكنها فتحت أعين الكنعانيين فأخذوا يتحسبون لغزوات تابعة وأقاموا حلفاً بينهم وترصدوا للحملات المصرية في مضيق وادي غارة قرب مجدو.

وعندما اعتلى تحتمس الثالث عرش الفراعنة شن ست عشرة حملة على المدن الكنعانية برمتها ، وحصلت ثورات كثيرة على الحكم المصري بعد هذا ولكن الفرعون أخمدها.

وقد كان السبب الرئيسي لهذا الغزو هو تهديد المصالح التجارية لمصر في بلاد الشام، وقد بدأ هجوم المصريين من خلال معركة مجدو في عام ١٤٦٨ق.م. والتي انتصر فيها الجيش المصري في النهاية . وقد قاد المصريين في هذه المعركة تحتمس الثالث (١٤٩٠ : ١٤٣٦) ق.م وقد كانت أولى حملاته الحربية، أما الجيش الذي قاتل المصريين فقد كان عبارة عن حلف بين ما يقارب الـ ٣٥٠ دويلة كنعانية، لكن أمير الحلف والذي سعى لجمعه هو أمير قادش "علي العاصي". وقد اضطر الكنعانيون للاستسلام بعد حصار دام سبعة أشهر على مدينة مجدو التي اجتمعوا فيها والتي سميت المعركة باسمها.

◀ كنعان المصرية :

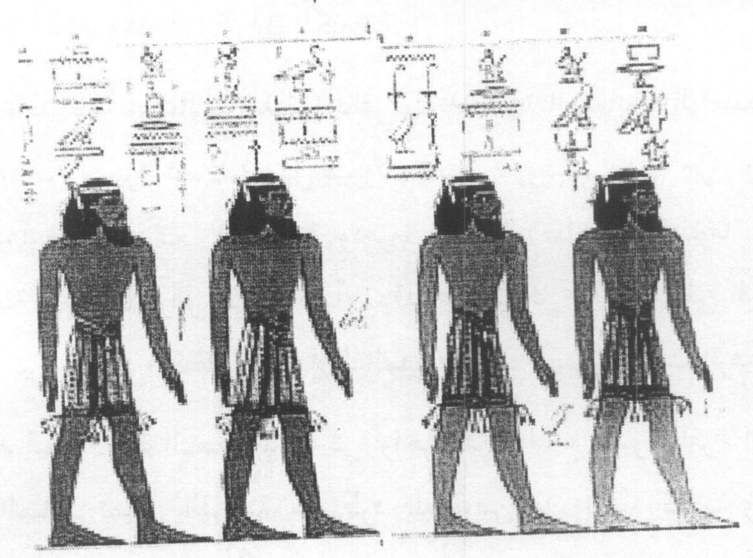
أذعنت أرض كنعان للحكم المصري لأن الاستقرار الذي وافق حكم الفراعنة حسن أحوال الكنعانيين وشجع تجارتهم وصناعتهم لتركوا للمصريين حمايتهم من الغزاة المتربصين بهم في الشرق. ودامت هذه الحال حتى مجئ أمنتحوتب الرابع أو اخناتون الذي لم يكن يكترث بأمور الدولة والحفاظ على الأمن بل صب كل جهده على الاصلاحات الدينية وكان أول من بشر بالتوحيد. واستغل جيران الكنعانيين من حيثيين وعموريين هذا الظرف، وكان ملك الحيثيين "شوبلومليوما" قد فرض "عيد عشرتا" أمير العموريين على الهجوم على المدن الكنعانية مستعينا بالمرتزقة من الالخبيرو ليفصلها عن منطقة نهارين الخصبة في شمال سوريا التي كان يطمع بها. فاستغاث الكنعانيين بالفرعون أمنحوتب الثالث فأغاثهم وصد العموريين. ولكن بعد مماته وإعتلاء ابنه اناتون عرش الفراعنة أعاد العموريون الكرة وهاجموا المدن الكنعانية.

ولم تُجد نفعاً استغاثات ملوكها بالفرعون فاحتلها العموريون الواحدة بعد الأخرى ابتداء من سميرة شمالاً فجبيل فبيروت فصور فأروشليم وهلم جرا. وعاث الخبيرو فساداً في الأرياف الفلسطينية ودمروا قراها، واحتل "شوبلوليوما" ملك الحيثيين مدينة أوغاريت (رأس شمرا حالياً). وقد عثر في تل العمارنة على الرسائل التي تبودلت بين الملوك الكنعانيين والبلاط المصري أثناء هذه الأحداث الرهيبة.

وعند قيام الأسرة التاسعة عشرة في أواخر القرن الرابع عشر والقرن الثالث عشر قبل الميلاد تمكن الفراعنة من طرد العموريين من أرض كنعان وأعادة سيطرتهم عليها، فرحب بهم الكنعانيون أجلّ ترحيب. واضطر المصريون بعد

الحروب التي نشبت بين الحيثيين والفرعون رمسيس الثاني إلى أن يكتفوا بأرض كنعان ويتركوا مناطق سوريا الشمالية والداخلية تحت سلطة الحيثيين.

وفي أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ظهرت في الأفق أقاوم إيجي هاجمت مصر وأرض كنعان والشمال بشكل كماشة. وبالرغم من أن رمسيس الثالث صدهم في معركة بلوزيون (قرب بورسعيد) البحرية فقد اضطر إلى أن يفسح لهم المجال للاستيطان في جنوب فلسطين. وقد دمرت الموجة التي انصبت على أرض كنعان من الشمال رأس شمرا وجزيرة أرواد في طريقها واندمجت بالكنعانيين فنشأت بذلك الأقوام الفنيقية (ر: الفينيقييون). وفي فلسطين: أرض كنعان الجنوبية، تمكن الفلسطيون الذين جاءوا من سواحل البحر الإيجي من إخضاع البلاد وحماية المدن من بني إسرائيل الذين أصبحوا بدورهم تحت سيطرة الفلسطيين حتى جاء سيدنا داود (عليه السلام) .



وصف تصويري للكنعانيين (الآسيويين)

ورد في كتاب الأبواب المصري القديم في القرن ١٣ ق.م..

الاسم كنعان يظهر بالهيروغليفية في نصب مرنبتاح من القرن ١٣ ق.م. كالتالي:



وتعرّض فن كنعان للمزيد من التأثير المصري ،وبين الحلي التي وجدت في قبر"أبي شيمو" و"ابشموابي" جواهر مصنوعة محلياً ولكنها منقولة عن المجوهرات المصرية.

* المدن الكنعانية :

لقد شيدت المدن الكنعانية في فلسطين خلال الألف الثاني قبل الميلاد أي قبل غزو العبرانيين لها، وكانت تعج بمظاهر الحضارة والاستقرار، ومن أقدم المدن الكنعانية الباقية حتى اليوم، أريحا وأشدود (أسدود) وعكو (عكا) وغزة والمجدل ويافي (يافا). ومن المدن التي تغيرت أسماؤها بمرور الزمن : يبوس (القدس) شكيم (نابلس) أشكلون (عسقلان) بيت شان (بيسان) وصدّيم (حطين). وهناك مئات من المدن والقرى منها ما بقي حتى اليوم ومنها ما اندثر وجميعها أسماؤها كنعانية عربية قديمة، سرق اليهود هذه الأسماء الكنعانية العربية وأطلقوها على مستعمراتهم التي أنشأوها على أرض فلسطين مدعين بأنها أسماءٌ عبرية والتاريخ يؤكد أنها كانت موجودة قبل غزوهم لفلسطين .

ومن المدن التي أنشأها العموريون في القرن العشرين والقرن التاسع عشر قبل الميلاد جبيل وصيد وصور وأوغاريت (رأس شمرا) في فينيقيا، ومجدو وتل العجول (غزة القديمة) وبيتين وبيسان وبيت شمش (عين شمس حالياً) وتل الدّوير (لاخيش قديماً) وتل الجزر (جيزر قديماً) وحاصور (تل القاضي حالياً) وأريحا والقدس (يبوس قديماً). وفي زمن الأسرة الثانية عشر كانت أرض كنعان تابعة لمصر بمحض إرادتها لما جنته من الثراء عن طريق التجارة مع وادي النيل.

وأهم مدينتين كنعانيتين هما جبيل في لبنان ومجدو في فلسطين، وترجع أهمية جبيل لكونها مصدّرة الأخشاب من جبل لبنان إلى مصر، وكانت مجدو محصنة بسور ذي بوابة مؤلفة من ثلاثة أبواب الواحد تلو الأخر تحميها أربع غرف للحرس، غرفتان من كل جانب، وكان السور مائلاً من الخارج ومبنياً بحجارة ضخمة، ووجد في داخله معبد وقصر، وكان الكنعانيون في مجدو يدفنون موتاهم في قبور منحوتة في الصخر، وكانت هذه تحتوي عادة على أكثر من مدفن.

* العصـور :

يشمل عهد الكنعانيين العصريين الأثريين:

- البرونزي المتوسط.
- البرونزي المتأخر.

• مزايا العصر البرونزي المتوسط :

• صناعة الخزف :

أهم مزايا هذا العصر صناعة الخزف الذي يعد أجمل ما صنع حتى العصر اليوناني. وكان الكنعانيون يفضلون الشكل الإجاصي. وكانوا أول أمرهم يطلبون

الأواني باللون الأحمر القرمزي ويصقلونها صقلاً لامعاً، ثم أصبحوا يطلونها باللون العاجي ويدهوننها باللونين الأحمر والبني. وتنوعت أشكال الأواني من جرار وأباريق وغطاسات وصبابات وطاسات مجأجأة وسرج وأكواب وهلم جرا. وكانوا يصنعون الأواني من النحاس والفضة والذهب كما ظهر في جبيل. وازدهرت صناعة المعادن فكان الكنعانيون يصنعون الفؤوس والخناجر والرماح. وأما رؤوس النيل فلم تظهر إلا في أواخر عهد الكنعانيين في العصر البرونزي المتأخر. ومن أدوات الزينة الأشكال الحلزونية التي كانت تستعمل لتجعيد الشعر والدبابيس المثقوبة المزودة برأس بشكل بطيخة. وفي مدينة جبيل ترك الكنعانيون عدداً كبيراً من التماثيل للإله رشف، كما أنهم صنعوا تماثيل لجنود يحملون الأسلحة المختلفة.

• التماثيل :

كانوا يصنعون من الطين أيضاً تماثيل للآلهة والأشخاص والحيوانات. وكان عصر الكنعانيين غني بالحلي والمجوهرات. فهنالك أقراط وخواتم وأساور من الفضة والذهب. وكانوا يستعملون الخرز بكثرة ويصنعونه من العقيق الأحمر المحزز، ومن الحجر الجيري. وباشروا في أوائل هذا العصر بحفر العاج فأخذا هذا الفن يترعرع حتى بلغ أوجه في القسم الثاني من ذلك العهد. وكانوا يصنعون الخناجر الذهبية للاستعمال في الحفلات، كما كانوا يتحلون بالقلائد المصنوعة من الذهب والمرصعة بالحجارة الكريمة. وفي قبر ابشموابي وحد كنز من المجوهرات المصنوعة من الذهب والفضة والمرصعة بالحجارة الكريمة.

• العصر البرونزي المتأخر :

في العصر البرونزي المتأخر قل عدد المدن المحصنة وصغر بعضها، وتضائل الأثاث الجنائزي كثيراً بالنظر لفقر البلاد بسبب الضرائب الباهضة التي

كانت كنعان تدفعها لمصر. وأصيب الفن كذلك بالاضمحلال والانحطاط. وأما الهندسة فقد أصباها بعض الشلل وابتعدت عن الدقة وإن لم يتغير شكلها.

• صناعة الخزف :

ويظهر هذا الانحطاط جلياً في صناعة الخزف، إذ فقدت الأواني الدقة والعناية المألوفتين في العصر السابق وكاد الصقل يكون معدوماً. وقد حاول الخزافون تغطية هذا الانحطاط بتلوين الآنية ولكن بطريقة بعيدة عن الذوق. وفي أواسط هذا العصر استوردت أواني كثيرة من قبرص ومن ميسين في بلاد اليونان. وحاول الخزافون الكنعانيون تقليد الأواني المستوردة ولكن محاولتهم أخفقت. فالأواني المنقولة عن الأواني المستوردة كانت قبيحة خالية من رونق الخزف القبرصي والميسيني الأصلي.

وفي هذا العصر تلاشت الفؤوس الحربية وحلت محلها فؤوس جديدة غير مزودة بثقوب. وظهرت خناجر جديدة منقولة عن الخناجر الميسينية ذات يد من خشب فوق أساس من البرونز. وظهرت لأول مرة ررؤوس النيل المصنوعة من البرونز ويشبه شكلها ورق الغار بزيادة قطع صغيرة على جوانبها لتساعدها على الرسوخ في الهدف.

• النحت :

قام الكنعانيون في هذا العهد بعدة محاولات في فن النحت نقلاً عن الجيران المصريين من جهة، والبابليين من جهة أخرى. ففي رأس شمرا عثر على نصب من الحجر الكلسي المنحوت بشكل الإله بعل يظهر فيه واقفاً متجهاً نحو

اليمين معتمراً تاجاً بشكل المخروط مزخرفاً بقرنيين وشعره منسدل من تحته بخصلتين، ويلبس ثوباً قصيراً وعلى جنبه خنجر وبيمناه هراوة وبيسراه شعار البرق.

وعثر في عمريت على نصب آخر في أعلاه جناحان مبسوطان تحتهما هلال، ويظهر الإله بعل واقفاً يضع رجلاً على رأس أسد جبل والأخرى على ذنبه، ويعتمر تاجاً مخروطي الشكل له (شرابه) وأمامه رأس الأفعى المعروف بيورياس؛ ويلبس قميصاً مزخرفاً بحزات عمودية وثوباً قصيراً مزخرفاً بحزات مائلة وأفقية وبيمناه شعار البرق وبيسراه حيوان صغير.

واشتهر هذا العصر بحفر العاج حفراً أنيقاً بديعاً. وقد وجدت كمية كبيرة في رأس شمرا ومجدو وكميات صغيرة في أماكن أخرى مثل جبيل وتل الدوير. وكان حفر العاج مألوفا منذ أقدم الأزمنة ولكن بكميات صغيرة. وكثر استعمال العاج المحفور بعد ظهور الكنعانيين في العصر البرونزي المتوسط، وبلغ أوَجه في العصر البرونزي المتأخر. وعثر على رأس شمرة على تخت ملبس بالعاج المحفور على جانبيه وطرفين، كما عثر على غطاء علبة ربما كانت للمجوهرات محفور عليه إله الخصب متزينة بقلادة وشعرها ينسدل بخصل متموجة ومربوطة في مؤخرتها. وهي تلبس ثوباً طويلاً من خصرها إلى أخمص قدميها وصدرها عاري. وظهر عن يمينها ويسارها ثوران يقف كل منهما على قائمتيه الخلفيتين وهو يأكل العشب الذي تمده له. فالنحت دقيق وناعم، وملامح الإلهة منحوتة بدقة واتقان. ويبدو في هذا النحت التأثير الكريتي أو المنيوي لجهة رشاقة الآلهة، والتأثير البابلي لجهة الحيوانات الواقفة على قوائمها الخلفية. وعثر في مجدو على صندوق من العاج جوانبه محفور فيها أسود مجنحة .

ولا يختلف هذا العصر عن العصر السابق إلا بفقر محتويات القبور. وأما في رأس شمرا حيث كان تأثير الميسينين قوياً فقد أقام الكنعانيون قبوراً تشبه القبور الميسينية التي تعود إلى العهد البرونزي المتأخر في ميسين أو في قبرص. وفهذه القبور مبنية تحت الأرض ولها سقف يشبه العقود وأمامها دهليز صغير يؤدي إلى داخل القبر.

ومن أجمل ما عثر عليها في هذا العصر من تحف طبقان مصنوعان من الذهب ومزخرفان بمظاهر حية. فالأول مزخرف بمشهد أسود تهاجم غزلاناً وثيراناً للافتراسها، والثاني بمشهد رجل أو ملك داخل عربة تجرها الخيل وهو يصطاد الغزلان والثيران البرية بقوس، وقد بدا أحد هذه الثيران وهو يهاجم عربة الصياد من الخلف بينما يحاول أحد الكلاب طرده.

• أدوات الزينة :

لا تختلف أدوات الزينة الأخرى عن العصر السابق إلا في هبوط مستوى الصنع. فهنالك مرايا كالعهد السابق ودبابيس ولكن دون رأس كروي، إذ استبدل به رأس حلوزني الشكل. وقل استعمال الحجارة الكريمة بالفايانس. وصنعت من هذه المادة القلائد والخرز والأختام. وتفننوا في صناعة الخرز من هذه المادة فصنعوه بشكل زهرة اللوتس والزنبق والصدف وتماثيل الحيوانات الصغيرة وأعضاء الجنس للرجال والنساء. كما أنهم صنعوا المكاحل من هذه المادة. وكثر استعمال الجعلان المصرية المصنوعة من الستياتيت، ولا سيما تلك المحفورة باسمي تحتمس الثالث ورمسيس الثاني. وكذلك استعملت الأختام الأسطوانية المستوردة من العراق.

وكانت الأصنام الصغيرة تصنع في قوالب من الطين المشوي، وهناك تماثيل لآلهة الخصب وعدد كبير من الحيوانات والطيور، كما أن الكنعانيين صنعوا تماثيل من الزجاج غير الشفاف لآلهة كالإله يس والإله تاورت والإله أوزيرس.

• الكتابة :

أدى ازدهار التجارة في هذا العصر إلى اختراع الكتابة الأبجدية. ففي هذا العصر استعمل في كنعان ما لا يقل عن خمسة أشكال مختلفة للكتابة منها الكتابة الهيروغليفية المقطعية المصرية، والكتابة المسمارية المقطعية الأكدية، والكتابة الأبجدية التي عثر عليها في سرابط الخادم في شبه جزيرة سيناء، والكتابة الجيلية التي ما زالت رموزها مجهولة، وكتابة رأس شمرا المسمارية الأبجدية. ولكتابة 'سرابيط الخادم' أهمية كبرى. فهي تعد الأم التي أنجبت الكتابة الفينيقية الأبجدية كما ظهرت على قبر احيرام في جبيل في مستهل العهد الفينيقي .

* مظاهر الحياة :

اشتهر الكنعانيون بالزراعة وخصوصاً زراعة مختلف أنواع الحبوب والعنب والتين والزيتون والرمان والنخيل والتفاح وكانوا يعرفون معظم الأشجار والفاكهة والأعشاب المعروفة اليوم. كما دجنوا الماشية والطيور، حتى وصفت .بلادهم بأنها (تفيض لبناً وعسلاً)، وقد اقتبس العبرانيون هذا الوصف وذكروه في التوراة وكأنه منسب إليهم.

كما مارسوا الصناعة، وصنعوا أسلحتهم من البرونز والحديد، وصنعوا الفخار والخزف والزجاج، وبرعوا في التعدين، كما برعوا في فن العمارة وبنوا المدن القصور وشيدوا الأسوار واستعملوا الجياد والعربات، وأقاموا المعابد، وكانت

بيوتهم مبنية بشكل جيد وبصورة فريدة في ذلك الزمن البعيد، فقد بُنيت منازل الملوك والأغنياء داخل الأسوار من الحجارة المنحوتة وهي عادة تتكون من باحة في الوسط وحولها الطرق وحتى البيوت العادية فقد كان فيها آبار للمياة وعنابر القمح ونوافذها تطل على الباحة. أما بيوت الفقراء فكانت من اللّبن وكذلك الحجارة غير المنحوتة، وفي الداخل استعملت الأسرة والكراسي وأدوات المطبخ المتنوعة، ونسجوا الصوف ليصنعوا منه ملابسهم، واستعملوا الخشب في الأبنية والأثاث، وكانت مفاتيح بيوتهم ضخمة تصنع من الخشب أو المعدن وفي كثير من قرى فلسطين والشام ومصر ما زالت المفاتيح على هذا الطراز وقد اهتم الكنعانيون بالموسيقى وقد اقتبسوا كثيراً من عناصر موسيقاهم من شعوب مختلفة توطنت الشرق الأدنى القديم، وقد استخدموا الموسيقى والغناء في طقوسهم الدينية، وقد انتشرت موسيقاهم في جميع بقاع المتوسط.

إن الأدب والفن هما عنوان الحضارة وقد أبدع فيهما الكنعانيون والمتتبع للكتابات الإسرائيلية التي تحاول جاهدة إيهام العالم بأنهم هم الذين بنو الحضارة العريقة وأنهم أصحاب الأناشيد والتراتيل والغناء. إلا أن كبار المؤرخين الثقات أمثال "برستد" الذي وصف المدن الكنعانية المزهرة يوم دخلها العبرانيون بقوله: "إنها مدن فيها البيوت المترفة، وفيها الصناعة والتجارة والكتابة والمعابد، وفيها الحضارة التي سرعان ما اقتبسها العبرانيون الرعاة البدائيون، فتركوا خيامهم وقلدوهم في بناء البيوت كما خلعوا الجلود التي ارتدوها في الصحراء وارتدوا الثياب الصوفية الزاهية الألوان، وبعد فترة لم يعد في الإمكان أن يفرق المرء بين الكنعانيين والعبرانيين بالمظهر الخارجي، فقد اقتبسوا الحضارة الكنعانية كما يقتبس المهاجرون الجدد إلى أمريكا في يومنا هذا طرق المعيشة الأمريكية".

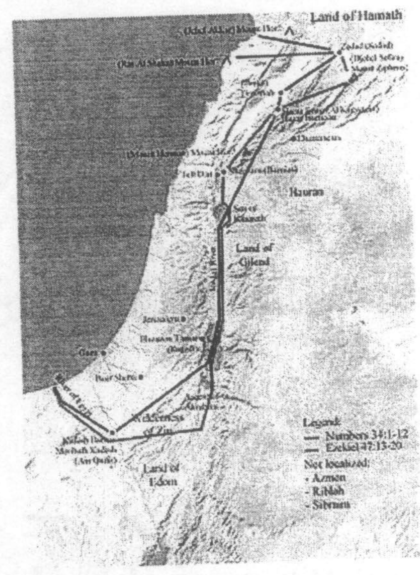
العلاقات التجارية مع مصر : وقد استوردت المدن الكنعانية عدداً كبيراً من الأواني المصنوعة من المرمر من مصر.

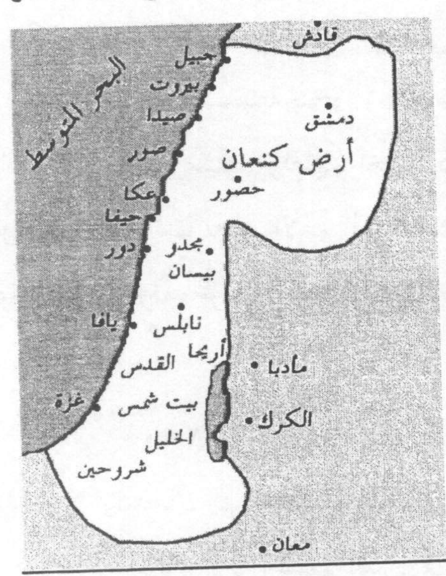
وكانت سنة الكنعانيين مؤلفة من اثني عشر شهراً قمرياً، ولما كانت السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بنحو ١١ يوماً؛ فكانوا ضبطاً للفصول يضيفون بين حين وآخر شهراً على سنتهم ولعلهم أخذوا ذلك عن السومريين سكان العراق في فجر تاريخه. وقد ورثت بعض الأمم الشرقية هذا التقويم القمري وما زالت تستعمله في شئونها الدينية.وقد عرف الكنعانيون (الأسبوع) الذي يعزى اختراعه إلى العراق القديم.

وحوالي ٢٠٠٠ ق.م كان جميع هؤلاء الساميين الغربيين قد بلغوا درجة من المدنية لا يستخف بها معظمها مستمد من مصر وبابل وبعضها وهو القليل مقتبس من بلاد اليونان لأن وطنهم الذي هو الطرف الشرقي من بحر الروم على السكة السلطانية التي بين هذه البلدان فكان لهم اتصال بها غير منقطع .

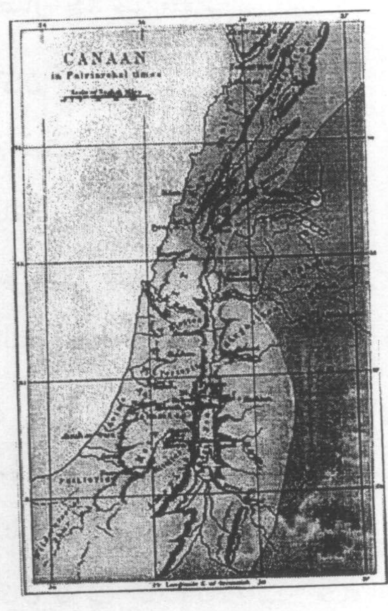
وكان الختان شائعاً بين الكنعانيين ،كما كان شائعاً عند المصريين منذ عصور ما قبل التاريخ (أي منذ عام ٤٠٠٠ ق.م) وعند قبائل كثيرة في الجزيرة العربية منذ عصور طويلة، والأدوات المستعملة للختن هي السكاكين الحجرية كالمدية والموس. كما أن انتخاب العريس والعروس كان منوطاً بالأقارب، وكان للكنعانيين أعياد يحتفلون بها، منها بداية حصاد الشعير وآخر عيد ختام حصيد القمح وعيد الكروم وغيرها. وكانوا يحلقون بعض أجزاء رؤوسهم كانوا يدهنون شعورهم بزيت عطر ولا سيما في الأعياد والمواسم، وكانوا يعتبرون حلق الرأس وجزه دلالة على الحزن الشديد والتوبة على الخطيئة. وكانوا يخلعون نعالهم حين دخولهم للمعابد وغيرها دليلاً على الاحترام. وقد كان للأب عند الكنعانيين مقام

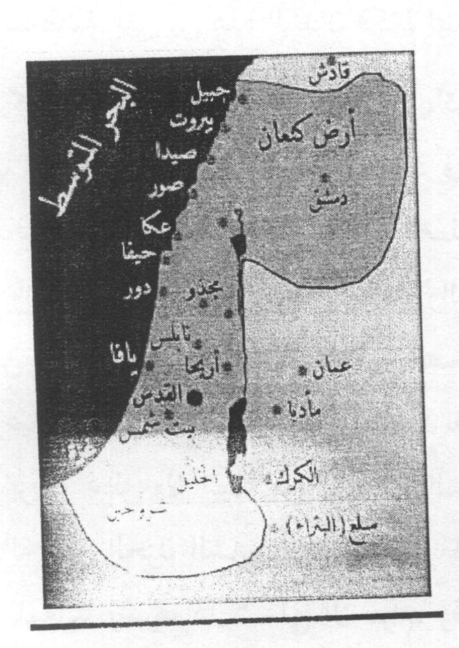
رفيع وسلطة قوية وكانوا يعتقدون بتأثير رضاه وغضبه وكان له حق التحكم في أولاده سواء تزوجوا أم لا، وإذا مات رب العائلة تُناط رياستها إلى ابنه الأكبر.



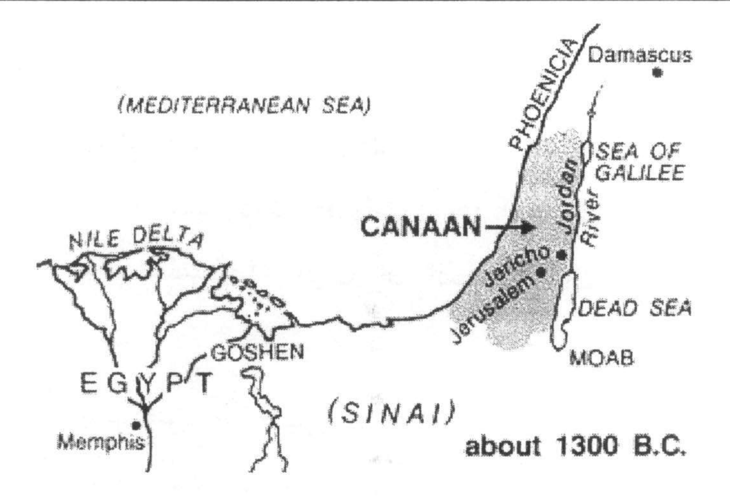


خريطة كنعان، الحدود تظهر بالأحمر.





خريطة المنطقة الجنوبية من كنعان



الامتداد التقريبي لما عُرف بإسم بلاد "كنعان/كِناحّو" حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م.

* الفن الكنعاني :

نسج الكنعانيون فناً خاصاً بهم، مركباً من عناصر مختلفة، مقتبساً من الحضارات المجاورة، كحضارة بلاد الرافدين وسوريا والعالم الحيثي ومصر واليونان وقبرص؛ وقد تجلت عظمة الفنان الكنعاني في كيفية صهر وصقل هذه المقتبسات بأسلوب وطابع ذاتي خاص، جاعلاً من هذه العناصر المتباينة جداً فناً متميزاً خاصاً يعكس الوجه الحضاري للإنسان الكنعاني.

ويمكن تقسيم تاريخ الفن الكنعاني إلى عصرين :

العصر الأول : يبدأ من البدء إلى أول الألف الأول ق.م، وهذه الفترة كانت فترة محاكاة واحتضان لفنون مصر وإيجه والبلاد الأخرى.

العصر الثاني : ويشمل الألف الأول قبل الميلاد إلى آخر العصر اليوناني الروماني. وهو عصر التوليف بين ما ينقله ويتمثله الفنان الكنعاني، متجنباً آفة التنافر بين أجزاء عناصر الحضارات المختلفة بأسلوب وطابع ذاتي خاص؛ أي أن

الفنان الكنعاني يحمل في داخله عناصر الحضارات المجاورة مصهورة وممزوجة بأسلوب ذاتي خاص، متأثراً بهذه التيارات الحضارية المتنافسة؛ وهذا ما أعطى الفن الكنعاني شخصية متميزة ذات خصوصية. وقد أدى هذا التمازج دوراً رئيسياً في صوغ الحضارة الفلسطينية؛ حيث إن الكنعانيين هم السكان الأصليين لفلسطين.

وأهم ما يميز فنون الكنعانيين هو علاقة التنافس بين الممالك الكنعانية المتحالفة حيناً والمتخاصمة حيناً آخر؛ مما أثر في رموز الفن لديهم؛ سواء في الناحية العمرانية أم النواحي الفنية الأخرى؛ فاشتهروا بفنون: التعدين، والخزف، والنسيج، والنحت، ومفاتيح المنازل الضخمة، وفن الموسيقى الذي استخدموه في طقوس عباداتهم.

١- فن النحت :

تميز فن نحت التماثيل بظهور طابعين مميزين: طابع عند فناني الجناح الشرقي ويمتاز بتجسيد الأفكار القديمة بأسلوب قديم؛ وطابع آخر عند فناني الجناح الغربي في مدينة ماري، يجسد الأفكار القديمة بأسلوب جديد يخرج عن المألوف؛ مع وجود طابع ثالث تجلى فيه فن نحت التماثيل، وهو تقليد الأسلوب المصري، إلا أن فن النحت قد أصابه الفتور فيما بعد.

امتاز فن النحت الكنعاني بقلة التماثيل ذات الحجم الكبير وكل ما وجد كان من الحجم الصغير. وقد امتازت التماثيل بالمبالغة والدقة المتناهية في التفاصيل والرمزية العالية، وقد تنوعت التماثيل الكنعانية على حسب تنوع الخامة المصنوع منها فكان منها التماثيل الطينية والتي ازدهرت في العصور الأولى للحضارة الكنعانية، حيث عثر على تماثيل بشرية من الرمل والطين في مدينة أريحا

مدعمة بتصليبات من البوص لبناء هيكل التماثيل ذات النسب القريبة من الإنسان العادي وكذلك استخدموا الجماجم البشرية كرؤوس لتماثيل بعد تغطيتها بالطين.

وكان الفنان النحات اتبع في تشكيله التماثيل الطينية الأسلوب الفطري والتلقائي مع التركيز على الحركة، معتقداً أن الدافع وراء اظهار الحركة في جسم التمثال يرجع إلى دوافع دينية لتستخدم ضمن طقوس العبادة في المعابْد الكنعانية أكثر من كونها حركة رياضية عادية .كما تميزت التماثيل الحجرية الكنعانية بتميز وضع اليدين وكبر حجم الرأس بالنسبة للجسم، مع تطعيم العينين بنوع آخر من الأحجار لتجعل العينين بارزتين، حيث اختلفوا عن الحضارات الأخرى في تطعيم أعين التماثيل، مستخدمين الحجر الأبيض لتطعيم عين التمثال ليشكل بياض العين، ثم يطعمه بحجر آخر لشكل حدقة العين .

كما ظهرت تماثيل ذات أسلوب رمزي سريالي كتمثل لرأس الحصان ينتهي بقدم واحد، حيث هدف الفنان إلى استخدام رأس الحصان كجزء يدل على الكل أي على جميع المعاني التي يتضمنها رمز الحصان. ويمكن تمييز طابعين في فن نحت التماثيل وهما: طابع نجده عند فناني الجناح الشرقي، ويمتاز بتجسيد الأفكار القديمة بأسلوب قديم كما في تمثال ربات المياة، وطابع آخر نجده عند فناني الجناح الغربي في مدينة ماري يجسد الأفكار القديمة بأسلوب جديد يخرج عن المألوف كما في تمثال صانع الملك "ياركيم ليم" في الالاخ.

خير ما يميز هذا الفن تمثال الرب شمس المنحوت في الحجر الكلسي ذات ارتفاع والذي عثر عليه في مدينة ماري على يد الضابط الفرنسي "البوكمال" وأهم ما يميز هذا التمثال أن فكرته لا تختلف عن فنون العصر السابق إلا في تمثيل الرب شمس فوق الجبل وربطهما معا كقطعة واحدة، حيث إن نصف الرب

العلوي كان يظهر عارياً، أما النصف السفلي فكان على شكل مخروطي محبوك كالدرع ليرمز إلى الجبل، حيث كان الرب شمس يشد على خصره نطاقاً عريضاً، يشبك يديه ورأسه مفقودة ولحيته مضفورة كلحية الملك بوزور عشتار، ولعل التمثال يؤكد على سمة الرمزية حيث أراد الفنان أن يظهر الإله وكأنه يرى الجميع فهو أعلى من الجبل ويمثل قمته. كذلك تمثال وجد في مدينة ماري يمثل ربة الينبوع أو الماء وهو من الحجر الأبيض ذات ارتفاع (١.٥٠م) حيث كان يمثل الربة واقفة تربط غدائر شعرها الثقيل بعصاب

٢- فن النحت البارز والغائر :

كان الجناح الشرقي متمسكاً بتقاليد النحت القديمة؛ أما الجناح الغربي فكان فن النحت فيه متميزاً بطابعه المحلي، وتختفي فيه التأثيرات القديمة.

٣- فن نحت الختم الأسطواني :

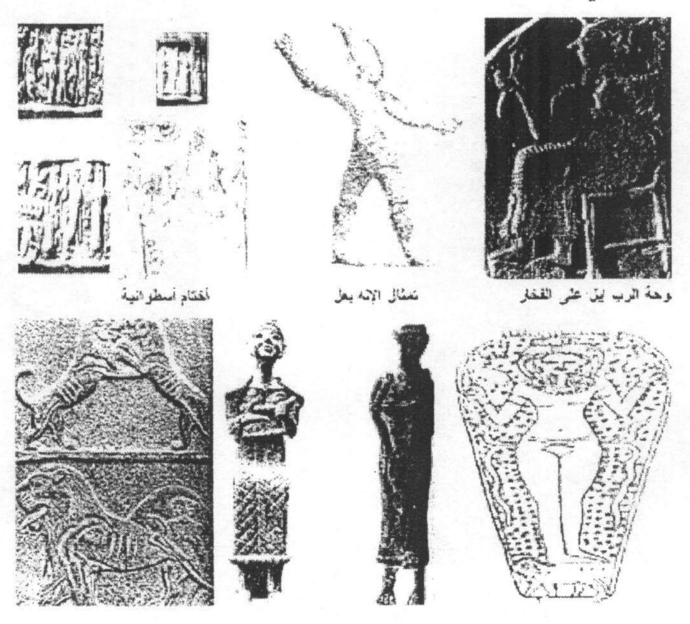
يعد تصوير الربة "عشتار" أقوى ما يمثل الختم الكنعاني في جناحي الهلال الخصيب. وقد امتاز أسلوب النقش على الأختام الأسطوانية، باختصار الفنان لعناصر موضوعاته، لصالح المتممات التي ليست من صميم الموضوع. وأهم الموضوعات التي نقشها الفنان الكنعاني على أختامه الاسطوانية: التوجه إلى الرب، وهو قديم عرضه الفنان الكنعاني بأسلوب محلي؛ والعناصر الزخرفيه البابلية والمصرية؛ إضافة إلى رسم أشكال قوية ظلية بارزة، ذات موضوعات متنوعة، كمصارعة الحيوانات. كما امتاز فن الأختام الأسطوانية في العصور اللاحقة بظهور فئة امتازت بكونها ذات أشكال مفتولة قوية، وفي نقوشها تأثيرات غربية عديدة، معظمها جاء على شاكلة الأشكال المصرية، كنقش الرجال والتيجان المخروطية.

٤- الأعمال المعدنية :

تميزت الأعمال المعدنية عند الكنعانيين في معظمها بالدقة والإتقان في الصنعة، والبساطة والوضوح والتجديد. وقد اتصفت هذه الصنعة أحياناً بالتقاليد الموروثة، وبالتجديد وتداول العناصر الأجنبية.

وتعد التماثيل البرونزية والفضية أجمل ما وجد من هذه الصنعة، وبشكل خاص التي وجدت في ساحات مدينة بيلبوس وفي معبديها (معبد الرب "بعل"، والرب "رشف")؛ حيث وجدت مجموعات تماثيل ذكرية مصنوعة من البرونز المغشي بالذهب، أو المصنوعة من الفضة والرصاص.

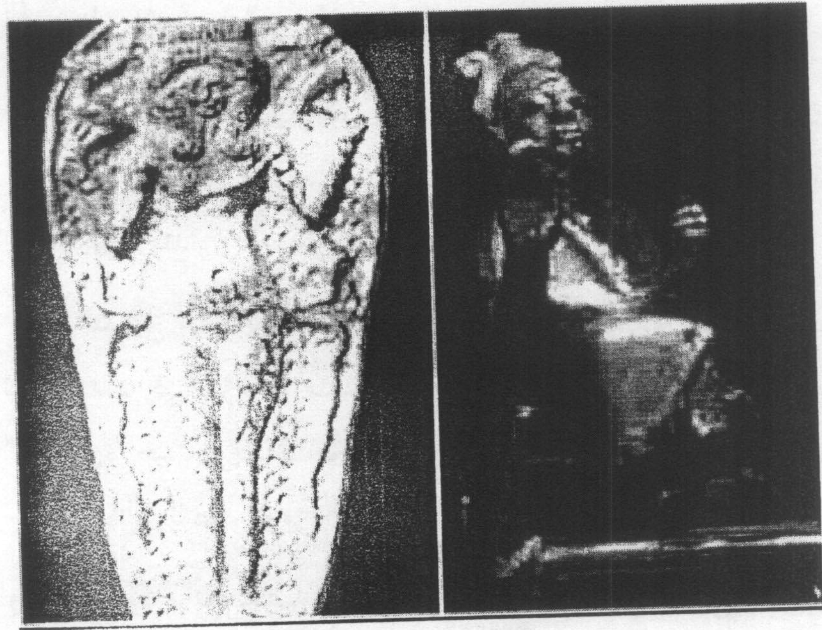
وهذا ما يؤكد أن الحضارة الكنعانية بشقيها: (الأدبي والفني) كانت من أسبق الحضارات في الوجود .

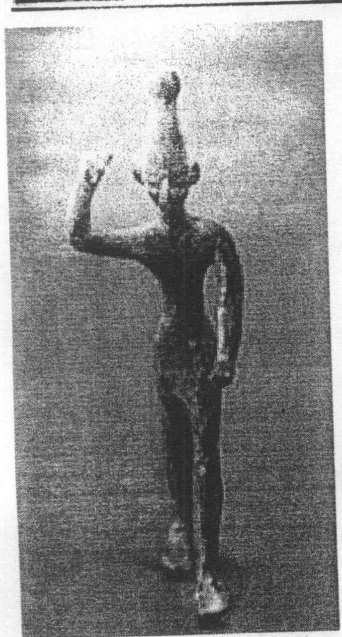


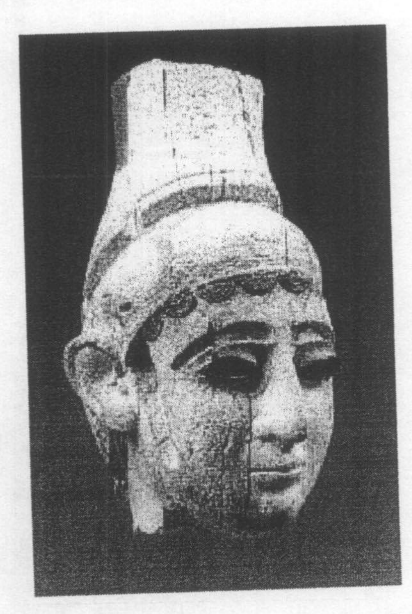
أختام أسطوانية — تمثال الإله بعل — لوحة الرب إيل على الفخار

لوحة بيسان الشهيرة، من الحجر (فلسطين) — دمية ربة من البرونز — تمثال الآلهة عشتروت

نماذج فنية تعكس الوجه الحضاري للإنسان الكنعاني القديم







الآلهة أوغاريت في الحضارة الكنعانية

بعل رافعاً ذراعه، القرن ١٤ ق.م.-القرن ١٢ ق.م
عثر عليها في رأس شمرا اوغاريت القديمة ، اللوفر

٢- فن العمارة :

لم تكن العمارة الكنعانية بنفس مستوى المعمار في الحضارات المجاورة كالحضارة المصرية القديمة أو الحضارة في بلاد ما بين النهرين، إلا أنه من خلال ما وجد في مدينة مجدو أوغاريت من رسائل، يدل على أن الملوك في بلاد كنعان كانوا يتنافسون فيما بينهم على تجميل قصورهم وتبادل الزيارات لرؤية الأجمل من هذه القصور وأكثرها ذوقاً وتحفاً فنية. كما ذكر المؤرخ "موسكاني" أن فلسطين هي الأسبق من بقاع العالم في معرفة العمارة، حيث تعد مدينة أريحا أقدم مدينة عرفها التاريخ. ونتيجة الجو المضطرب في البلاد الكنعانية وتقاتل الحكام فيما بينهم؛ اشتهرت العمارة الكنعانية في بناء الحصون والقلاع لحماية ممالكهم من أطماع الحكام الآخرين، ومن الغزاة البدو، وبذلك اهتمت العمارة الكنعانية بتقوية البناء وتحصينه على حساب الاهتمام بالناحية الجمالية والفنية للبناء.

كما ذكر "موسكاني" أن حفريات أوغاريت والآلاخ كشفت عن بعض القصور الملكية، فهي تظهر أن الطراز المعماري في العمارة المدنية كان يعرف الفروق الطبقية، فقد اختلفت مباني الملوك والأغنياء عن الطبقة الفقيرة والعامة من أفراد الشعب الكنعاني، حيث زخرفت مباني الملوك والأغنياء بالزخارف والنقوش الملونة، وقد وصف "موسكاني" المباني بأنها تتكون بشكل عام من فناء وحجرتين تأخذ أشكالاً دائرية أو مربعة تحظى ببلاط أرضي أرجواني اللون وتُزين هذه المباني من الداخل ببعض أحواض المياة، والتي لا تزال موجودة في الأبنية في بلاد الشام وخاصة في سوريا.

كما تميزت العمارة الدينية الكنعانية بإقامة المعابد في العراء، وتحيطها الأسوار وتضم مذبحاً ومجموعة من الأحجار المقدسة، كما وجد نوع آخر من المعابد مسقوف قد يكون مأخوذ عن المعابد المصرية أو بلاد ما بين النهرين.

كما أن التوراة أعطت صورة صادقة عن العمارة الكنعانية، حيث وصفتها عند دخول العبرانيين لبلاد كنعان بأنها ذات حضارة عريقة وتمتاز بالمباني العالية والزخارف المنشورة على جدران القصور والأسوار مع استخدامهم للألوان الأرجوانية بشكل واسع في طلاء نقوشهم المعمارية.

الفصل الثالث

الحضارة الفينيقية

منذ القدم وحتّى اليوم لا تزال آراء المؤرّخين مختلفة حول معنى كلمتي كنعان وفينيقيا. ولكنّ البعض يعتقد أنّ معنى هاتين الكلمتين هو ذو مدلولٍ واحد. فالكنعانيّن مجموعات سامية اللغة وأبناء سام سكنوا الصحارى كبقية الدول العربية واليافثيين هم الشعوب (الهندو-أوروبية) يمكن تتبع آثارهم في المنطقة الممتدّة من جبل الكرمل في فلسطين جنوباً إلى اللاذقية في سوريا شمالاً مروراً بكل لبنان، (كما أن حدود كنعان ما قبل سنة ١٢٠٠ ق.م. تبدأ من خليج اسكندرون ساحلاً حتى عريش مصر وشرقاً نحو البحر الميت وتمتد شمالاً حتى تصل بمحاذاة نهر الفرات) وهذه المنطقة عرفت باسم كنعان وربما تعني سكان المنطقة المنخفضة أي السّواحل، وبذلك يكون أصل كلمة كنعان هو فعل "كنع" أي انخفض باللغة السامية، وتعني أيضاً كنع الإنسان في الأرض أي بنى وركع وصلّى. واسم فينيقيا ربما من "فينيكس" حيث أطلقه اليونانيون أو المصريّن أيضاً بمعنى "سكّان المنطقة المنخفضة" كما يعني اللون الأحمر القاتم أي "الأرجواني" لاشتهار مدن فينيقيا بصناعة الأرجوان، وهو الصباغ الأحمر الضارب إلى البنفسجي المستخرج من نبات الأرجوان المعروف باسم زمريق، ومن أصداف الموركس أو التّمر والنّخيل كما تدل أيضاً إلى طائر الفينيق الذي هو دائما بتجدد انبعثت أسطورته من هذه الأرض.

* كنعانيون :

ينقسم الكنعانيّون حسب التصنيف اللغوي إلى عدّة فروع أشهرها :-

- الفينيقيّون: سكنوا على سواحل البحر الأبيض المتوسّط الشّرقي (الشّاطئ السوري واللبناني).
- الأموريون: سكنوا في سوريا الدّاخليّة كما امتدوا إلى جبال لبنان وجبال فلسطين.
- المؤابيون: سكنوا شرقي البحر الميت.
- العبرانيون: سكنوا جنوبي ووسط فلسطين.
- العمونيون: سكنوا شرقي نهر الأردن.

* الفينيقيون :

(بنو قين في المرويات العربية القديمة، ويقال أنها حرفت إلى فينيسيان عند نطقها من قبل الرومان) أو الكنعانيون (بالإغريقية: Φοίνικες فوينيكِس) هم أحد الشعوب السامية القديمة التي سكنت لبنان وسوريا وفلسطين وأنشأت ممالك صغيرة عكا وجبيل وصيدا وصور وفي الفترة مابين (١٠٠٠ : ٧٠٠) ق.م أنشأوا مستعمرة لهم في قرطاج وكانوا قوة مهيمنة في العالم القديم حتى ١٤٦ق.م إثر سقوطها عقب حروب بونية ثالثة. وقد أختلف في أصولهم فقيل هم نازحين من الجزيرة العربية وكتبة اليهود إعتبروهم من نسل كنعان من حام على طريقتهم في تقسيم الأمم بينما الأبحاث والحفريات تظهر أن أصولهم تعود إلى سيناء الموطن الأول للأبجدية الكنعانية.

نشرت عدد من الدراسات البيولوجية؛ إحداها نشرتها مجلة ناشونال

جيوجرافيك: أن واحداً من كل ثلاثة لبنانيين (سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين) هم من أصول فينيقية.

* أصل الفينيقيين :

رغم تعدد البعثات الأثرية التي عملت في جميع المواقع الفينيقية القديمة، فإن الكشف في هذه المواقع لم يتعد الطبقات الأرضية التي ترجع إلى العصور البيزنطية والرومانية وفي بعض المواقع إلى الفينيقيين وقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية البابلية والآشورية والفرعونية واليونانية. والمتفق عليه أن نشأة المدن الفينيقية ترجع إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد اختلف المؤرخون في أصول نشأتهم. منهم من قال أنهم أتوا من شواطئ البحر الأحمر ومنهم من أرجعهم إلى شعب دلمون في الخليج العربي. إلا أنهم اتفقوا على أن الفينيقيين هم كنعانيون ساميون من صلب سام بن نوح. وربطهم الطبري بالعماليق من العرب البائدة.

◄ النسب إلى شرقي الجزيرة العربية :

أما سترابون (٦٤ق.م : ١٩م)، الجغرافي الروماني، أشار إلى أن المقابر الموجودة في جزر البحرين تشابه مقابر الفنيقيين، وأن سكان هذه الجزر يذكرون أن أسماء جزائرهم ومدنهم هي أسماء فينقيّة. وقال أيضاً إن في هذه المدن هياكل تشبه الهياكل الفينيقية. ومن الأدلة التي تدعم هذه النظرية، أسماء في شرق الجزيرة العربية تحمل نفس أسماء المدن التي أنشأها الفينيقيون على الساحل اللبناني. مثل صور على ساحل عُمان، وجُبَيْل، وجزيرة أرواد (أرواد وهي الاسم القديم لجزيرة المحرّق في البحرين)، وجزيرة تاروت بالقطيف التي تقارب اسم مدينة بيروت بلبنان. وقد عثر بتاروت والقطيف على آثار فينيقية كثيرة.

كما يذكر أن الفنيقيين انطلقوا من مكران إلى الساحل الشامي حيث بنوا مدنهم وأنشأوا حضارتهم التي نشروها في البحر الأبيض المتوسط. وأما فرنسيس لزمان مؤلف "تاريخ الشرق القديم" فيرى أنهم "سلكوا طريق القوافل من القطيف إلى وادي غطفان وجبل طويق في نجد. ثم مروا بالوشم والقصيم فالحناكية. ومنها ساروا في الطريق التي يسلكها الحجاج في كل سنة".

وبالنظر إلى ما أجمع عليه المؤرخون والآثاريون نجد أن الفنيقيين مثل العرب ساميون. بل أنهم عرب الأصل. نزحوا من الشواطئ العربية الشرقية على الخليج العربي، من القطيف ومن البحرين إلى سواحل البحر المتوسط في قديم الزمان. وقد جاء في الجزء الثاني من "لغة العرب": "..والظاهر أنهم (أي الكنعانيين – الفينيقيين) من أصل عربي فقد نقلت التقاليد القديمة أنهم ظعنوا من الديار المجاورة للخليج العربي إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط". وقال هنري راولينسون أن أصل الفنيقيين (الكنعانيين) من سكان البحرين والقطيف في الخليج العربي. ظعنوا من هناك إلى سواحل الشام منذ نحو خمسة آلاف سنة. وأنهم عرب بأصولهم وأن هناك مدناً فنيقية أسماؤها فنيقية مثل صور وجبيل وارواد.

◄النسب إلى العرب البائدة :

وقد ذكر المؤرخ العربي "أبو جرير الطبري" (المتوفى عام ٣١٠هـ/٩٢٢م) أن: "الكنعانيين هي من العرب البائدة، وأنهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة". وقال "ابن خلدون" عن الكنعانيين آخذا عن الطبري: "...وأما الكنعانيون هم من العمالقة، كانوا قد انتشروا ببلاد الشام وملكوها". وقال أيضاً: "أول ملك كان للعرب في الشام فيما علمناه للعمالقة". وقال أيضاً: "وكانت طَسْم والعماليق وأُميم وجاسم يتكلمون بالعربية".

* تحليل جينوغرافي :

قام الدكتور "بيار زلّوعة" (المختص في دراسة الحمض النووي والمدرِّس في الجامعة اللبنانية الأميركية) بإجراء دراسة حديثة ضمن المشروع الجينوغرافي التابع لمؤسسة ناشيونال جيوغرافيك الذي يهدف إلى دراسة حركة هجرة الشعوب تاريخياً. وقد تمكّن خلال سنوات الدراسة من استنتاج البصمة الفينيقية الموجودة في الحمض النووي المستخلص من بعض الآثار الفينيقية، وفي جينات الصبغي (Y) عند نسبة معتبرة من الذكور الذين يعيشون حالياً في مناطق التواجد القديمة للحضارة الفينيقية في محيط البحر الأبيض المتوسط. هذه البصمة الفينيقية (الهابلوغروب J2) وصل حاملوها إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط قبل نحو ١٠ آلاف سنة، أي مع بداية عصر التحضر (الانتقال من حالة الترحال إلى حالة الإقامة). وسكنوا هذه الأرض وأنشأوا قراهم ثم مدنهم، وهاجر بعضهم إلى أماكن أخرى من حوض المتوسط حيث بنى مستوطنات وخلّف هناك آثاره وجيناته. فالجين (J2)موجود في كلّ المدن التي استخدمها الفينيقيون في حوض المتوسط - من قرطاج إلى صقليّة ومالطة وغيرها- والتي يعود تاريخ وجودهم فيها إلى ٢٠٠٠ ق.م. وعلى الرغم من دراسات سابقة أجراها باحثون آخرون تدل على أن هذا الهابلوغروب (J2) ليس فقط للفينيقيين فهو أقدم عمراً من تاريخهم وموجود بكثرة في جميع منطقة الهلال الخصيب، بل وبصورة أكبر بكثير في القوقاز، إلا أن دراسة بيار زلوعة تعدت الهابلوغروب (J2) لتحدد إضافياً وعلى وجه الخصوص ستة نسخ متنوعة من نيوكليوتيدات قصيرة متكررة جنباً إلى جنب، تعرف بالنمط الفرداني (Y-STR)، تحمل بصمة فينيقية منفردة في الخصوصية. وبالتالي تمثل الأنماط الفردانية الستة المكتشفة -(PCS1+ وصولاً إلى

PCS6+)- الأنساب التي من المرجح أنها نشرت عبر الفينيقيين أثناء استعمارهم لسواحل حوض البحر المتوسط، ويدعم هذا الترجيح ارتفاع ترددات هذه الأنماط الفردانية في كل من مستعمراتهم وفي قلب وطنهم الأم فينيقيا، على حدٍ سواء.

* مدن فينيقيّة :

ترجع نشأة المدن الفينيقية إلى ألوف السنين على الساحل المعروف في يومنا الحالي بالساحل اللبناني ودامت هذه المدن ما يقارب من خمسة وعشرين قرناً. بلغت فينيقيا والمدن التابعة لها ذروة مجدها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد إذ كانت اتصالاتها البحرية تشمل مناطق العالم القديم بأكمله وبلغت تجارتها درجة عظيمة. حيث أقامت المدن (الكنعانيّة – الفينيقيّة) علاقات تجاريّة وثقافيّة مع مصر وبلاد الرافدين، وهذه العلاقات كانت تقوم على أساس المودّة. وبين تابعٍ ومتبوعٍ، فكانت هذه المدن تؤمّن للبلاد المقيمة معها علاقات أخشاب الأرز التي تستخدم في البناء وصناعة السّفن.

هناك عدّة مدن أخرى بنوها في لبنان وسوريا وفلسطين، كما لكلّ مدينة مرفآن شمالاً وجنوباً وذلك لتسهيل الاتصالات بين المدن. بالنسبة للمدن الواقعة على الساحل السوري الممتد من أقصى شمال سوريا حتى جنوب فلسطين مثل صور، صيدون (صيدا)، بيروت، جبيل، أوغاريت، الإسكندرون، عكا... كما أنها ضمت مدينة قرطاج . أما عاصمة فينيقيا فهي "جبيل" أو "بيبلوس". ومدينة "جبيل" موجودة إلى يومنا هذا في لبنان.

تقع المدن الفينيقيّة على الشّاطئ الشّرقي للبحر المتوسّط وأهمّها :

– **جبيل** : قديماً جبال وبيبلوس وذلك في العهدين اليوناني والرّوماني، من أهم المدن الفينيقية وأقدم مدينة مأهولة في العالم ومصدر الأبجدية الفينيقية.

– **صور** : التي تعتبر من أقدم المدن الفينيقيّة، حيث يعود تأسيسها إلى الألف الثّالث قبل الميلاد، وقد غدت منذ أواخر الألف الثّاني قبل الميلاد من أكثر المدن الفينيقيّة صيتاً وشهرة.

– **بيروت** : (بيريت)– الدّامور– صيدا التي كانت أكبر المدن الفينيقيّة.

– **أوغاريت** : (رأس شمرا حالياً) تقع شمال مدينة اللاذقية وتعتبر من أهمّ المدن الفينيقيّة نظراً لموقعها الجغرافي.

– **أرواد** : وهي الجزيرة الوحيدة المأهولة على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط في سوريا.

– **طرابلس** : (تريبولي). وقد عرفت بهذا الاسم اليوناني الأصل لأنّها كانت تتألّف من ٣ مدن صغيرة أو ٣ أحياء خاصّة بالصّوريّين والأرواديّين والصّيدونيين.

– **طرطوس** : من المدن الفنيقية الهامة ولها ميناءها الفينيقي المعروف قديماً.

– **صيدا** : أو صيدون وتعتبر من المدن المهمة أيضاً.

– **جبلة ميناء** : مملكة سيانو.

• **صيدا** : اتخذها الفينيقيون عاصمة لهم. انطلقوا منها ليؤسسوا محطات تجارية في دول عديدة. وقد أثبت علماء التاريخ أن الفينيقيين وصلوا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية كما أنهم سبقوا كريستوفر كولومبس في اكتشاف القارة الأمريكية الشمالية بقرون عديدة. عرفت مدينة صيدا بتجارتها التي سيطرت على المنطقة خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر.

• **جبيل بيبلوس** : اشتهرت جبيل بمكانتها الدينية والتجارية كما أنها عرفت

بموطن ولادة الأبجدية الرومانية المأخوذة عن الكتابة الفينيقية.

- من الآثار الفينيقية الموجودة في مدينة جبيل : بقايا البوابات والأسوار المحصنة للمدينة، وعدة هياكل ومقابر ملوك جبيل التي تقع تحت الأرض .

• **صور** : انطلق منها الفينيقيون بقيادة الملكة أليسار وهي ابنة الملك ميتينوس، ليؤسسوا مدينة قرطاج في شمال أفريقيا. أحرزت صور تقدماً في مجال التجارة مما جعلها تتفوق على صيدا. وقد عرف البحر المتوسط لفترة من الزمان ببحر صور.

- أما الآثار الموجودة في مدينة صور تعد قليلة، ومنها: حاجز الماء وحائل الأمواج الذي يعد معزولاً عن ساحل المدينة، ومقبرة آحيرام الأول (الملك الذي حكم صور) التي تبعد بضعة كيلومترات عن المدينة.

• **بعلبك** : أنشأها الفينيقيون في أوائل العام ٢٠٠٠ ق.م فبنوا فيها أول هيكل الذي أهدى لإله الشمس، بعل. ومن هنا حصلت المدينة على اسمها. لكن الهيكل لا يمكن رؤيته الآن بسبب الأعمدة الرومانية التي بنيت فيما بعد في بعلبك. وقد كانت بعلبك على عكس المدن لأخرى، معزولة عن التجارة .

• **قرطاج** : أسستها الملكة أليسار . عرفت قرطاج بعاصمة المجد وملكة البحار بسبب ما احتلته من مكانة عالية من الرقي والتمدن والازدهار. امتازت هذه المدينة بالحيوية والبراعة والإبداع. استطاعت أن تسيطر على المستعمرات المغربية كما أنها لعبت دوراً حضارياً في شمال أفريقيا وجزر البحر المتوسط وبريطانيا.

* الحضارة الفينيقيّة :

عرفت الحضارة الفينيقية عصرها الذهبي منذ سنة ٥٠٠ إلى سنة ١٠٠ قبل الميلاد فقد استمر ازدهار صور ونفوذها زمناً طويلاً في حوض البحر الأبيض

المتوسط الشرقي، حتى ما بعد سنة ٥٠٠ ق.م يحميها أسطولها الكبير الفريد من نوعه آنذاك. وترجع أول إشارة إلى الفينيقين في النصوص القديمة في الكتابات المصرية الفرعونية التي تطلق على الفينيقيين في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد اسم الأسرى الشرقيين والحطابين نظراً لاكتساء مناطقهم ولا سيما الجبال بشجر الأرز الذي كانوا يحتطبون منه ويستخدمونه في التجارة مع مصر وغيرها. وقد بني هيكل سليمان في أورشليم من شجر أرز لبنان أو (أرز الرب) كما يسمى في التوراة والذي لا يتواجد إلا في لبنان. وقد كان للفنيقيين أبجدية خاصة بهم وكتابة كانت الأكثر تطوراً في عصرها حيث تأثرت بها المناطق المجاورة.

* مصادر الحضارة الفينيقيّة :

إنّ معظم معلوماتنا في التاريخ الفينيقي هي :

أولاً المصادر الخارجيّة :

١- الكتابات المصريّة والبابليّة والآشورية : لاسيّما الرّسائل التي تبادلها فراعنة مصر وأمراء سوريا والمدن الكنعانيّة.

٢- المصادر اليونانيّة : قصائد الشّاعر هوميروس في الملحمتين الإلياذة والادوسية، وكتابات المؤرّخين اليونانيّين أمثال هيرودت.

٣- المصادر الرّومانيّة : "يوستينوس".

٤- كتاب التناخ : الذي ورد فيه اسم كنعان بكثير من السلبية وأسماء مدن فينيقيّة هامّة.

ثانياً المصادر الداخلية :

- الكتابات الفينيقيّة : الّتي نقشت على النّواويس والأنصاب والاكتشافات الأثريّة

الحديثة لمدينتي أوغاريت وجبيل، كذلك الحفريّات في صور وصيدا والبقاع.

* التّنظيم السّياسي :

لم يمل الفينيقيّون إلى إقامة دولة قويّة على غرار البابليّين والآشوريّين والمصريّين إنّما كانوا مقسّمين إلى عدّة (دويلات – مدن)، وكان التّنافس سائداً بينها، وتعود أسباب عدم إيجاد الوحدة السّياسيّة بينها إلى ما يلي: التّنافس التّجاري فيما بينهم وصعوبة المواصلات (جبال – غابات – أودية – مسالك وعرة). وبالرّغم من عدم توصّل المدن الفينيقيّة إلى إيجاد الوحدة السّياسيّة، فقد كان التّحالف أحياناً يتمّ بين بعضها تحت زعامة إحدى المدن الكبرى بدافع الخوف من أخطار خارجيّة كانت تهدّدها.

* نظام الحكم :

كان نظام الحكم عند الفينيقيّين ديمقراطياً فكان لكلّ مدينة حكومة خاصّة بها يترأسها حاكم أو ملك يحكمها بالوراثة، سلطته مقيّدة، يساعده في إدارة الحكم مجلسان هما: مجلس تمثيلي "هيئة من المشرّعين" مجلس الأشراف "الأغنياء" إضافة إلى ذلك الكهنة الذين كان لهم دورٌ كبير في إدارة دفّة الحكم. وقد شكّلت مدن صور وجبيل وأرواد اتّحادا اقتصادياً مركزه طرابلس التي كانت تعقد فيها المؤتمرات العامّة للتّداول في الشّؤون الاقتصادية والمشاكل المشتركة والعمل على ضبط الاستقرار الدّاخلي كي تؤمن مصالح كلٍّ منها، وقلّما كانوا يناقشون الأمور السّياسيّة.

تألفت فينيقيا من عدة ممالك؛ وضمت كل مملكة مدينة اعتبرت عاصمة لها. عرف نظام الحكم في فينيقيا بالملكي الوراثي حيث كان يمثل الملك الآلهة

وله السلطة المطلقة في إدارة شئون المملكة التي يحكمها. أما كبار المدينة ورجال الدين والقضاة لعبوا دور مساعدو الملك في إدارة المملكة. أما الجيش فقد تكفل حماية المملكة وتأمين القوافل التجارية.

* الدّيانة :

كان للفينيقيين دين واحد استمر طيلة وجودهم لم تطرأ عليه أي تغيرات بارزة إلا خلال النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد. وهذه الديانة تتلخص بتمجيد العناصر والظواهر الطبيعية متجسدة في آلهة متعددة منظمة داخل مجلس الآلهة لكل منها رتبته ووظائفه وفق نظام ميثولوجي معقد. فقد اعتمد الدين الفينيقي السامي الأصل على الاعتقاد بظاهرة الخصوبة والإنتاج حيث آمن الفينيقيون ببعض قوى الطبيعة التي أحاطت بهم وقامت ديانتهم على عبادتها؛ كالشّمس والقمر والأرض والسّماء والبحر والمطر والبرق والرّعد والعواصف، وجعل الفينيقيّون لكلّ من الحرب والزّراعة والملاحة والصّيد إلهاً ودعي بالبعل، إضافة إلى أنّهم ألّهوا ملوكهم وأبطالهم، واعتقدوا بالتّثليث الإلهي (أب وأم وابن). إيل عناة بعل (عشتروت وادونيس) وفي مرحلة متقدمة كان الإله ايل في كل شيء حتى أصبح الفينقيين يعتبرون أول شعب آمن بالإله التوحيدي إيل، كما أنهم عبدوا الكثير من الآلهة. وكان لكل مدينة إله يعبد. وسمى الفينيقيون بعض آلهتهم نسبة إلى المدن التي أقاموا فيها.

◂أشهر آلهتهم :

إله القوى الكامنة (الإله إيل) سيّد الآلهة- بعل وهو رب الخصب والنماء "الرّب" حيث كان لكلّ مدينةٍ بعلها وبعلتها مثال 'بعلبك' (بعل – بك)، 'بعلشميه' (بعل–شميه)، بعل بيروت. وأدونيس إله الشّمس والحياة مركز عبادته الرئيسي في

جبيل، وعشيقته عشتار إلهة الحبّ والخصب والجمال وكانت عبادتهما منتشرة في جميع المدن الفينيقيّة. وأشمون إله الصحّة (صيدا) وملكارت (صور) ملك المدينة. ورشف إله البرق والرّعد والنّور، وداغون إله الزّرع والنّبات وموت إله الموت.

ومن الآلهة التي عبدها الفينيقيون وقدسوها، إله المطر (الإله بعل)، الإله (أشمون)، الإله (إيسيس). أما في قرطاج، فقد عبدوا آلهة الخصوبة والإنتاج (تانيت)، والإله (بعل آمون) بالإضافة إلى الآلهة التي عبدت في بلاد الشام. وقد استمرت عبادتهم حتى العهد الروماني. وكان أكبر الآلهة رتبة هو ايل وهي أنثى تلقب أيضاً بـ 'أشيرة البحر'، أما بعل الآلهة الثاني بعد ايل. حيث وجد بعض التماثيل المجسدة لكلاهما في الفن الفينيقي المزدهر. حيث كان الفن الفينيقي يتميز بالانتقائية كونه متأثراً بالحضارات المجاورة. ولم يتخذ له أسلوباً مستقلاً إلا في الألف الأول قبل الميلاد؛ فقد بدأ يتكون له طابعه الخاص والمميز وخصوصاً تأثره باللون الأحمر بالذات وتدرجاته؛ لأن معظم الفنيقيين كانوا من الحرفيين والمحبين للفن، ولِكَوّن الفينيقي مسالم غير محب للحرب إلا للدفاع عن النفس فقد كان يستخدم فنونه وتجارته لشراء السلام مع الدول المجاورة.

* المعتقدات الدينية عند الفينيقيين :

اعتقد الفينيقيون بالحياة الثانية فبنوا مقابرهم التي وضعوا فيها الميت بالإضافة إلى أدوات خاصة به للاعتقاد بأنها ستلزمه عند قيامه في الحياة الثانية. وقد امتازت هذه الأدوات بالبساطة فضمت بعض الأدوات المنزلية التي كان يستعملها الفينيقيون كالأواني الفخارية والمصابيح الزيتية. إلى جانب المقابر شيّد الفينيقيون معابد امتازت بالتأثر بالطابع اليوناني وقد اهتم بها الكهنة المتفرغون الذين عرفوا بتوارث الكهانة في عائلتهم.

كانت ديانة الفينيقيين مجموعة من الطّقوس والعبادات تقيمها المدن الفينيقية، وتختلف باختلاف الأمكنة التي تقام فيها، بالرغم من اشتراكها جميعاً في النظرة ذاتها للإله وللظواهر الكونيّة والطبيعيّة.

* الهياكل :

أقام الفينيقيّون المعابد تمجيداً لآلهتهم، وكان أشهرها معبدي أدونيس وعشتار في مغارة أفقا منبع نهر إبراهيم في جبيل وكان الهيكل يتألّف من ٣ أقسام هي:

- القسم الدّاخلي موضع الإله وعبادته .
- القسم الخارجي وهو المعبر إلى الدّاخل .
- السّاحة العامّة؛ وكانت مساكن الكهنة والموظّفين إلى جانبها .

* تقديم الأضاحي :

كان الفينيقيّون يقدّمون إلى الآلهة الضّحايا البشريّة في الأوقات العصيبة، وكان تستبدل بالحيوانات في بعض الأحيان، التي كانت دماؤها تصبّ على الأنصاب ولحومها تحرق على المذابح، اعتقاداً منهم أنّ دخانها يشبع الآلهة ويرضيها، وكانت الصّلوات والدّعوات والرّقص والتّزانيم تقام على يد الكهنة.

* مواسم الاحتفالات :

كان لدى الفينيقيّين موسمان رئيسان هما :

- **موسم الفرح والبهجة والسّرور** : الذي كان يقام في فصل الرّبيع رمزاً لولادة الإله أدونيس من جديد.

- **موسم الحزن** : والكآبة الذي يقام في الخريف رمزاً لموت الإله، ويعود ذلك إلى قصّة أدونيس الذي صرعه حيوانٌ بريٌّ متوحّش في غابات وادي نهر إبراهيم الذي أصبح مقدّساً لدى الفينيقيّين، وأخذت تتوسّل للإله موت (ملك العالم السّفلي) لإحيائه من جديد، فكان لها ما أرادت.

- **ما بعد الموت** : لم يعتقد الفينيقيّون بالحياة الثّانية، إنّما كانوا يعتقدون أنّ الرّوح لا تفنى بعد الممات، إنّما تستقرّ في حالة سكونٍ وهدوء، قريبةً من الجسد (أي من صاحبها). كان الفينيقيّون يدفنون ملوكهم والنّبلاء في نواويس حجريّة، بينما كانوا يدفنون العامّة في توابيت خشبيّة، وقد وضعت هذه النّواويس والتّوابيت في أماكن آمنة لا تنالها أيدي اللصوص، حيث كان يوضع مع الميّت ما يحتاج إليه من مؤن وأواني خزفيّة وحلى. وكان اسم الميّت ينقش على قبره، وكان ذوو الفقيد وأقاربه يزورونه من حينٍ إلى آخر، ويضعون على قبره الورود والطّعام والشّراب ظنًّا منهم بأنّ روحه تسرّ بذلك.

* إنجازات الفينيقيين :

١- اختراع الأبجدية :

تعد اختراع الأبجدية من أعظم ما قدمته الحضارة الفينيقية للبشرية. ابتكرت هذه الكتابة عام ١١٠٠ ق.م و قد تألفت من ٢٢ حرفاً يمثل كل واحد منها صوت معين. سميت أيضاً بأبجدية جبيل. استعان الفينيقيون بالكتابة السومرية والمصرية القديمة ثم طوروها مع مرور الزمن. في البداية كانت تكتب هذه الحروف على ألواح من الطين أو الفخار ثم فيما بعد كتبت على أوراق البردى المصرية. أكسب اختراع الأبجدية فينيقيا مكاناً هاماً في تاريخ الحضارة.

٢- اكتشاف الصباغ الأرجواني :

كان الفينيقيون أول من اكتشف اللون الأرجواني فاستخرجوه من أصداف المريق وهي نوع من المحار وجد بالقرب من الشواطئ الفينيقية. أدخل الفينيقيون الصباغ الأرجواني على أقمشتهم فاشتهروا بصناعة الأقمشة الأرجوانية اللون .

٣- صناعة السفن :

كانت السفن الفينيقية عبارة عن مراكب شراعية تتألف من سارية واحدة، شراع مربع، ومجاديف يدوية. اعتمد عليها الفينيقيون في تجارتهم وأسفارهم وتبادل صناعاتهم مع الدول الأخرى المجاورة لها والبعيدة عنها.

* علوم الفينيقيّين وفنونهم وآدابهم :

*طرق الكتابة قبل اكتشاف الأبجديّة الفينيقيّة: قبل اكتشاف الأبجديّة الفينيقيّة في القرن الرّابع عشر قبل الميلاد، كان العالم القديم يعتمد في الكتابة طرقاً مختلفة ، فقد ظهرت الكتابة لأوّل مرّة في كلٍّ من مصر وبلاد ما بين النّهرين في أوائل الألف الثّالث قبل الميلاد. وجاءت هذه الكتابات تصويريّة "هيروغليفيّة" في مصر و"مسماريّة" في بلاد ما بين النّهرين، ثمّ تطوّرت كلٌّ من الكتابتين إلى مقاطع صوتيّة ثمّ إلى الصّوت حيث وضع له شكلٌ أو حرفٌ حتّى بلغ عدد هذه الأحرف الأبجديّة ٢٤ حرفاً في أوائل الألف الثّاني قبل الميلاد .

* اكتشاف الأبجديّة الفينيقيّة :

يجتمع معظم علماء اللغات والآثار على أن اختراع الأبجدية الأم التي ولدت منها جميع لغات وأبجديات العالم مثل: (اليونانية والعربية والعبرية والصينية ... إلخ)، تم على أيدي الفينيقيين حيث وجد أقدم رقم (لوح فخاري) مكتوب

عليه الأبجدية في أوغاريت قرب مدينة اللاذقية في سوريا. المؤرخ هيرودوتس اليوناني نسب الاختراع إلى "قدموس" الفينيقي الصوري. ولما انتقل قدموس إلى طيبة نشرها بين شعوب أوروبا. وبذلك ساهم في نشرها في جميع بلاد العالم شرقاً وغرباً؛ وهناك آثار في مدينة طيبة عبارة عن نقش لصورة قدموس يعلم ابناءه الحروف الأبجدية. ومن أقدم الكتابات التي كتبت بالأبجدية الفينيقية منقوشات 'قبر أحيرام' ملك جبيل أو "بيبلوس". يذكر أنه وجد آثار لنصوص فينيقية في دول أخرى مثل مصر وقبرص وإسبانيا وإيطاليا وخاصة تونس وفي أكثرية حوض البحر المتوسط حتى أن آثار الفينيقيون وصلت إلى القارة الأمريكية، كما ذكر الباحث "ستيف بارثالوميو" عن أثار فينيقة تعود لقرطاجة في وسط ولاية يوتاه في الولايات المتحدة الأميركية. وكانت تكتب حروف اللغة الفينيقية من اليمين إلى اليسار (مثل العربية). وتعتبر الأبجديّة الفينيقيّة أهمّ المنجزات الحضاريّة وأعظم ما قدّمه الفينيقيّون من خدمات إلى العالم. وأشهر الأبجديات أبجدية أوغاريت وهي أكمل الأبجديات. فقد عرف الفينيقيّون بتلك الكتابة المقطعيّة الصّوتيّة. وكان لابدّ للفينيقيّن من تطويرها ومن استنباط كتابة جديدة تتّفق ومتطلّباتهم الحياتيّة والاجتماعيّة وخالية من التّعقيد والالتباس، وأكثر فهماً ووضوحاً للجميع، وقد وضعوا لها القواعد إلى أن أخرجوها كتابة أبجديّة، مؤلّفة من اثنتين وعشرين. حرفاً فاستعملوها ونشروها في العالم.

كانت قد ظهرت عدّة كتابات فينيقيّة أشهرها "أبجديّة أوغاريت" التي كتبت بأشكال مسماريّة في القرن الرّابع عشر قبل الميلاد –كما ذكرنا سلفاً– واشتهرت مع المدينة الّتي وصلت بشهرتها مناطق واسعة من شرق المتوسط ودمّرت على يد الغزاة الآنيين الذين أتوا من اليونان، وقد شكلت أبجدية أوغاريت أحد أهم وأكمل

الابجديات على الإطلاق. وأيضاً "الأبجديّة السّينائيّة" (كشفت نصوصها في سيناء) التي تمثّل إحدى المحاولات التي قام بها الكنعانيّون للانتقال من الكتابة التّصويريّة – المقطعيّة إلى الأبجديّة، و" أبجديّة جبيل " التي تتألّف من ٢٢ حرفاً كانت تكتب بالقلم والحبر على ورق البردي، من اليمين إلى اليسار، وكان الأصل الذي اشتقّت منه جميع الأبجديّات السّاميّة الأخرى و"الأبجديّة اليونانيّة " ومنها اشتقّت الأبجديّات الحديثة.

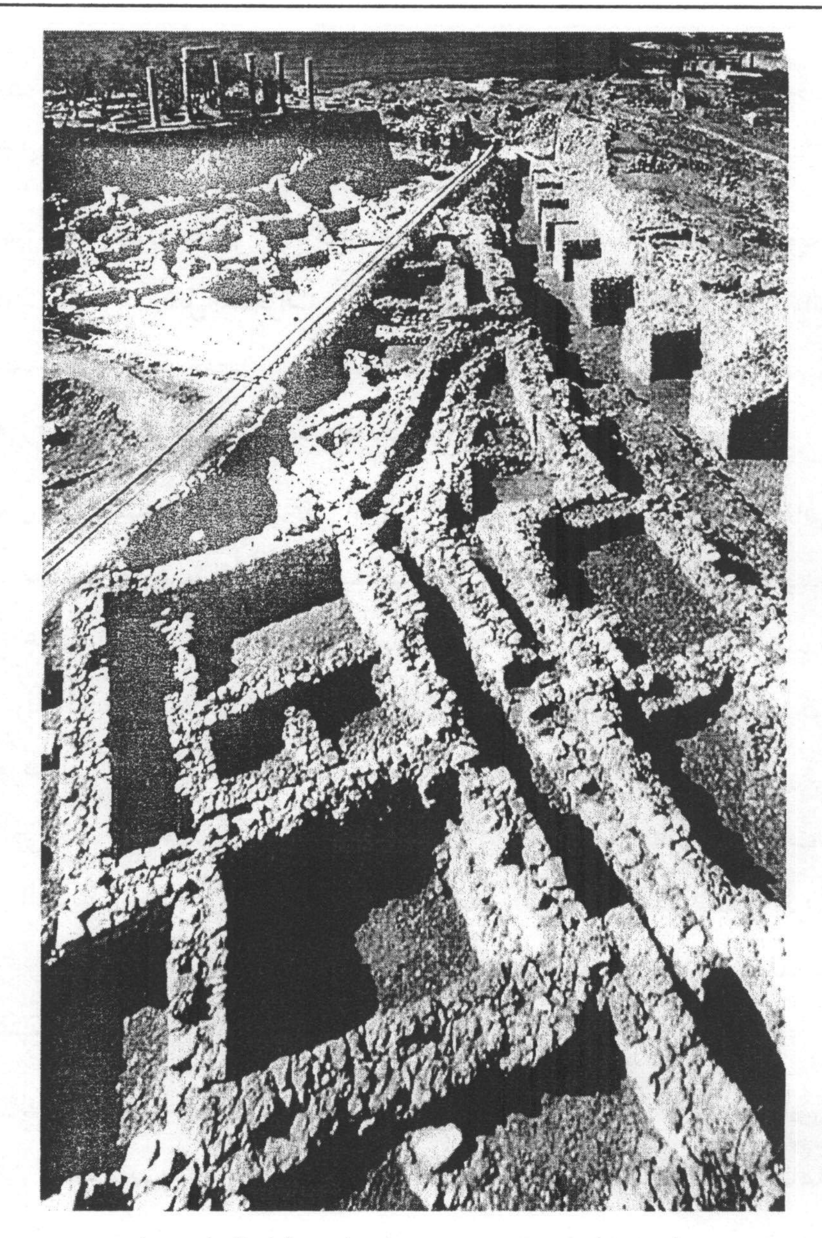
* علـوم :

كان للأبجديّة والاكتشافات الفينيقيّة، والرّحلات الجغرافيّة، والصّناعات والمستعمرات التي أنشأها الفينيقيّون في مختلف أنحاء البحر الأبيض المتوسّط الأثر إلهام في تاريخ الشّعوب القديمة عامّةً، فقد اشتهر الفينيقيّون خاصّة "الصّوريّون" و"الأوغاريتيون" بالعلوم لا سيّما في علم الفلك والحساب الضّروريّين في الملاحة والتّجارة، وكان القرطاجيّون أوّل من أصدر أوراق النّقد على جلود الحيوانات واستنبطوا خطوط الطّول ودوائر العرض ووضعوها على خرائطهم لتحديد مواقع مستعمراتهم ومحطّاتهم التّجاريّة. واكتشفوا النّجم القطبي الشّمالي لتحديد الجهات. كما ساهموا في تطوّر علم الجغرافيا نتيجة رحلاتهم الاستكشافية حول أفريقيا، وعبورهم مضيق جبل طارق، والبحار والمحيطات والتي أكسبتهم معرفة بأحوال القارّة الأفريقيّة من حيث المناخ، والنّبات والسّكّان وأنماط معيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم. وحسب المؤرخون أنّ الفينيقيّين وصلوا بسفنهم إلى السّواحل البريطانيّة، وربّما إلى القارّة الأمريكيّة قبل أن يكتشفها كريستوفر كولومبوس 'لوحة باراإبا' تثبت ذلك والتي وجدت في البرازيل (نقش بارايبا **Paraíba** أو **Parahyba**) .

*فنــون :

جاء الفنّ الفينيقي في الألف الثّالث قبل الميلاد مقلّداً لعدّة فنون خارجيّة، كالقبرصيّة والمسينيّة والإيجيّة والمصريّة والرّافديّة، إلى أن أصبح في الألف الأوّل قبل الميلاد محرّراً من الاقتباس والتّقليد، متّخذاً طابعاً خاصّاً به، فقد تجلّى فنّ الإتقان والخلق والإبداع عند الفينيقيّين في: الصّباغ الأرجواني الذي استخرج من الصّدف واستخدم في صناعة الأقمشة المطرّزة الّتي نالت شهرة عظيمة في العالم القديم. والخزف الذي تفنّنوا في صناعته، حيث شملت الكؤوس التي جاءت بشكل تماثيل راقصات، وقوارير الطّيب بشكل تماثيل صغيرة والأبارق والزّهريّات التي زيّنت بالألوان والنّقوش الجميلة، وصناعة النّقود والأختام التي بدت فيهما الدّقّة والإتقان، وأدوات الزّينة التي شملت الحلى المطعّمة بالعاج والذّهب والفضّة والحجارة الكريمة والرّسم والنّقش على الخزف والخشب والمعادن، والنّحت الذي تمثّل في تيجان الأعمدة والمسلات واللوحات الجميلة التي جاءت آية من الدّقّة والجمال. أمّا في البناء فقد تجلّت براعتهم في هندسة القصور والهياكل والسّفن التّجاريّة والحربيّة فضلاً عن اهتمام الفينيقيّين بالغناء والموسيقى وتطويرها في الطّقوس الدّينيّة، وكان العود إحدى آلاتهم الموسيقيّة التي استعملها شعوبٌ كثيرة.

يُعدّ الفن الفينيقي أحد فنون الشرق القديم. وتدل آثاره المكتشفة في أغاريت وأرواد وطرطوس وعمريت وسيميرا وجبيل وصيدا وصور وبعلبك، وتلك المحفوظة في عدد كبير من المتاحف المحلية والعالمية، على ذوق الفنان الفينيقي، وحسه الجمالي ومهارته اليدوية وخبرته المهنية وآفاقه الثقافية.



تنقيبات المدينة القديمة في بيبلوس (إلي اليمين أطلال السور المحصن)

فثمة مدن عديدة أسسها الفينيقيون في أقطار حوض البحر المتوسط، تميزت بأهمية موقعها وحسن تنظيمها العمراني. وقد لفت نظر المنقبين في أغاريت

استقامة الشوارع وتقاطعها مع بعضها بزوايا قائمة، أضف إلى ذلك الهواجس الدفاعية كبناء الأسوار وغيرها.

وتميّز الفينيقيون بالميل إلى فن العمارة الدينية والمدنية والجنائزية. ويعد «قصر أغاريت» من أجمل منجزات العمارة المدنية الفينيقية، إضافة إلى روائع العمارة الدينية الفينيقية كـ «معبد بعل» و«معبد دجن» في أغاريت، و«معبد حصن سليمان» في محافظة طرطوس و«معبد جوبيتير» و«معبد باخوس» في بعلبك.

وتدل المنحوتات الفينيقية على أن فن النحت كان ذا وظيفة روحية وثقافية تهدف إلى تجسيد مفاهيم الأرباب الفينيقيين مثل: «إيل».سيد الأرباب، ويبدو جالساً على عرشه يبارك بيده اليمنى، و«عليان بعل» الذي يجسد فكرة الخصب، و«عشتار» ربة الحب والحرب تبدو منتصبة فوق الأسد، و«أدونيس» يجسد فكرة الموت والعودة إلى الحياة وتجددها، وكان لهذه الأسطورة الفينيقية أثرها الكبير في الأدب العالمي كشعر ميلتون وغيره، وما ترمز إليه أزهار شقائق النعمان. و«عنات» أخت بعل الحريصة عليه تبدو واقفة تبارك بيدها اليمنى، و«ملقارت» الرب الفينيقي، وغيره من الأرباب الذين أوحوا إلى الفنانين بقصصهم الأسطورية فخلّدوها بروائعهم الفنية المختلفة.

وهناك التوابيت الحجرية الضخمة مثل: «تابوت ملك صور حيرام»، المحفوظ في متحف بيروت، والمنحوت على سطحه الجانبي الكبير أحد مشاهد الطقوس الجنائزية، و«تابوت ملك صيدا أشمون عزر» الحجري المحفوظ في متحف اللوڤر في باريس، وعليه كتابة فينيقية تتعلق بلعنات تلحق المعتدين على القبور، إضافة إلى أنصاب حجرية تمثّل الربّ بعل ينزل المطر.

وثمة منحوتات تمثل مراكب فينيقية بعضها محفوظ في متحف بيروت، مما يؤكد أن الفينيقيين كانوا أول أمة بحرية في التاريخ، وأعظم الملاحين، وأمهر التجار في تاريخ الحضارة الإنسانية.

كما توجد روائع عاجية مثل : بوق من ناب فيل يمثل الربة عشتار يحيط بها أسدان مجنحان، ورأس أميرة من العاج تزين جبهتها حلي ذهبية، وتتميز قسماتها بقوة تعبير ينمّ على مشاعر غامضة، وتمثال صغير من العاج لامرأة تعزف بآلتها الموسيقية، ولوح من العاج كان يزين عرش الملك الأغاريتي، تبدو على كل من جانبيه ستة مشاهد مختلفة تمثل مختلف الفعاليات الفينيقية، ومائدة عاجية كبيرة مستديرة الشكل تمثل وردة في الوسط ونسوراً باسطةً أجنحتها، وظباء، وغطاء علبة من العاج يمثل ربة جالسة تحيط بها عنزان وتقدم إليهما السنابل والأعشاب. كل ذلك يدل على أهمية المصنوعات العاجية في بلاد الفينيقيين وقيمتها الفنية وأهميتها الجمالية.

وينسب فضل ابتكار الزجاج إلى الملاحين الفينيقيين. ومن أجمل هذه الابتكارات قمقم عاتم غير شفاف اكتشف في أغاريت، له شكل أسطواني مزين بخطوط أفقية متوازية من المينا البيضاء.

ومن الآثار الفينيقية: تمثال برونزي لرب المطر البعلبكي، وجلجل برونزي يعلوه رأس عنز، وتماثيل برونزية صغيرة تمثل الأضاحي. ومن الآثار الحجرية أوانٍ من الألباستر (الرخام الشفاف)، وتمثال شخص يحمل على كتفه الأيسر جرة صغيرة كانت تحفظ فيها العطور أو المساحيق التجميلية النسائية، ومن الآثار الفخارية الفينيقية تماثيل الربة الأم تلمس بيديها ثدييها رمز الأنوثة والخصوبة والأمومة، ومن تماثيل الحيوانات الفخارية تمثال ثور تعلو ظهره عروة، وهو يرمز

إلى الأرض والزراعة، وتمثال رأس أسد فاغر فاه. وتدل الأواني الفخارية والخزفية مختلفة الأشكال والأنواع والحجوم على مختلف ميادين استعمالاتها في الحياة، وقد زينت بالرسوم المختلفة، مثل قائد يعود على عربته ويستقبله مواطنوه، أو حيوانات بحرية مثل الأخطبوط والسمكة وغيرها. والجدير بالذكر أن هذه الرسوم الفنية تشكل بدايات تطور فن الرسم والتصوير.

كما نبغ الفنانون الفينيقيون في ميادين الصياغة الذهبية والفضية والبرونزية والخزفية، ويدل على ذلك قرط ذهبي مكتشف في أغاريت تزينه خيوط ذهبية دقيقة الصنع، والخواتم الفضية الجميلة التي نقش على فصها الفضي مشاهد مختلفة مثل الغزال، والثور، والكائنات الخرافية، والزخارف النباتية وغيرها، والمشابك الفضية التي يتوسطها ثقب، والصحن الذهبي المزين بمشهد صيد جميل، أبدعه الصائغ بطريقة الطَّرْق، أضف إلى ذلك طاسة ذهبية مزينة بمشاهد فنية جميلة. والجدير بالذكر أنه عثر في أغاريت على قوالب لصناعة العقود وغيرها من الحلي الفينيقية الجميلة المختلفة، وكان الشاعر اليوناني هوميروس قد أشاد بمهارة فناني صيدا ووصفهم بـ «رجال حذق ومهارة في الأعمال اليدوية الدقيقة».

وفي مجال المصنوعات اليدوية المعدنية المختلفة كالأسلحة والأدوات والشص لصيد السمك، توجد كفتان صغيرتان مستديرتان من ميزان صائغ اكتشفتا في أغاريت مع مجموعة من الوزنات المعدنية لها أشكال حيوانات مثل: غزال، وثور، وبقرة، وأسد رابض، وطائر، وبط أو شكل كرة أو زيتونة.

وبرع الفنان الفينيقي في صنع الأختام المبسطة والأختام الأسطوانية التي كانت في بادىء الأمر بمثابة تميمة تحمي صاحبها وحاملها من الروح الشريرة وتجلب له الحظ السعيد، وكان لهذه الأختام الأسطوانية استعمالات مختلفة في

ميادين الحياة اليومية الدينية والاقتصادية، وتمثل مشاهد مختلفة للأرباب والطقوس الدينية والعادات الاجتماعية والتقاليد المتوارثة، إضافة إلى الزخارف الهندسية والنباتية، وكانت هذه الأختام تصنع من أحجار الهيماتيت والستاتيت والصدف والخزف وغيره. وعثر في أغاريت على مجموعة من الجعل المصرية الجميلة والمهمة التي كانت من أدوات الزينة النسائية والذكريات الحياتية، وكان لها أهميتها في الحياة العامة والدينية والاجتماعية.

وبعدما كانت التجارة والمبادلات التجارية تعتمد على السبائك المعدنية وأوزانها؛ بدأت كل من المدن الفينيقية (مثل أرواد وعمريت وجبيل وصيدا وصور...) تسك نقودها المعدنية الجميلة المختلفة التي تمثل على وجهها سفينة فينيقية وسط أمواج البحر وتمثل على ظهرها الأسد ينقض على الثور، وأخرى تمثل صورة جانبية لرأس «تيكة» ربة ثروة المدينة، وتتميز نقود مدينة عمريت بكتابة اسمها باللغتين الفينيقية واليونانية بجانب صورة السفينة الفينيقية عديدة المجاذيف.

ويظهر على قطع أخرى مبنى معبد جوبيتير في بعلبك، أو صورة الربة عشتار عند مدخل المعبد الذي تعلوه جبهة معمارية مثلثة.

واشتهر الفينيقيون بصناعة النسيج وصباغة الأرجوان الأحمر الجميل، وقد عثر على كميات كبيرة من أقراص المغازل الحجرية، والعاجية، والزجاجية، والخزفية وغيرها، تدل كلها على أن النسيج كان صناعة فنية عائلية ومنزلية، واشتهر الفينيقيون بالغناء والموسيقى في طقوسهم الدينية المختلفة، كما اشتهروا بصناعة الأدوات الموسيقية المختلفة كالعود والمزمار والدف والطبل، وإن تدوين الموسيقى على رقيم طيني مسماري مكتشف في أغاريت يدل على أهمية الغناء والموسيقى لدى هذا الشعب.

وقد اشتهرت المدن الفينيقية بصناعة المراكب والسفن البحرية التجارية والحربية المختلفة التي تؤكد أن الفينيقيين كانوا أول شعب في العالم لبى نداء البحر، وتحمل مغامرات الرحلات البحرية المختلفة بجرأة وشجاعة، وكانوا أول من طاف حول القارة الإفريقية، وثمة تساؤلات حول نظرية وصولهم إلى سواحل القارة الأمريكية.

حسب الدراسات العلمية والتاريخية، يعتبر الفن الفينيقي فن تركيبي. أصالته هي أبعد من أن تكون فريدة ومبتكرة، فهذا الفن متنوع، شعبي، وهو في الغالب نتيجة لمجموعة معقدة من التأثيرات في منطقة مفترق طرق العالم القديم، التي تعرضت للاحتلالات الأجنبية المتعددة وإلى وجود ونفوذ مختلف الحضارات المجاورة.

كثيرا ما انْتُقِدَ الفينيقيين لميلهم إلى التقليد والتزوير. واتهموا؛ صواباً أو خطأ؛ للنسخ من جيرانهم وعدم وجود الإبداع الشخصي. وقد قَسَّمَ "جورج كونتينو" في كتابه (الحضارة الفينيقية)؛ الفن الفينيقي حسب فترتين زمنيتين: تبدئ الأولى مع أوائل الألف الأول قبل الميلاد، خلالها انتسب وتأثر الفن الفينيقي بالفن المصري وفن بلدان بحر إيجه، وعموماً؛ فقد قَلَّد الحرفيون الفينيقيون الكثير من فنون العالم القديم. أما الزمن الثاني الممتد من الألف الأول قبل الميلاد وحتى نهاية العصر اليوناني الروماني فلم يكن مجرد تقليد، ولكنه كان تنسيقي، حيث أن الفينيقيون مزجوا ووفقوا للتوصل إلى إبداعاتهم وإنتاجاتهم الخاصة.

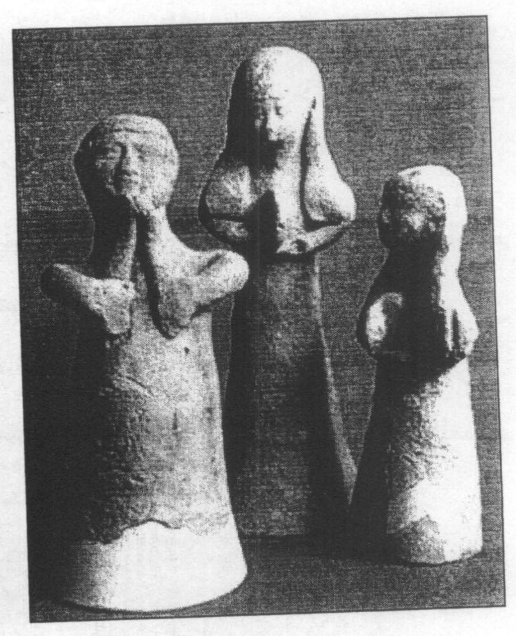
تعود بدعة الفن الفينيقي إلى تأقلمه مع مختلف الاتجاهات الفنية المتوافرة في ذلك الوقت ليتناسب مع الطلب أو الأمة الشعوب المقصودة لهذه المنتجات. الابتكار الرئيسي في هذا الميدان هو مواءمة الفن مع الحياة اليومية، ليصبح على

متناول الجميع وعلى نطاق واسع. لم يعد يقتصر الفن إلى فئة اجتماعية معينة، لكنه على يد الفينيقيين اصبح إنتاج عامي وشعبي والذي سَهَّل ذلك هي عمليات التجارة والتسويق في جميع مناطق البحر الأبيض المتوسط .

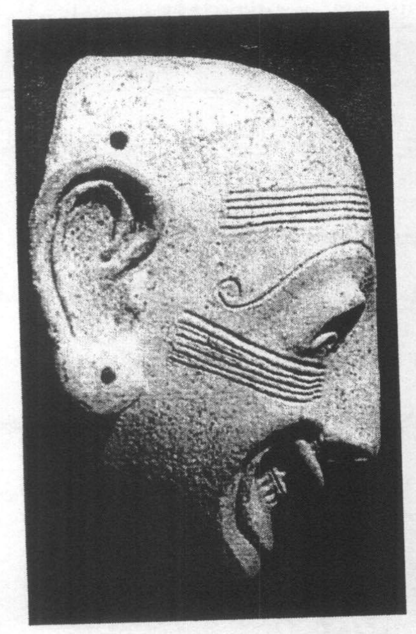
لم تكن مجالات الفن الفينيقي مخصصة لمنطقة معينة أو لاستخدام محدوذ لكنها كانت واسعة، عالمية ومتنوعة. وبين الفنون المعتمدة نجد الكثير من القطاعات؛ كعمل الزجاج والسيراميك والمعادن والعاج والمجوهرات وإكسسوارات التجميل والتصنيع الأرجواني والعملات، ...إلخ، دون أن ننسى قطاع العمارة والهندسة أو الفن في خدمة الإلهية والمقدسات.



نحت عاجي فينيقي يمثل مولد إله الشمس هوروس داخل زهر اللوتس تحميه الآلهة (٨٥٠.٨٠٠ق.م)



تماثيل آلهة فينيقية وجدت في صور



قناع رجل وجد في أحد الأضرحة الفينيقية



تماثيل صغيرة من الطين المشوي (فن فينيقي من قرطاجة)



قلادة من الذهب من بيبلوس تمثل صقراً مبسوط الجناحين (ق١٥.١٤ق.م)



قطعة معدنية فينيقية للزينة (تحمل هذه القطعة الجعل المقدس المصري الأصل)

* آداب :

كان لاكتشافات مدينة أوغاريت "رأس شمرا حاليًا" في سوريا سنة ١٩٢٨ (الأدبيّة- الدّينيّة) أثرٌ هام في معرفة التّراث الأدبي الفينيقي، فالملاحم (الأدبيّة – الدّينيّة) مثل "أقهات بن دانيال" التي كتبت في القرن الرّابع عشر بالأبجديّة الأوغاريتيّة تعتبر انعكاساً للنّشاط الأدبي في هذه المدينة، إضافة إلى ذلك العديد من الألواح الحجريّة التي خطّطت بالمسماريّة والتي وُجدت في أوغاريت، وتضمّنت

علوماً وآداباً وفنوناً وأدياناً لمختلف أنواع حضارات الشّعوب القديمة تعود إلى الإنتاج الفكري الفينيقي، وهذا دليلٌ على عكس ما قاله المؤرّخون القدماء (اليونان– الرّومان– المصريّون – البابليّون – الآشوريون) في كتاباتهم بأنّ الفينيقيّين شعب تجاريٌّ فقط. لكن للأسف الشديد أن أكثرية الكتابات الفينيقية كانت على ورق البردى وطبعاً لم يبق منها شيء:

* الاقتصاد :

الحياة الاقتصادية في فينيقيا :

ازدهرت الحياة الاقتصادية في فينيقيا بسبب تقدمها صناعة وتجارة وحرفة. تركز عمل الفينيقيين على البحر فعملوا بصيد السمك والإسفنج والملاحة وصناعة السفن. كما أنهم برعوا في صناعات عديدة منها صناعة العاج والزجاج والأقمشة الأرجوانية اللون والزهريات الحادة القعر والفخاريات. ساهم اطلاع الفينيقيون على صناعة الحديد (في الألف الثاني قبل الميلاد) في صناعة الخزف. كان الفينيقيون يقلدون الصناعة المصرية والكريتية والميسينية مما مكنهم من بلوغ منزلة عظيمة في الصناعة والفن. بعض هذه الصناعات (الفخار والزجاج) محفوظة الآن في متحف طرابلس.

أما بالنسبة للتجارة في فينيقيا، فقد بلغت أعلى درجاتها وتنوعت الأغراض التي تاجروا فيها فكان منها الصباغ الأرجواني والأقمشة، الزجاج، المعادن، الفخار، النبيذ، الغار والأرز، الخشب... كل هذه الأشياء كانوا يتبادلونها مع اليونان، إيطاليا، إسبانيا، والجزر المتوسطية. كما أنهم خاطروا بالإبحار إلى أبعد من ذلك حتى وصلوا الرأس الأخضر في بريطانيا.

* الزّراعة :

لم يهمل الفينيقيّون أياً من مواردهم الاقتصاديّة، فقد أنبتوا في أرضهم كلّ ما كان بإمكانها أن تعطيهم. ونوّعوا من الصّناعات حتّى لا يشتروا من الخارج. لكنّهم اهتمّوا بالتّجارة لأنّها المورد الأساسي.

◄ معطيات الطّبيعة :

لم يكفِ سكّان فينيقيا ما كانت تُنتجه أرضهم من غلال. لا لأنّهم أهملوا الزّراعة، بل لآنّ مساحات البلاد ضيّقة. ففينيقيا ساحل مستطيل، تتعاقب على شواطئه السّهول .الرّسوبيّة والرّؤوس الصّخريّة. وتغطّي الغابات جباله فلا تترك للزّراعة إلاّ قدراً ضئيلاً من السّفوح المطلّة على المتوسّط. وتتوزّع المزروعات في منطقتين سهليّة تغلب فيها الخضار والحبوب والنّخيل، وجبليّة تغلب فيها الكرمة والزّيتون. ولم يوفّر الفينيقيّون أيّ مساحة؛ من أيّ سعةٍ كانت؛ دون زراعة. لذا جدّوا في تمهيد الجلول منعاً لانجراف الأتربة مع الأمطار والسّيول.

◄ طرق الإنتاج :

واعتمدوا في الحراثة على سكّة خشبيّة مجوّفة، تتّسع للبذار. تجرّها الثّيران أو الحمير أو الإنسان إذا لزم الأمر. وحصدوا السّنابل بمنجل بدائيّة مربوطة إلى حجر. ودرسوا الحنطة على البيادر تحت النّورج. وذرّوها على طبقٍ أو بالمذراة. وجمعوها في أكوارٍ لفصل الشّتاء.

◄ الإنتاج :

واشتهرت خمور فينيقيا في الخارج. وقرطاجة بنت صور باعت خمورها اللّذيذة من روما. واستبدل الفينيقيّون أغراس الزّيتون البرّي أغراساً جديدة من

الخارج. فاستعاضوا بإنتاجهم عن الاستيراد. وافتنّوا في زراعة الرّمّان، ونقلوها إلى قرطاجة. وذاع صيت بعض الكتب الزّراعيّة في قرطاجة فنقلت إلى اللاّتينيّة.

◄ الغابات :

وكانت سبباً في إثارة أطماع جيران فينيقيا بها. وقد غطّت كلّ الجبل حتّى بدت معيناً لا يشحّ. فأسرف الفينيقيّون في قطعها. ومصر كانت أوّل من اتّجر مع جبيل من أجل أخشابها، حتّى إذا تضاءلت إمكانات تصدير الأخشاب من جبيل أفل نجمها. ولمّا دانت فينيقيا لسلطة الآشوريّين والكلدانيّين والفرس، باهى هؤلاء ببناء قصورهم من خشب الأرز في لبنان. وكثيراً ما فرضت الضّريبة على فينيقيا خشباً.

* الصّناعة :

أ- صناعة الزجاج والعاج :

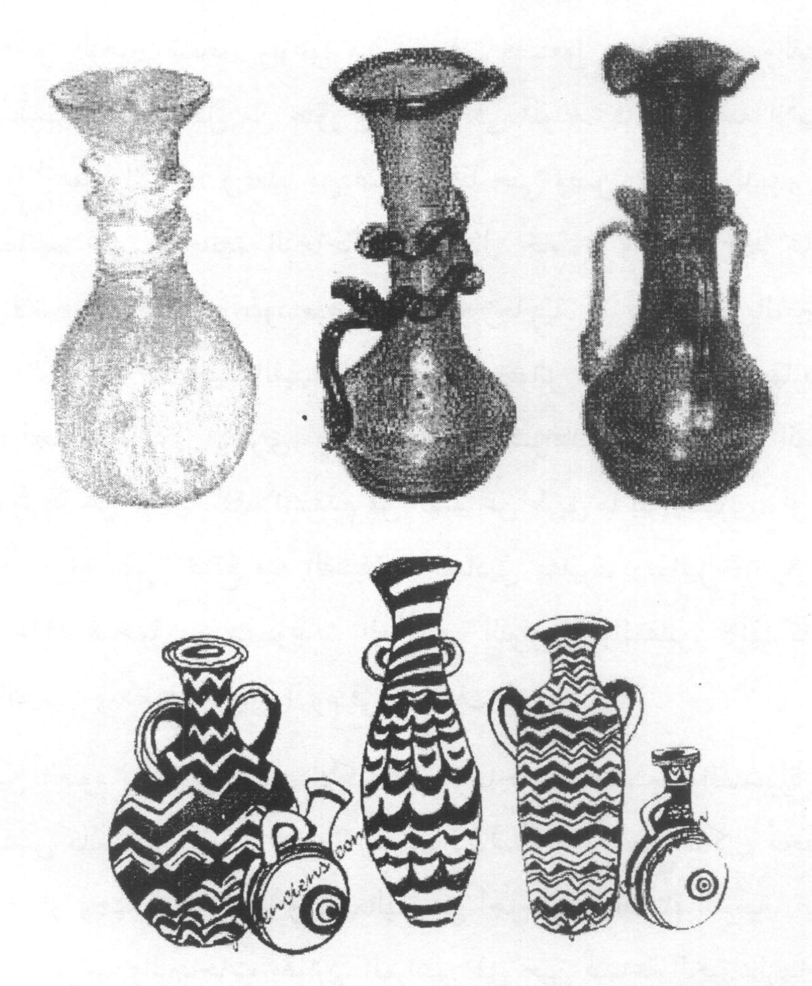
من أخبار المؤرخ بلينيوس القديم، يتواجد فصل عن اكتشاف الزجاج من قبل الفينيقيين. فروى عن قارب فينيقي رسى في جنوب صور، ونزل البحارة على الساحل واستعملوا بعض الكتل من نترات البوتاسيوم لحماية وتأجيج نارهم. فذابت النترات واندمجت مع رمال الشاطئ، وأدت هذه العملية إلى خلق مجموعة من الأشكال الملونة ذات مظهر ملحوظ وجميل. فكان هذا أول وحي من صناعة الزجاج. وينقسم المؤرخون حول مصدر اختراع الزجاج، فالبعض يقولون أن الفينيقيون هم وراء هذه الصناعة. أما البعض الأخر فيعزوها إلى المصريين، ويعتمدون أن الدور الفينيقي اقتصر على ترويجها في أنحاء العالم القديم. مع تطور الاكتشافات التاريخية ووفقا لأحدث النظريات والدراسات، اتضح أن منشأ صناعة

الزجاج يعود إلى بلاد ما بين النهرين. وانتشر من بعدها نحو مصر، ليعود إلى مراكز الساحل المشرقي، ليتوافق مع التغيرات التاريخية والسياسية.

جعلوا الزجاج شفّافاً، ونوّعوا من أصنافه. فصنعوا منه الكؤوس والقناني وقوارير الطّيب. وافتنّت كلٌّ من صور وصيدون في تلوينه. فأخرجتا منه الأبيض والأصفر والأحمر والأزرق. وجعلتا من صناعته فنّاً حتّى وصل الاعتداد لديهم إلى توقيع أسمائهم على منتجاتهم الزّجاجيّة (من أمثال جَاسُون وأرْتَاس) وقد غدت الأقراط والأساور والخواتم والعقود مرصّعة بأحجار زجاجيّة، شديدة الشّبه بالحجارة الكريمة. والكؤوس الزّجاجيّة الفينيقيّة كان غالباً جوائز للفائزين في المباريات الرّياضيّة والجسمانيّة لدى الإغريق. والإلياذة غنيّة بالشّواهد على ذلك. أمّا العاج، وهو مادّة غريبة عن فينيقيا، فقد استُقدِم من الهند عن طريق ما بين النّهرين، أو من أفريقيا عن طريق مصر. صنع منه الفينيقيّون صناديق صغيرة، وتماثيل وزخرفوها. ووجدت أعداد ضخمة من مصنوعات العاج في النّواويس والمقابر، لأنّها كانت تودع مع الميّت. ومعظمها موجودٌ اليوم في المتحف البريطاني.

بين العلوم والأسطورة، من الأكيد أن الزجاجيات المصنعة والمنشورة من قبل الفينيقيين كانت مشوبة مع الألوان الغنية والزفاف وتتكون من أشكال مختلفة تبعاً للحاجة أو وجهة استخدامها واستعمالها. من أجل روتين الحياة اليومية، صَنَّعَ الفينيقيون الأكواب والزجاجات وقوارير المراهم. في حين صناعة الخرز الزجاجي والمعلقات كانت مخصصة للمواد الفاخرة والمجوهرات. مع الاعتبار أن دور الفينيقيين اقتصر على العموم لتأمين وضمان الاستمرارية في صناعة الزجاج، فمن الأكيد بأنهم كانوا وراء اختراع طريقة الزجاج المنفوخ التي طالما كانت أخصائية صيدا. وبفضل العلاقات التجارية التي ربطت المدن الفينيقية مع سائر أنحاء العالم

القديم، عُمِمَتْ هذه الصناعة على جميع الشعوب وخاصة حوالي البحر الأبيض المتوسط.



ب- صناعة السيراميك :

لم تتلقى دراسة السيراميك الفينيقية نفس درجة الاهتمام التي كُرِّسَتْ للفخار اليوناني. ويرجع ذلك أساسا إلى طبيعته وإلى أشكاله التي لا يمكن أن تتنافس مع جماليات الإنتاجات اليونانية الأكثر جاذبية ومهارة. استمدت صناعة

السيراميك في المدن الفينيقية مباشرة من الفخار السرياني الفلسطيني وذلك منذ نهاية العصر البرونزي. استعملت في العديد من المجالات المنزلية، التجارية أو الجنائزية. تم تقسيمها إلى شكلين كلاسيكية، ذات الرؤوس المفتوحة أو الواسعة وتلك الضيقة أو المغلقة.

تتعلق وظيفة الأوعية الفخارية على شكلها، فالمفتوحة كالصحون كانت تستخدم للأغذية والطعام، أما المغلقة كالجرار، مع فتحة صغيرة على رأسها، كانت تستعمل لحفظ ونقل السلع الغذائية أو السوائل (القمح، النبيذ، النفط، ...). الأباريق للشرب أو لصب السوائل، تتميز بشفة أو طرف مقصوص. هنالك أيضاً الإبريق ذات الصنبور المرفقة إلى الجانب على طول البطن، وعند قاعدته يتواجد مصفاة. بعض الجرار كان من الممكن استعمالها في الطقوس الجنائزية، وغالباً ما تستخدم في القبور، كأواني لمراسم حرق الجثث، ومغلقة في بعض الأحيان بواسطة الصحون. كانت المنتجات الفينيقية من الفخاريات تحت تأثير نماذج من المراكز المجاورة (السامرة أو قبرص). البعض منها كانت مستوردة أو مقلدة، أو من إلهام غربي: كاليونان وصقلية أو من الأقاليم حيث استقر الفينيقيين أو أنشأوا مراكز التجارية، مثل سردينيا أو شبه الجزيرة الأيبيرية.

ج- صناعة الخزف :

برع الفينيقيّون في صناعة الخزف. وصنعوا منه كميّات ضخمة من الآنية والتّماثيل الصّغيرة. ولمّا كان اهتمامهم بالنّاحية التّجاريّة قبل كلّ شيء، لم يسهروا على إخراج تحفٍ فنّيّة، بل على إخراج آنيةٍ رخيصة، وتماثيل مرغوبة في الأسواق. وتطوّرت صناعته حتّى جبلوا منه النّواويس. وأكثر الآنية الخزفيّة وجدت في المقابر، إذ حوت العطور أو لوازم معينة تُدْفن مع الميّت. وبعض الآنية الّتي وجدت

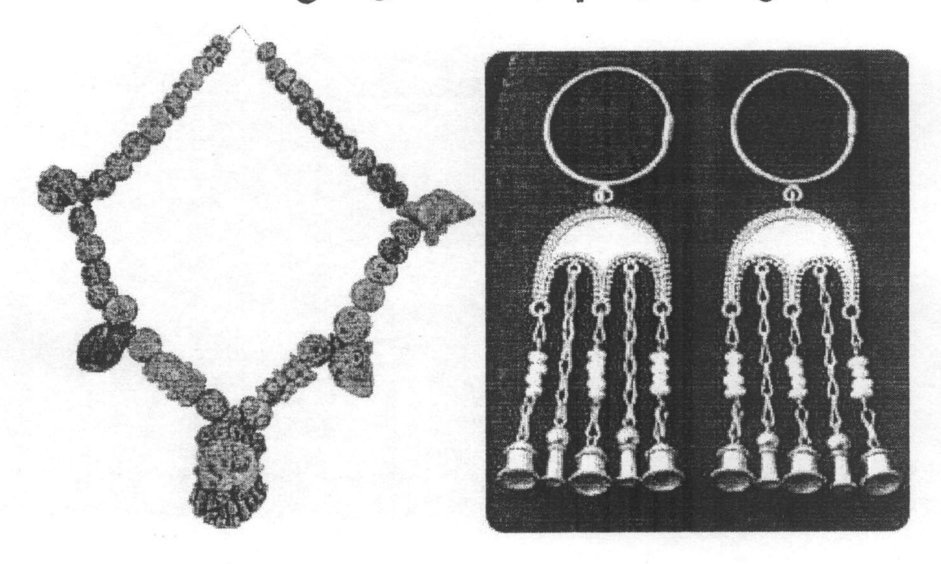
في "كفر جرّه" (بالقرب من صيدا) تدلّ على أنّهم توصّلوا إلى جعل الخزف رقيقاً متماسكاً لا بل رنّاناً وفي ذلك الكمال.

د- الحرف اليدوية:

ما هو الشيء الأكثر جاذبية، والأخف وزنا لشحنه وبالأخص الأكثر ربحا؟ طبعاً، هذا الإنتاج لا يمكن إلا أن يتعلق في كل ما يختص بالمجوهرات. عرف الفينيقيون منذ البدء أهمية هذه الحرفة ودورها الفعال في التجارة وعملوا على ترويجها وتطويرها. كان الذهب، الأفضل جودة والأغلى ومن أهم المواد المستعملة والأكثر حفاظا. أما الفضة فكانت أقل استخداماً بسبب تدهورها وارتداءها بمرور الزمن. وغالباً ما استخدم البرونز والأحجار الكريمة والزجاج في تكوين وتكملة وتزين هذه المجوهرات. وكانت الأشكال الزخرفية المستعملة مستوحاة في الغالب من الأسلوب المصري، الأكثر شهرة في تلك العهود والأكثر طلباً. أعطيت الأفضلية للزخارف النباتية مثل الوريدة أو زهرة اللوتس والزخارف الحيوانية مثل الجعران وأبو الهول والصقر والأسد.

الفينيقيون أيضاً برعوا في الإنتاجات البرونزية ومستحضرات العاج، مع العلم أن المواد الخام لهذه الصناعتين لم تتواجد على الساحل الفينيقي بل استوردت من بعض المناطق النائية. جاء العاج من الهند من قبل الكلدانيين ومن الجزيرة العربية ومصر. أما البرونز الذي هو عبارة عن سبيكة من النحاس المتوافر على الشواطئ الإسبانية ومن القصدير الموجود في إنجلترا، حيث انشأ الفينيقيون العديد من المدن والمراكز التجارية لاستخلاص هذه المواد ونقلوها على سفنهم واستعملوا جزيرتي مالطا وقبرص كمستودعات لحفظها قبل شحنها إلى مدنهم لتصنيعها ومن ثم استخدامها أو بيعها.

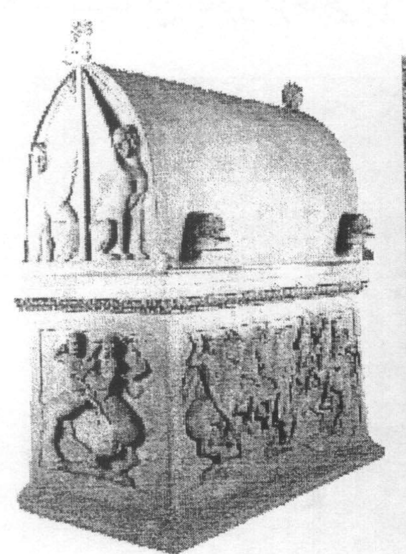
كانت الصناعات من المجوهرات الفينيقية متنوعة وعديدة المظاهر، من أبرزها الأقراط المذهبة على شكل هلال أو قرص شمسي، والأساور، والخواتم، والقلائد المزينة مع الخرز الزجاجي، والمعلقات على جميع أشكالها...



انتشر الإنتاج الفينيقي على جميع البلدان المعروفة في العصور القديمة. كان الفن في خدمة الجمال والزينة، استعمل أيضاً في مجالات التجارة والخدمات، ومَثّلَ وسيلة لإثراء التجار والبحارة الذين تجولوا في جميع أنحاء البحار بحثاً عن أسواق جديدة لبيع سلعهم. وغالباً ما جذبت هذه المنتجات الغزاة الطامعين بثروات المدن الفينيقية لملء قصورهم بالغنائم التي تم الحصول عليها بعد احتلالهم وفرض نفوذهم.

وضع الحرفيون الفينيقيون أعمالهم في خدمة الفنون القابلة للتكيف والخفيفة للنقل بدافع التجارة والمقايضة، ومنذ ذلك العهد ظهرت هذه الفنون الثانوية أو الفنون الزخرفية المسمية بال "**athyumata**"من قبل الإغريق . قيمة

الغالبية من هذه المواد كانت مزدوجة، الأولى فنية بحتة، أما الثانية فباتت مرتبطة بالحاجة الفعلية والفائدة العملية في الحياة اليومية.





إنتاج الأرجوان وتصنيع المنسوجات العالية الجودة أثارت الحسد والحماس في المراكز التجارية، عند جميع المشترين الذين كانوا ينتظرون وصول السفن الفينيقية. إن ارتداء الملابس الأرجوانية لا يزال حتى اليوم، مرتبط بالطبقات الاجتماعية المتميزة. فمرور الوقت وتردي حالة هذه المنتجات عبر الدهور لم يسمح للحفاظ على أثر مرئي في هذا المجال، الدلائل الوحيدة على هذه المصنوعات وشهرتها، تعود إلى بعض كتابات المؤلفين القدماء والوثائق التاريخية.

هـ – الصّباغ الأرجواني :

احتكرت صناعته صور وصيدون. وهو كناية عن صدف طبيعي، منشأه صدف (الموريكس). تكاثر على شواطئ فينيقيا. فجمعوا منه كميّات ضخمة حتّى غدا نادراً اليوم. والصّدف بعد انتزاعه عن الشّاطئ، يَنْضح منه سائلٌ أصفر تُلوّن به

الأنسجة. حتّى إذا جفّ النّسيج المصبوغ استحال لونه بنفسجياً. وازداد رونقاً كلّما تعرّض للنّور. وافتنّ الفينيقيّون في جعله قاتماً أو زاهياً. ويتّضح من ذلك أنّ الصّباغ لم يكن أرجوانيّاً بل بنفسجيّاً إنّما الدّعاية صوّرته أحمر قرمزيّاً. وقد تشهد مصانع الأرجوان بالقرب من مدينتي صيدون وصور. وتشهد على ذلك تلول صدف الموريكس الباقية حتّى الآن جنوبي صيدا. ولمّا كانت الرّائحة المنبعثة منه كريهة، اهتمّ الفينيقيّون بإقامة المصانع خارج نطاق المدينة. وطوّروا صناعته حتّى قضوا على المضاربة الإيجيّة، بعد أن كانت متفوّقة في أواخر الألف الثّاني قبل الميلاد.

و- المصنوعات المعدنيّة :

من بين المواد الأوّليّة المعدنيّة نذكر القصدير والنّحاس والحديد والذّهب. والقصدير استقدموه في البدء من آسيا، من بلاد عيلام، ومن آسيا الصّغرى. ولمّا برعوا في الملاحة أتوا به من "أتْرَوْرِيَا" في إيطاليا اليوم، ومن أسبانيا، وانتهى بهم المطاف إلى جنوبي إنكلترا (بلاد الكورنواي). والنّحاس استوردوه من جبال أمانوس، والحديد استخرجوه محليّاً. وكفاهم من هذه المعادن كميّات ضئيلة نظراً للاستعمال المحدود، لتأمين حاجاتهم من السّلاح والأواني والتّماثيل والكؤوس والنّقود، الّتي تحمل سكّتها رسم مركب فينيقي، أمّا الذّهب فقد خصّوا به الحليّ وما شابهها من الكماليّات.

ز- صناعة السّفن :

إنّ العامل الأساسيّ لازدهار صناعة السّفن، هو توفّر المادّة الأوّليّة، ألا وهي الخشب. واعتماد الفينيقيّين على البحر في تنقّلاتهم وتجارتهم اضطرّهم إلى تطوير هذه الصّناعة، فانتهوا إلى المراكب الكبيرة. وهذه تنقسم إلى فئتين: مراكب تجاريّة ومراكب حربيّة. والمركب التّجاري طويل، يجلس في كلّ جانبٍ منه صفٌّ أو

اثنان من المقذّفين حسب حجم السّفينة. مقدّمته مرتفعة تنتهي برأس حيوان. وفي وسطه سارٍ يحمل شراعاً. أمّا المركب الحربي فمقدّمته حادّة معدّة للصّدام. وتحمل المراكب في مؤخّرتها عارضتين طويلتين تقومان مقام الدّفّة. وذاع صيت الأساطيل الفينيقيّة. حتّى غدت فينيقيا قوّة بحريّة تطمع بها جميع الإمبراطوريّات المجاورة في مصر وما بين النّهرين وفارس. وعن مراكب قرطاجة نقلت روما نماذج مراكبها فيما بعد.

* ميزة الصّناعة الفينيقيّة :

إذا استثنينا صناعة السّفن، نجد أنّ مُجمل المصنوعات الفينيقيّة تمتّ بصلةٍ وثيقةٍ إلى الكماليّات؛ شأن الزّجاج، والصّباغ الأرجواني، والخزف والعاج. احتكروا بعضها (كالأرجوان) وضخّموا أسعاره. وحين قصّروا حيال براعة غيرهم في المصنوعات، عمدوا إلى إخراج نماذج تجاريّة غير متقنة ولكنّها سهلة التّصريف كالمصنوعات الخزفيّة مثلاً. ومعظم النّماذج المعتمدة لديهم كانت صغيرة الحجم، سهلة الحمل، لا خوف من عطبها في المراكب. وهذا ما يفسّر توزّع المنتجات الفينيقيّة في كلّ أنحاء المتوسّط، أو في البلاد الدّاخليّة التي اتّجرت معهم. وما اعتماد هذه الصّناعات وإتقانها إلاّ في سبيل تحاشي شرائها من الخارج، لئلا يحدّ شراؤها من أرباحهم. فلم يكن الفينيقيّون صلة وصلٍ فقط، بل غدوا المنتجين لهذه المصنوعات الكماليّة. والطّبيعة بدورها لم تكن لتهيئ فينيقيا لأيّ دورٍ صناعيّ، وبالرّغم من ذلك استطاع الفينيقيّون أن يأتوا الكثير من المنتجات الصّناعيّة. وحتّى في تقليد صناعات غيرهم، أضفوا على إنتاجهم مسحة من الإتقان البارع، ممّا يدلّ عليه صفاء زجاجهم وتلوينه واستعماله مكان الحجارة الكريمة. وصناعة السّفن كانت المدى الأرحب لإبراز براعة الفينيقيّين الصّناعيّة، إذ تضافرت لإتقانها جميع

العوامل البشريّة والطّبيعيّة؛ من خشب وخبرة ملاحيّة ومعلومات جغرافيّة وفلكيّة وملاءمة السّاحل للصّيد والسّفر.

* التخطيط والهندسة المعمارية :

معالم الطبيعة للشاطئ الشرقي للبحر المتوسط لم تكن بغريبة عن اختيار الإنشاءات الحضرية للشعب الفينيقي. بُنِيَتْ معظم المدن على الهضاب والنتوءات أو الجزر، على بعد مسافة قصيرة من الساحل، أو على حافة البحيرات الضحلة أو الخلجان التي تسمح مرور القوارب بسهولة. هذا النوع من المنشئات كان يؤمن للسفن أفضل الظروف الممكنة لصياغة وتحسين نظام الدفاع المناعي. هذه المواقع كانت محمية بشكل طبيعي، فالجزر المحاطة بالمياة هي الأقل سهولة للهجوم أما النتوءات فتشكل سد طبيعي ومركز ملائم مرتفع يمكن أن يستوعب مبنى شديد التحصين.

كان تنظيم المستوطنة الفينيقية يدور حول هندسة ثابتة ومتناسقة. تتألف نواة المدينة من الأكروبوليس المحاط بالجدران، ومن ثم تتفرع الشوارع، وأنحاء الأحياء السكنية، والمباني الدينية وأماكن للأنشطة التجارية والصناعية.

بنيت الأماكن المقدسة في بعض الحالات في مراكز مخصصة من المدينة (معبد أشمون، بستان الشيخ نبوي، صيدا، أو المعبد الفينيقي في مدينة صور من نهاية الفترة الفارسية)؛ التي أصبحت بذلك "ركن ديني" أو "حي مقدس". أما المدافن فتواجدت غالباً خارج أماكن المعيشة، أحياناً كانت القبور تشكل حفرة أو بئر (المقبرة الملكية في جبيل) أو تارة على مظهر :"**dromos**" مصطلح يوناني يشير إلى ممر طويل ومنحدر يؤدي إلى قبر محفور تحت الأرض.

لا تزال المعلومات في هذا المجال مترددة وغير دقيقة لأنه قد تم إعاقة البحوث الأثرية عن طريق تراكم المرافق والمنشآت القديمة والحديثة. يعود فضل بعض هذه التفاصيل أساساً إلى الوثائق الأثرية من الدول المجاورة حيث تمكن المؤرخين من إعادة تخطيط ودراسة البيئة المعيشية عند الشعب الفينيقي ومدنهم. على سبيل المثال استطاع العلماء، بفضل النقوش والرسومات الآشورية (المنحوتات الجدارية من قصر سنحاريب)، تقديم أدلة عن المباني الخاصة التي تواجدت في المنطقة، والمنازل المتعددة الطوابق مع أبواب المداخل المحاطة بالأعمدة والنوافذ ذات الدرابزين. ولكن إذا كنا لا نعرف إلا القليل عن الهندسة الفينيقية ومنشآتهم المعمارية الحضرية، لا يمكننا أن ننسى معبد سليمان في القدس، واحدة من أهم الإنجازات والأكثر إثارة للإعجاب من العمارة الفينيقية، والذي تم بناؤه من قبل عمال صور وعلى رأسهم المهندس حيرام المعروف تحت اسم "حيرام أبي" المعماري. بالإضافة إلى التخطيط والعمارة من الممكن أن تشمل أيضاً مختلف الإنشاءات الحجرية مثل المسلات، والنقوش، والتماثيل، والنعوش (ومن أشهرها نعش احيرام ملك بيبلوس أو اشمونعازر ملك صيدا) التي تأثرت بالنموذج المصري، وفي وقت لاحق، بالإلهام الفني اليوناني .

* الملاحـة :

نشطت الملاحة في فينيقيا نتيجة اعتباراتٍ عدّة منها: صعوبة التّنقّل البرّي، ووفرة الخشب، وملاءمة الموقع الجغرافي بالنّسبة للعالم القديم. وعزّز الفينيقيّون ملاحتهم بنشاطات خاصّة، كتطوير صناعة السّفن، وحسن اختيار مواقع المرافئ، وتسخير المعارف الجغرافيّة والفلكيّة، وأخيراً إنشاء المستعمرات لتكون أداة اتّصال.

ظروف الملاحة :

جهل الفينيقيّون استعمال البوصلة. ولكنّهم اهتدوا إلى الشّمال بواسطة النّجم القطبي، وقد سمّاه الإغريق باسمهم أي "النّجم الفينيقي". وشرعوا في التنقّل على طول الشّاطئ، لا يغامرون في عرض البحر، وتجنّبوا المغامرة في اللّيل حتّى لا يضيعوا. وجعلوا مدنهم محطّات تجاريّة بين الواحدة والأخرى مسيرة نهار. واستفادوا من الجزر المنتشرة في بحر إيجه، ورادوا جميع مناطق الأرخبيل الإغريقي. أمّا الوصول إلى مصر في الجنوب فقد تمّ على مراحل. لازموا الشّاطئ حتّى وصلوا إلى الدّلتا. وهكذا دواليك حتّى انتهى بهم إلى خارج المتوسّط.

الرّحلات :

وزاد الكسب التّجاري من طموح الفينيقيّين. فنظّموا رحلات استكشافيّة. وكان إحداها لحساب الفرعون "نِخَاْوْ". ويخبرنا هيرودوتس بأنّ هذا الفرعون قد طلب من الفينيقيّين، حوالي عام ١٦٠٠ ق.م، أن يقوموا برحلة غطّى نفقاتها، انطلقت من شواطئ البحر الأحمر. واستمرّت ٣ سنوات ودارت حول "ليبيا" والمقصود أفريقيا. وعادت عن طريق البحر المتوسّط إلى مصر. وعندما وصلت مراكب الرّحلة العشرة غربيّ الشّاطئ الأفريقي، تمكّنت العاصفة من إحداها ففصلته عن سائر المراكب. وحملته التيّارات المائيّة والرّياح التّجاريّة حتّى شرق البازيل. أمّا الرّحلة الثّانية فقد قام بها أحد مواطني قرطاجة، واسمه "حَنُّون" بتكليفٍ من مجلس الشّيوخ. والغاية من هذه الرّحلة التّفتيش عن أسواقٍ جديدة. وقد سار "حنّون" في عكس اتّجاه رحلة "نخاو". وثمّة رحلة ثالثة قام بها مواطن آخر من قرطاجة هو "حَمْلَكُن". فعبر مضيق جبل طارق. واستمرّ في سيره أربعة أشهر وصل في نهايتها إلى جنوبي إنجلترا. وقد تمّت الرّحلتان القرطاجيّتان ما بين ٤٥٠ و ٣٥٠ ق.م.

◀ طرق تجارة فينيقيا الواسعة :

وتميز الفينيقيون بنشاطهم التجاري وخاصة الملاحة حيث استولوا على كل تجارة البحر المتوسط. كما أسسوا مستعمرة تجارية لهم في ساحل تونس (قرطاجة). كما يؤكد الجغرافي الروماني "سترابو **Strabo**" أيضاً أن الفينيقيين انطلقوا من البحرين (الساحل الشرقي لجزيرة العرب) نحو العراق سالكين طريق الهلال الخصيب إلى الساحل الشامي، حيث بنوا مدنهم وانشأوا حضاراتهم الرفيعة التي نشروها في البحر المتوسط بأسره. ويدعم هذا الرأي أيضاً ما حصل بعد اكتشاف القبور القديمة التي عثر عليها رجال الآثار في الجزيرة الكبيرة (المنامة) والتي تشبه إلى حد بعيد يثير الدهشة النواويس الفينيقية. وهناك أيضا الآثار الثابتة مما يدل على أنه قد سبق للفينيقيين أن ينشئوا لأنفسهم مستعمرات تجارية في نقاط متفرقة من الخليج العربي. وكانت الحضارة الفينيقية عبارة عن مدن منتشرة على الشريط الساحلى الشرقي للبحر المتوسط لها نفس التكوين والعادات والتقاليد وكانت مرتبطة ببعضها فكرياً وعرقياً. لم يكن الفينيقيون يسمون أنفسهم بهذا الإسم، بل هو اسم أطلقه عليهم اليونان. إنما كانوا يسمون بالكنعانيين أسوة بإخوانهم سكان الداخل. يذكر أن قبل ظهور الحضارة الفينيقية كان الشاطئ الفينيقى مسكوناً بزمن طويل. وتشير الدراسات الأثرية إلى وجود إنساني في هذه الرقعة يعود إلى خمسين ألف سنة، ويستدل من اكتشافات برج قنارت ومغارة أنطلياس أن الانسان الأول في هذه المنطقة كان من أوائل الأجناس البشرية المكتشفة في المراحل السابقة من التاريخ.

* المستعمرات :

في أواخر الألف الثّاني قبل الميلاد، زالت سيطرة الإيجيّين على البحر

المتوسّط فتنفّس الفينيقيّون الصّعداء. وتوزّعت سفنهم ومن ثمّ مستعمراتهم في جميع أنحاء المتوسّط. وتشاء الأساطير أن تنسب إلى "صور" أمر إنشاء كلّ المستعمرات الفينيقيّة. إنّما الواقع غير هذا.

◂في الحوض الشّرقي :

في الحوض الشّرقي من المتوسّط، أحاط الفينيقيّون قبرص بعقدٍ من المخازن. وتصدّوا للمنافسة الإغريقيّة التي اشتدّت خلال القرنين الرّابع والثّالث قبل الميلاد والطّمع بقبرص عائد لغناها بالنّحاس والحجارة الكريمة، ثمّ لوفرة حبوبها وخمورها وزيتونها، ولموقعها الوسط بين عالمين. أمّا في آسيا الصّغرى فقد اهتمّوا بمناطق "كيليكيه" و"طرطوس" خاصّة. ومن هنالك وصلوا إلى "رودس" المواجهة للشّاطئ. إذّاك ازداد الخطر المحدق بهم، إذ قرّبهم من مناطق النّفوذ الإغريقيّة. وبالرّغم من ذلك استقرّوا في "كريت" وجزر "السّيكلاد". ولكنّهم لم يتعدّوا "الدّردنيل" في إنشاء المستعمرات خشية الابتعاد عن البلد الأم، وإن تكن قوافلهم قد وصلت إلى شواطئ البحر الأسود و"أرمينيا". وفي الجنوب لم يكن يسيراً إنشاء المستعمرات على حساب مناطق النّفوذ المصريّة. بل اكتفوا بإقامة المخازن في "ممفيس"، حيث تمتّعوا بحريّة التّجارة. وأنشأوا حيّاً خاصّاً بالصّوريّين منذ القرن الثّاني عشر قبل الميلاد، وأقاموا فيه معبداً لعشتروت.

◂في الحوض الغربي :

ولمّا اشتدّت منافسة الإغريقيّين، فضّل الصّوريّون ترك المجال مفتوحاً أمام صيدون. فنقلوا مناطق نفوذهم التّجاري إلى الحوض الغربي من المتوسّط. فاستقرّوا في "صقلية"، و"يوتيقا" (المدينة العتيقة) في تونس اليوم، و"مالطة"، مُراعين في اختيارهم لمستعمراتهم البحريّة المركز التّجاري والموقع الطّبيعي لإنشاء المرافئ.

ومن هناك انطلق الفينيقيّون إلى جنوبي "سردينيا"، والجزر المجاورة لها "كالباليار". ومن ثمّ خطّوا نحو "ترشيش" (إسبانيا) حيث حوّلوا إحدى محطّاتهم التّجاريّة إلى مستعمرة. ولكنّ الفينيقيّين حين ابتعدوا عن أرض كنعان، لم تعد نقطة ارتكازهم صور، بل قرطاجة أكبر المستعمرات الفينيقيّة على الإطلاق.

* قرطاجة :

لم تكن قرطاجة أوّل مستعمرة أُنشئت في شمال أفريقيا، بل سبقتها مستعمرة "يوتيقا" (سنة ١٠٠٠ ق.م) على نهر المجرّدة، و"زارتيس" (بيزرتا). وسُمّيت قرطاجة (المدينة الحديثة) تمييزاً لها عن جارتها "يوتيقا" (المدينة العتيقة). وقد شيّدت حوالي ٨١٤ ق.م. لتكون صلة الوصل بين صور والمستعمرات الفينيقيّة. وقد اختار لها الصّوريّون موقعاً استراتيجيّاً بين الحوضين الشّرقي والغربي للمتوسّط. حيث تتّصل برّاً بالقارّة الأفريقية، وبحراً بمختلف المحطّات والمخازن والمستعمرات الفينيقيّة في الغرب. ولم يخطر لصور يوماً بأنّ هذه المستعمرة التي بُنِيَتْ ستنافسها فيما بعد. وقد برزت عظمة قرطاجة يوم أخضع الآشوريّون فينيقيا. ولمّا هدم نبوخذ نصّر الكلداني صور البرّيّة، لم يعد لدى الفينيقيّين مدينة تفوق قرطاجة بعظمتها. فتبنّت هذه المستعمرة العملاقة سياسة صور وصيدون وكانت استمراراً لهما. وسعت للتّوسّع في الحوض الغربي للمتوسّط حتّى اصطدمت بالإغريق. فنشبت حربٌ بينهما سنة ٥٥٠ ق.م واستطاعت قرطاجة أن تكسب الرّومان إلى جانبها. ولمّا تنكّر لها الرّومان فيما بعد وتأصّل العداء قضي على قرطاجة إثر حربين عرفتا باسم الحربين البونيتين.

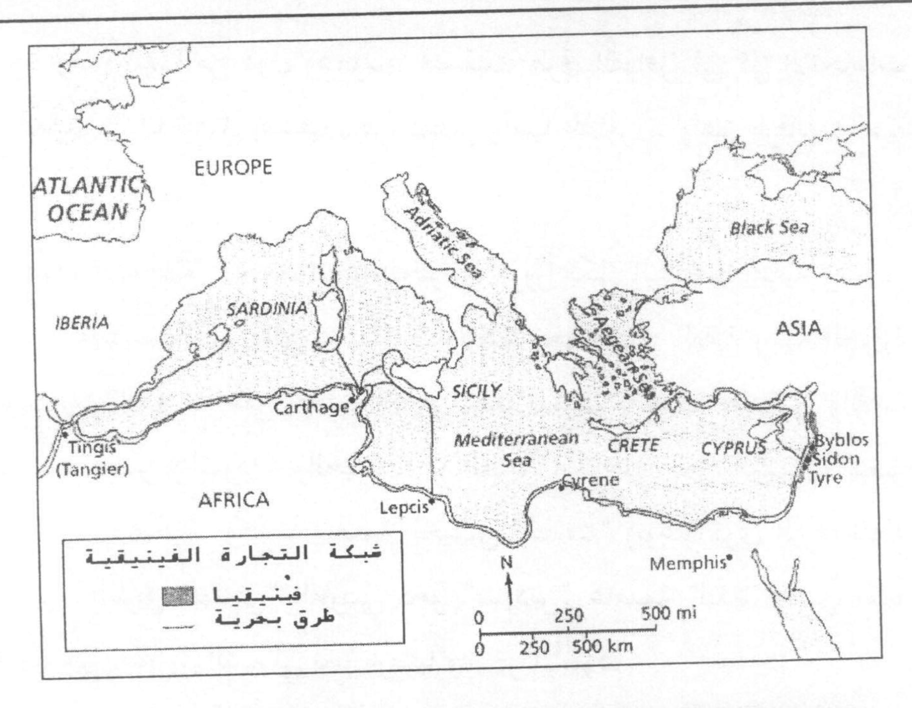
◂ الطّرق التّجاريّة البرية :

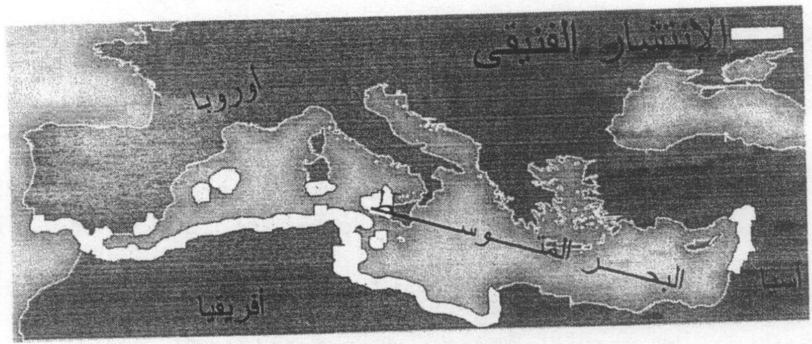
لم يسع الفينيقيّون أن يتاجهلوا التجارة مع بلاد "أَمُرّو"، وبلاد ما بين

النّهرين، وما ورائهما من دول وشعوب. فتشعّبت طرق القوافل في كلّ الاتّجاهات حتّى شملت بلداناً تتّصل بفينيقيا بحراً كمصر وآسيا الصّغرى. وأهمّ طرقاتهم البريّة هي :

١- الطّرق السّاحليّة : أحدها نحو الجنوب، مروراً بكلّ المدن الفينيقيّة وساحل المتوسط. وينقسم الطّريق إلى شعبتين : أولاهما نحْو خليج العقبة وشبه الجزيرة العربيّة، حيث اشتهرت على الخليج العربي مدنٌ سمّيت بالمدن الفينيقيّة. والثّانية تذهب نحو مصر والسّودان والحبشة. أمّا الطّريق السّاحلي نحو الشّمال، فيعبر فينيقيا نحو "كيليكيا". وكانت عاصمة الحيثيّين "حَتّوسَه" (بوغاز كوي اليوم) نقطة التقاء بين "الطّريق الملكي" الفارسي نحو "ساردس" عاصمة "ليديا" غربي آسيا الصّغرى، وبين الطّريق الشّمالي نحو أرمينيا والبحر الأسود.

٢- الطّرق الدّاخليّة : ونعني بها طريقين رئيسيّين، أوّلهما يتفرّع عن الطّريق السّاحلي الشّمالي (شمال سوريا). فيذهب من أوغاريت نحو "حماه"، و"حلب"، و"الرُّها"، و"كركميش"، و"نِصّيبّين"، فيتّصل بوادي الفرات حتّى ما بين النّهرين والجزيرة السورية، أو يذهب من "حَرّان" إلى "نينوى". والطّريق الثّاني يعبر جبال لبنان إلى الزّبداني إلى "دمشق" ثم "تدمر" فبلاد ما بين النّهرين. وهذا هو الطّريق الأقصر؛ لكنّه الأصعب. وكلتا الجزيرة العربيّة وبلاد ما بين النّهرين كانت الصّلة ما بين فينيقيا والهند. وفي طرقهم البريّة هذه، كان الفينيقيّون يقيمون علاقات الودِّ مع شعوب البلدان والمناطق التي يعبرونها. فيمكّنون أواصر التّفاهم مع القبائل، ويستعينون ببعضها كسماسرة أو مرشدين. وهذا ما يسمح لهم بأن يقيموا المحطّات التجاريّة أو يُقيموا الأحياء الخاصّة بهم. كما تأمن قوافلها شرّ اللصوص المهاجمين في مناطق نائية منعزلة.



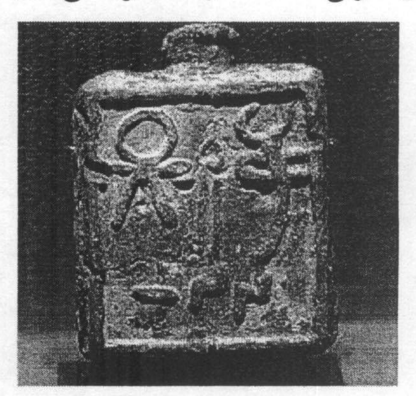


• السّلع التّجاريّة :

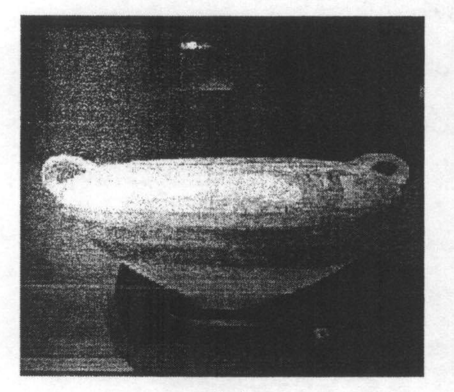
تستغرق رحلة التّجّار الفينيقيّين بضع سنواتٍ أحياناً. فهم متجوّلون، يعرضون على الشّعوب مصنوعاتهم ومصنوعات غيرهم. وبلادٌ كفينيقيا لا يمكنها أن تعطي الكثير، فيما عدا الأخشاب والزّيوت والخمور. لذلك اتّكلوا على إنتاج غيرهم يشترونه ثمّ يبيعونه. فاستوردوا الصّوف والجلود واللّحوم من سوريا، والعسل

والحبوب من فلسطين، والافاويه والتّوابل من الشّرق الأقصى، والنّحاس من قبرص واليونان والقفقاس (القوقاز)، والذّهب من إسبانيا، والحجارة الكريمة من مصر وسيناء، والعطور من بلاد الرّافدين، والأبنوس والعاج من السّودان، والكتّان والقطن من مصر، والخيول من أرمينيا.

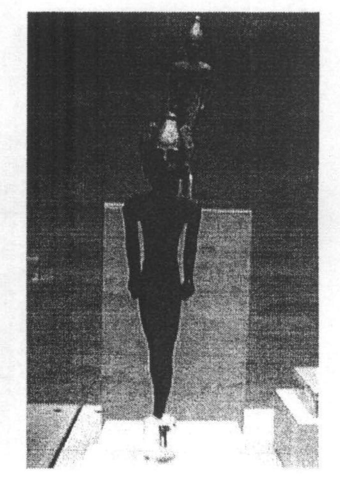
ثم أصبحت فينيقيا أحد أغنى وأهم المقاطعات في الإمبراطورية الفارسية واستولى الاسكندر الأكبر على فينيقيا عام **٣٣٢** ق.م.

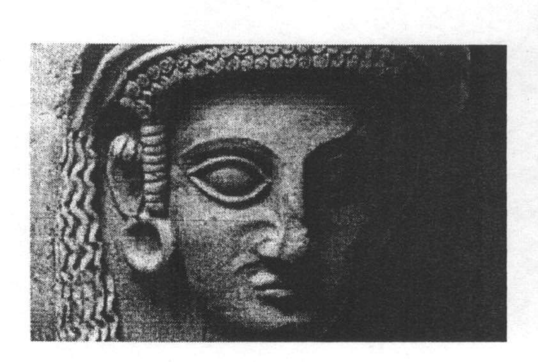


مثقال فينيقي لوزن البضائع

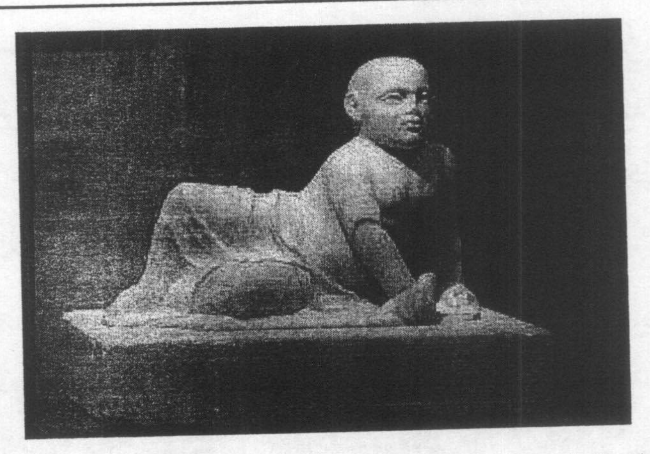


إناء مزين بأشكال بط فخار
خلده القرن التاسع – السابع ق. م.





تمثال لبعل الفنيقي وجد في إسبانيا



تمثال طفل مع كتابة فينيقية رخام معبد أشمون بستان الشيخ (قرب صيدا) القرن ٥ ق.م.
"هذا التمثال نذره بعلشيليم ابن الملك بنعا، ملك الصيدونيين، ابن الملك بعلشيليم، ملك الصيدونيين إلى سيده أشمون ليباركه". عثر على هذا التمثال في معبد مكرس إلى إله الشفاء أشمون . كان الأهالي يقجمون هذه التماثيل للإله، عربون شكر لشفائه أطفالهم.

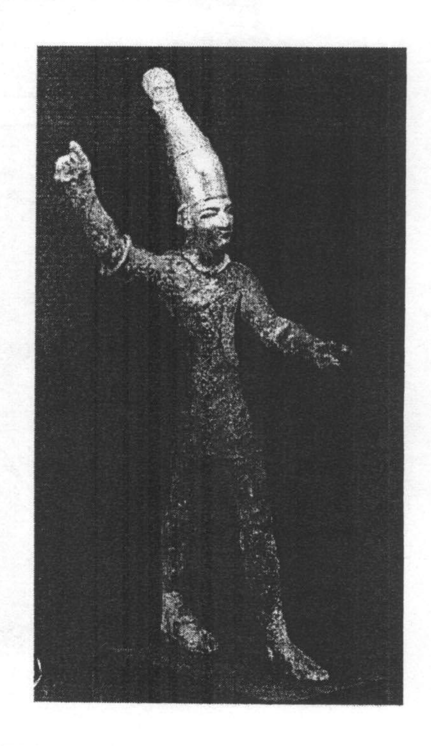


عشتروت ألهة الحب والجمال لدى الفنيقيين – رسم روزيتي

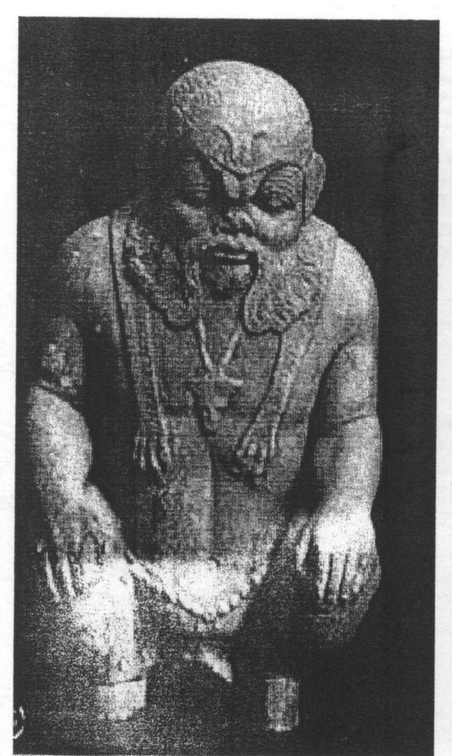
نماذج من النحت الفينيقي









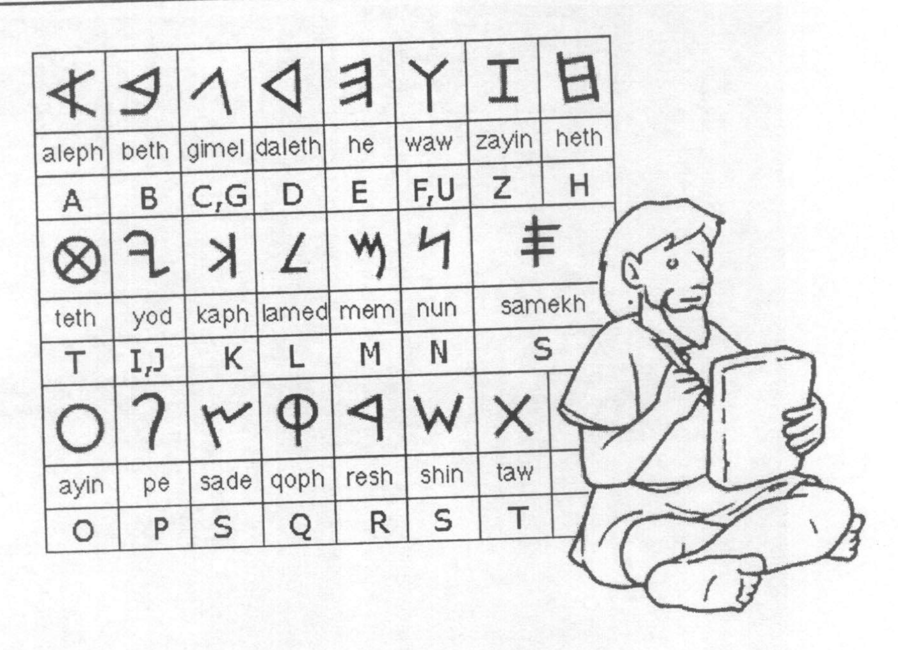




الكتابة الفينيقية



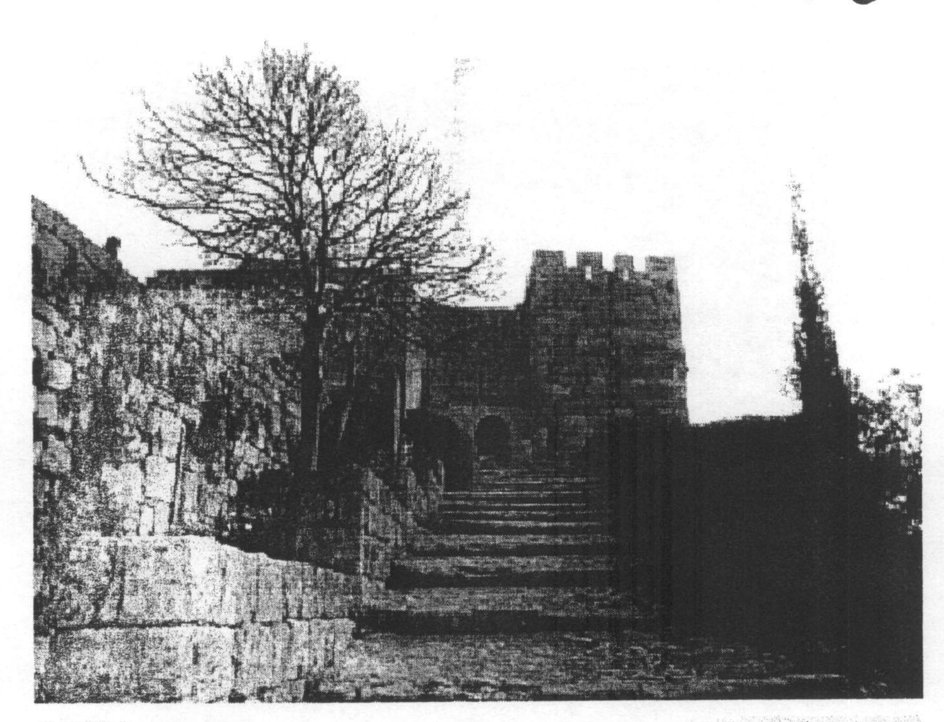


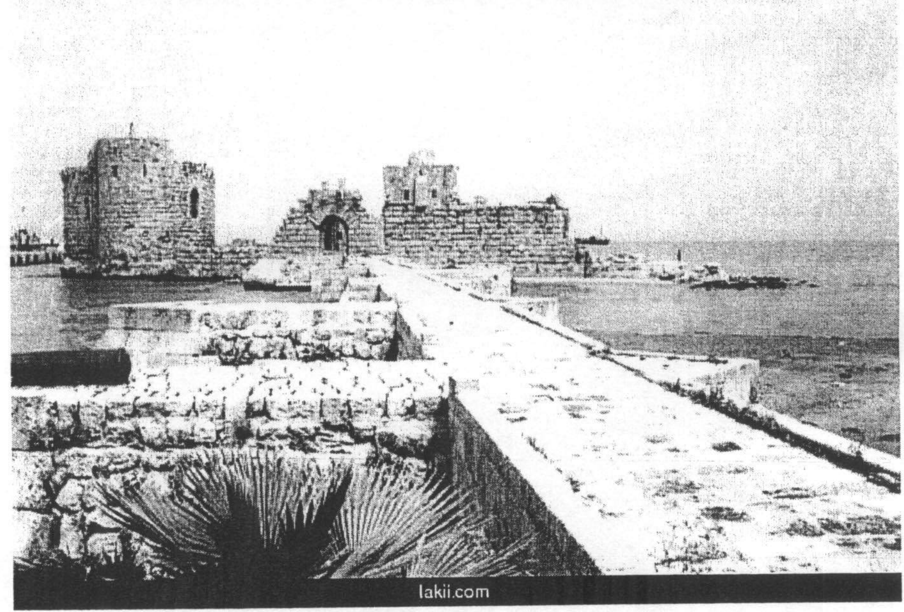


aleph	beth	gimel	daleth	he	waw	zayin	heth
A	B	C,G	D	E	F,U	Z	H
teth	yod	kaph	lamed	mem	nun	samekh	
T	I,J	K	L	M	N	S	
ayin	pe	sade	qoph	resh	shin	taw	
O	P	S	Q	R	S	T	

السفن الفينيقية

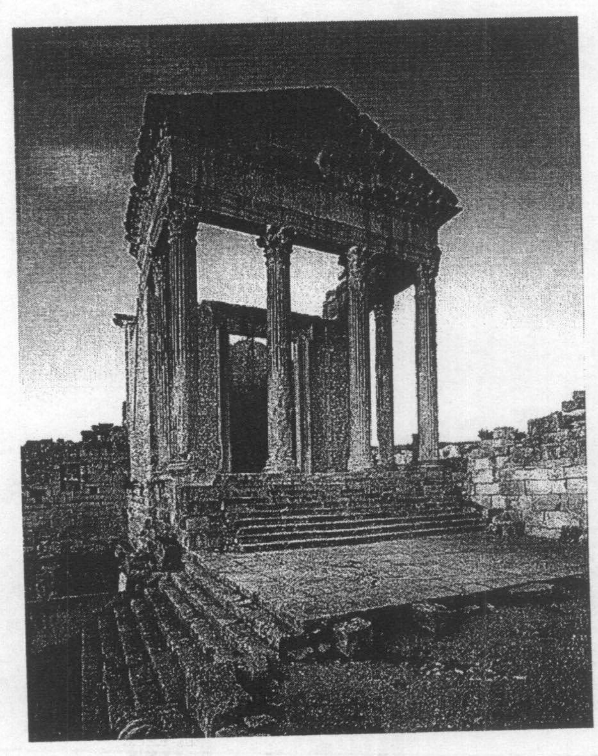
نماذج من العمارة الفينيقية :







أثار لمنازل فينيقية في قرطاجة – تونس



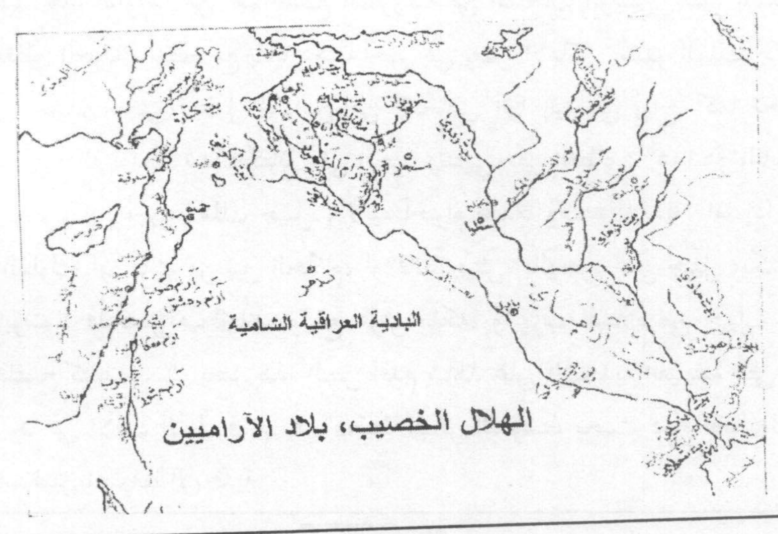


ناووس أحيرام، ملك جبيل مع كتابة فينيقية حجر كلسي – جبيل، المدافن الملكية القرن العاشر ق.م.يعتبر هذا الناووس من أهم القطع المعروضة في المتحف الوطني. يتميز بالنقوش والكتابة التي تغطي الجرن والغطاء مع بقايا دهان أحمر في بعض الأماكن. يظهر الملك جالساً على عرشه في عشاء مدفني، يتقبل القرابين من أشخاص أتوا إليه في زياح. كما نحتت النادبات إشارة إلى حالة حداد. تبدأ الكتابة على الجرن وتنتهي على الغطاء : "هذا هو التابوت الذي صنعه ايتوبعل، ابن أحيرام ملك جبيل ، لأبيه أحيرام عندما وضعه للأبدية. اما إذا قام ملك من بين الملوك، أو حاكم من بين الحكام، أو قائد جيش، بالهجوم على جبيل ويكشف غطاء هذا التابوت ، فليكسر صولجانه، وليقع عرش ملكه، وليهرب السلام من جبيل. وأما بالنسبة إليه، فلتمح كتاباته..." يعتبر هذا النص أقدم شاهد على الأبجدية الفينيقية التي قام بنشرها الفينيقيون في الألف الأول ق.م. في محيط البحر المتوسط بحيث درج القول لدى الإغريق بأن الفينيقيين اخترعوا الأبجدية.

الفصل الثالث

الحضارة الآرامية

الآراميون هم أحد الشعوب السامية موطنهم وسط وشمالي سوريا والجزء الشمالي الغربي من (بلاد ما بين النهرين)، وأصلهم من الجزيرة العربية، فهم كانوا من البدو. استعمل الآراميون لغتهم الخاصة وهي اللغة الآرمية بلهجاتها المتعددة. وقد استطاعت هذه المجموعات الآرامية ما بين القرنين الثاني عشر والثامن قبل الميلاد أن تكون دويلات عديدة سيطرت على بلاد واسعة في الجزيرة الفراتية في سوريا بين دجلة والفرات، وأن تؤسس مجموعات زراعية مستقرة. وقد أُطلق اسم الآراميين على البلاد التي سكنوها، فدُعيت باسم بلاد آرام قروناً عدة قبل أن تعرف منذ العصر الهلنستي السلوقي باسم سوريا وكان ذلك في (القرن الرابع قبل الميلاد).



الهلال الخصيب، بلاد الآراميين

* النشأة والأصل :

هم شعب ينتمي إلى الشعوب السامية، تربطهم علاقة قرابة مع الشعب العربي والعبراني، ويعود نسبهم حسب ما ورد في العهد القديم الى آرام بن سام بن نوح (سفر التكوين، ١٠:٢٣).

إن كلمة «آرام» التي اشتق الآراميون منها اسمهم، وهي تسمية جغرافية أطلقت على سوريا الحالية وموجودة في الكتابات الآرامية القديمة. وأطلق العهد القديم تسمية «آرام نهرين» على منطقة الجزيرة السورية كلها، كما انتشرت تسمية «بيت آرامي» أي بلاد الآراميين على جنوب ووسط العراق، وانتهت الدولة الآرامية التي لم تكن موحدة سياسياً في عام ٧٢٠ ق.م.، على يد سرجون «شيروكين» ملك نينوى. لم يكن الآراميون سوى قبائل بدوية، تنتقل من مكان إلى آخر على أراضي جيرانهم الخصبة، وقد ساعد الاضطراب السياسي وفقدان الأمن هؤلاء البدو الرحل على الوصول إلى بادية الشام، وقبل أن ينتصف الألف الثاني قبل الميلاد؛ كانت هذه القبائل قد سكنت على ضفاف وادي الفرات الأوسط، وكان جبل لبنان عائقاً في طريق هذا التوسّع نحو الغرب. ولقد بلغت الغزوات الآرامية أشدها في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، إذ تمكن الآراميون من مهاجمة الشعوب المتواجدة هناك وطردها، وتمّ لهم إنشاء كيانات سياسية وسيادة دولة مستقلة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يكوّنوا دولة آرامية موحدة.

نشأت أولى الدول الآرامية في منطقة الفرات الأوسط، وسميت «آرام نهرين» الفرات ورافده الخابور، وهناك «فدان آرام» وكان مركزها مدينة «حران»، وفي الجنوب تأسست «آرام دمشق» وتطورت فأصبحت مملكة كبرى تمتد على الفرات من جهة واليرموك من جهة أخرى، وكانت هناك «مملكة صوبا» قرب بلدة

عنجر جنوب زحلة في البقاع. وفي الشمال نجح الآراميون في التسلل إلى وادي «كارازو» وأسسوا في سفوح جبال الأمانوس مملكة شمأل، وجعلوا مدينة «زنجرلي» عاصمة لها. وفي الجنوب خضعت حماه مع وادي نهر العاصي الأوسط لسلطة الآراميين، ثم قاموا بتشكيل مقاطعات إدارية عديدة. وشكلوا «إمارة صوبا» التي تقع في سهل البقاع، وتقع «إمارة بيت رحوب» إلى الجنوب منها، و«إمارة ماكاح» وتشمل منطقة تل القاضي والجولان، وإمارة جيشور التي تقع إلى الشرق منها، بين دمشق ونهر اليرموك. ومملكة «بيت آغوشي» وعاصمتها «أرفاد» القابعة أطلالها في تل رفعت، و«كركميش» جرابلس، و«شمأل» زنجر لي في تركيا.

لقد انطلق الآراميون من الصحراء السورية حوالي ٢٣٠٠ ق.م إلى أعالي مابين النهرين. أستقروا في البداية في حران وأسسوا عدة ممالك مستقلة، غير موحدة بين القرنيين (١١ : ١٠) ق.م وقد دخلت تلك الممالك في صراع مرير مع الآشوريين وغيرهم من الشعوب المجاورة كالحيثيين في شمال وداخل سوريا والكنعانيين على الساحل السوري وأيضاً في وقت متأخر مع العبرانيين. إلا أن الأشوريون هم من تمكن في النهاية من القضاء على معظم النفوذ السياسي للآراميين سنة ٧١٠ ق.م بسقوط مملكة شمأل في شمال سوريا. وبالرغم من الانتصار العسكري للآشوريين على الآراميين إلا أن النفوذ الثقافي والحضاري للآراميين ظل قوي هناك وخصوصاً في الممالك التي بقيت حية بيد الآراميين ولعبت دوراً كبيراً قبيل سقوطها في القرن الثاني والثالث بعد الميلاد مثل مملكة الرها (تركيا حالياً)، مملكة تدمر (سوريا)، مملكة الحضر (العراق)، ومملكة الأنباط (الأردن).

لقد أطلق المؤرخون اليونانيون تسمية السريان على الآراميين قبيل ميلاد

السيد المسيح بعدة قرون، وفي الحقيقة هنالك خلاف بين المؤرخين حول التسمية حيث أن بعضهم ينسبها إلى أشوريا والبعض الآخر إلى سوريا وأصبحت تسمية السريان شائعة عندما تحول معظم الآراميون من الوثنية إلى المسيحية في القرن الأول والثاني للميلاد فإن كلمتي سرياني و آرامي لهما معنى واحد.

* قبائل الأخلامو (الأحلامو) :

ويرتبط اسم الآراميين في هذا العصر المبكر بجماعات من البدو الرحل كان يُطلق عليهم اسم (الأخلامو). ويمكن تتبع تحركات المجموعات الآرامية منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد من المصادر الحيثية (حوليات حاتوشيلي الثالث) والمصادر الآشورية (حوليات الملك أددنيراري الأول ١٣٠٧ : ١٢٧٥ ق.م.)، ومن الوثائق المعروفة برسائل تل العمارنة (أخيت – أتون) حيث ورد ذكر الأخلامو الآراميين في بعضها من عهد إخناتون (نحو ١٣٧٥ق.م) عندما كانوا يتجولون على ضفاف الفرات. وبعد أن تمكن هؤلاء من الاستيطان والاستقرار على ضفاف نهر الخابور وعند مجرى الفرات الأوسط في سوريا وهي المنطقة التي عرفت باسم آرام النهرين (منطقة الجزيرة السورية اليوم)، ومن هناك بدأوا يؤسسون ممالك وإمارات ودول هي الممالك الآرامية.

ذُكِر تعبير الآراميون في وثائق الملك الآشوري تجلات بلاسّر الأول (١١١٦ : ١٠٧٦) ق.م للدلالة على الحضارة الآرامية، بدون أن يقرن ذلك اسمهم بالأخلامو. ويتباهى هذا الملك بأنه شنَّ عليهم وعلى الأخلامو أيضاً ثمانية وعشرين حملة على جبهة امتدت من جبل باسار (جبل البشري) وتدمر إلى عانة ورابيقو على ضفاف الفرات. وفي نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد أسس الآراميون مملكة بيت عديني على ضفتي الفرات في المنطقة الواقعة جنوبي

كركميش (جرابلس اليوم) وأسسوا في وادي الخابور إمارات لاقي وبيت بخياني وتل حلف، وبيت خالوب واستقرت قبيلة تمناي في نصيبينا (نصيبين اليوم)، وحزيرانا وحيدادا جنوب غربي ماردين في الجزيرة السورية العليا.

أما أهم دولة آرامية فهي الدولة البابلية الثانية الكلدانية، والحد الأقصى للتوسع الآرامي في الشمال فهو صورو (أي الجبل)، والمقصود هنا هضاب طور عبدين. أمّا في غربي الفرات، فقد تبسط الآراميون بالتدريج غرباً حتى جبال الأمانوس على الساحل السوري واستوطنوا في شمأل (زنجرلي في تركيا). وكثر عددهم حول أرفاد قرب أعزاز شمالي حلب حيث تأسست مملكة بيت أجوشي التي امتدت على منطقة حلب كلّها. كما انتشروا في حوض العاصي في سوريا، وصارت حماة في أيدي حكام آراميين.

وفي سهل البقاع وعلى سفوح الجبال غرب دمشق قامت مملكة صوبة التي ضمّت أراضي البقاع الجنوبي وجزءاً من وادي بردى في دمشق وعين جر (عنجر اليوم)، ويمكن أن تكون قد أقامت اتحاداً مع مملكة بيت رحوب على نهر الليطاني، وبيت معكة على سفوح حرمون السورية، وجشور شرق بحيرة طبريا ومملكة دمشق في حوضي بردى والأعوج وسفوح قاسيون وغوطة دمشق.

ورد ذكر ملك دمشق الآرامي في الوثائق الآشورية باسم "أدد . إدري" (هدد عزر)، نجح "شولمانو . اشارئد الثالث" الذي ضم مملكة بيت عديني الآرامية على الفرات ٨٥٦ ق.م. إلى مملكته، وتقدم بعدئذ غرباً إلى حوض نهر العاصي ليواجه عند قرقر شمال حماة تحالفاً كبيراً بزعامة برهدد ملك آرام دمشق ضمّ اثني عشر ملكاً وأميراً في سوريا الساحلية والداخلية وذلك سنة ٨٥٣ ق.م فيما عرف بمعركة قرقر.

* التاريخ :

بعد موجات الأكاديين والعموريين والكنعانيين، وصلت موجة الآراميين من شبه الجزيرة العربية، في أواخر النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد. وكانت القبائل شبه البدوية تدعى «أحلامو» قد تحدّثت عنها نصوص مدينة ماري، في نحو القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وأقدم ذكر للآراميين هو من قبل الآشوريين حيث ذكروهم على هيئة قبائل تسمى "الأخلامو"، في النصوص الآشورية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد المعارك والتي خاضها الآشوريون ضد هذه الجماعات، التي عرفت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد باسم «أحلامي آراميا» وكانت أشهر تلك المعارك بين الآشوريين والآراميين، جرت في مناطق جبل البشرّي وتدمر . واستقرّ الآراميون في حوض البليخ؛ فعرفت منطقتهم باسم «آرام نهاريم» حول مدينة «حرّان» بين نهري الفرات والخابور. وبعد ازدياد قوة الآراميين استقروا في المناطق الواقعة بين تدمر وجبل البشري وسط سوريا وتل حلف في الجزيرة الفراتية حيث استقروا وكونوا ممالك آرامية ثم اتسعت مناطق استقرارهم في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد في أنحاء الهلال الخصيب شرقي الفرات وغربه، وذلك بعد انهيار التوازن في بلاد المشرق القديم بتزايد حدة غارات شعوب البحر وتحركاتهم، وانهيار الإمبراطورية الحيثية في الأناضول وسوريا الشمالية، وانحسار نفوذ مصر القديمة عن بلاد كنعان وضعف بابل الكاشية.

لقد تأثر تاريخ المنطقة؛ كما تأثرت حضارات كثيرة بسقوط دولة المنطقة، كما تأثرت حضارات كثيرة بسقوط دولة الميتانيين، واكتشاف الحديد وحسن استخدامه في ميادين الصناعة والحرب، واجتياح «شعوب البحر» الساحل الشرقي للبحر المتوسط حتى حدود مصر، وتمزّق الإمبراطوريتين البيزنطية والحيثية إلى

دويلات وإمارات، واستقرار الفلسطينيين في بلاد كنعان، فتشكلت ممالك الآراميين في سوريا ، واستفادت من طرق القوافل، ونجحت في إيصال أحد قادتها «أدد . آفال . إدين» إلى عرش بابل .وظهرت ممالك الآراميين كقوة عسكرية لها أهميتها في المنطقة، وكمراكز اقتصادية وثقافية؛ تركت طابعها الحضاري عبر العصور. وكان أشهر هذه الممالك الآرامية :

– في الشمال :

• مملكة بيت عديني : عاصمتها «تل برسيب / تل أحمر حالياً»، امتدّت شرقاً حتى نهاية البليخ.

• مملكة بيت بحياني : عاصمتها «غوزانا / تل حلف حالياً» قرب رأس العين على نهر الخابور.

– وفي شرق الخابور الأعلى :

أسست القبيلة الآرامية «تيمانيا» عند رأس العين ثلاث إمارات هي :

• نصيبين • حوريزانا • جيدارا.

وفي شرقها استقرت قبائل سوهو الآرامية في حوض الفرات من «عانة» حتى «ربيقو» .

– وفي جهة الغرب منها :

تمكن الآراميون من تأسيس:

• إمارة بيت أجوشي : التي كانت تضم حلب و«أرفاد / تل رفعت حالياً»، وكانت مجاورة لمملكة بيت عديني.

• مملكة شمأل / زنجرلي : حالياً عند جبال الأمانوس.

– وفي وسط البلاد :

• مملكة حماة التي عثر فيها على آثار آرامية.

– وفي جنوبي العاصي والليطاني :

• مملكة آرام صوبا : في البقاع.

• مملكة آرام بيت رحوب : تقع جنوبي مملكة آرام صوبا، عند منعطف نهر الليطاني.

• مملكة أرام معكة : كانت تشمل مقاطعة «دان / تل القاضي حالياً» في الجولان.

• مملكة آرام دمشق : أصبحت زعيمة الممالك الآرامية منذ أسسها القائد الآرامي «رزون بن اليدع» حتى سقوطها آخر عهد آخر ملوكها «رصين» بيد تغلات فلاسر، ملك الآشوريين . وإن زعامة مملكة دمشق تفسِّر تسمية ملكها باسم «ملك آرام»، وتوضِّح أسباب اكتشاف نصب ملقارت، الذي نقشت عليه كتابة آرامية، تتضمَّن اسم ملك دمشق «بر حدد» في المنطقة الشمالية.

• مملكة جشور : بين نهر اليرموك ودمشق.

* مملكة آرام دمشق :

ازدهرت مملكة آرام دمشق وازدادت قوةً ونفوذاً بعد إبعاد الخطر الآشوري عن العالم الآرامي في غرب الفرات وأحرزت مملكة آرام دمشق مكانة مهمة في النصف الثاني من القرن التاسع ق.م. عندما تولى الحكم فيها حزائيل ويعني اسمه (إيل يرى) (٨٤١-٨٠٥) ق.م. الذي أنهى حكم أسرة برهدد، وبقي ملك آرام دمشق سيد الموقف في معظم أصقاع العالم الآرامي فبسط سلطانه على جنوب سوريا، ومدّ نفوذه من وادي نهر اليرموك إلى أرنون وربما وادي الموجب، وفلسطين

ووصل إلى بلدة جات شرق عسقلان. وامتدت مملكة آرام دمشق لتضم مناطق كثيرة من بلاد آرام في سوريا والمنطقة المجاورة.

* امتداد النفوذ الآرامي :

سيطر الآراميون من شرق سوريا إلى منطقة حوض دجلة الأدنى وازداد النفوذ الآرامي في اتجاهات عديدة، إذ استولى أمراء آراميون على عرش بابل ومنهم نابو مكين زيري (٧٣١ : ٧٢٩ق.م) ومردك أبلا إدينا (٧٢١ : ٧٠٥/٧٠٣)ق.م. وفي خضم هذا النزاعات، نقل الآشوريون عشرات الألوف من السكان الآراميين في مختلف أرجاء الهلال الخصيب، والذين نقلوا معهم لغتهم وعقائدهم كما تعرضت بابل للتدمير والتخريب وقضت الحرائق على أهم معالمها القديمة وقصورها ولاسيما على يدي سنحريب ملك آشور، ثم إبان النزاع بين الأخوين آشور بانيبال (٦٦٨ : ٦٢٧) ق.م، وشمش شوم أوكين (٦٦٨ : ٦٤٨) ق.م. ومع ذلك فإن الآراميين لم يقروا بالهزيمة، فأعيد بناء بابل التي سرعان ما استأنفت تصدّيها لمطامع ملوك آشور، واستطاع الأمير البابلي نبوبولاصر أو نابو أبلا أصّر (٦٢٥ : ٦٠٥) ق.م أن يعلن نفسه ملكاً على بابل وأن يشن على آشور حرباً لا هوادة فيها متحالفاً مع أعدائها المحيطين بها من الشرق والشمال (الميديون والسكيثيون). وانتهت هذه الحرب بالقضاء على مملكة آشور ٦٠٩ ق.م. وقامت على أنقاضها «الامبراطورية البابلية الثانية» (٦٠٥ : ٥٣٩) ق.م والتي كان من العسير التفريق فيها بين البابليين والآراميين، فقد اختلط الجميع وتمازجوا بقوة وعمق في إطار ثقافة مزدوجة (بابلية – آرامية) كانت اللغة الآرامية أهم عناصرها، وظل الأمر على هذا النحو إلى أن انتقلت السيادة السياسية إلى ملوك الأسرة الفارسية الأخمينية (٥٣٩ : ٣٣٢) ق.م.

*أشهر الممالك الأرامية التي سقطت في القرنين (٨ – ٧) ق.م:

١– ملكة بدان آرام :

تقع في حوض البيليخ ومركزها مدنية حران وورد اسمها في النصوص المصرية والتي تعود للقرن السادس عشر قبل الميلاد.

٢– مملكة آرام نهرين :

تقع بين نهري الخابور والفرات، ظهرت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وأستمرت إلى القرن الثامن قبل الميلاد. هاجمها سرجون الثاني سنة ٧١٧ق.م (وهي اليوم مدينة جرابلس السورية) .

٣– مملكة بيت عديني :

تقع بين نهر البليخ شرقاً وضفتي نهر الفرات الأوسط غرباً، سقطت بأيدي الأشوريين سنة ٨٥٦ ق. م في عهد شلمنصر الثالث .

٤– مملكة بيت باخياني :

عاصمتها غوزانا الميتانية القديمة (تل خلف) قرب رأس العين السورية .

٥– مملكة بيت زماني :

تقع بين الفرات وينابيع الخابور وكانت عاصمتها مدينة آمد (ديار بكر في سوريا) في القرن العاشر قبل الميلاد قضى عليها آشور ناصر بعل ٨٠٠ ق.م.

٦– مملكة شم أيل أي أسم أيل :

تأسست على الأرجح في القرن العاشر قبل الميلاد. و هي أكبر الممالك

الآرامية الشمالية، امتدت بين حلب وحوض نهر الأسود وعاصمتها زنجرلي وقد دفعت الجزية للآشوريين.

٧- دويلات رجوب ومعكا وجشور :

في المنطقة الجنوبية الغربية للهلال الخصيب، وتقع رحوب في أقصى شمال فلسطين، ومعكا قرب جبل الشيخ، وجشور بين دمشق واليرموك (ورد ذكرها في العهد القديم أيام الملك داوود) .

٨- مملكة لركم :

نشأت في القرن الحادي عشر قبل الميلاد في المنطقة بين شمأل شمال وعديني جنوباً. وكانت مدينة مر كاسي (مرعش) عاصمة لها سقطت على يد سرجون الأشوري.

٩- مملكة سوحي :

نشأت بين نهر اخابور ومصب نهر الليخ أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد. قضى عليها آشور ناصر بعل سنة ٨٧٩ ق .م.

١٠- مملكة بيت أغوشي :

قامت بعد سقوط الدولة الحيثية بيد شعوب البحر، وأمتدت بين طرابلس وحلب عاصمتها عرباد (تل رفعت) قاومت كثيراً إلى أن سقطت على يد تجلات بلاسر الثالث ٧٤٠ ق .م و بعد حصار دام ثلاث سنوات.

١١- مملكة حماة :

أنتزعها الآراميون من الحيثيين في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد

وجعلوها دولة قوية لعبت دوراً في التحالفات ضد الأشوريين وشملت تسع عشرة مقاطعة، سقطت بيد سرجون الثاني ٧٢٠ ق.م.

١٢- مملكة آرام صوبا :

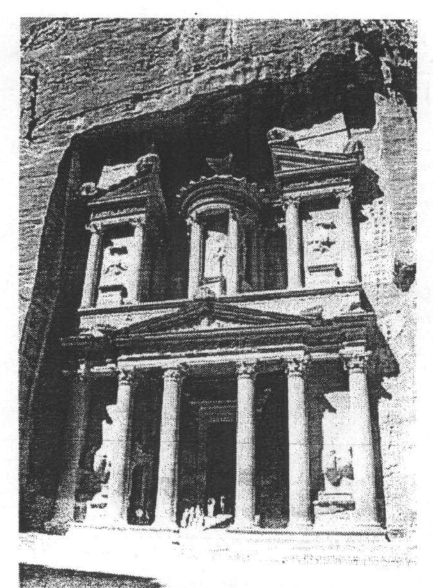
من أقدم الممالك الآرامية، عاصمتها عنجر (في لبنان) حاربت الملك داوود.

١٣- مملكة أرآم دمشق (دار مسيق) :

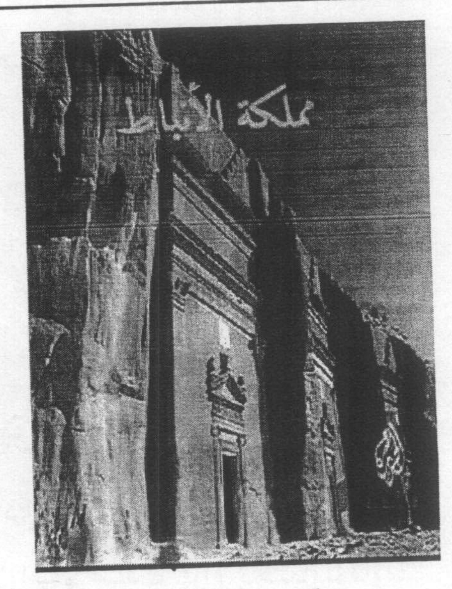
استقلت عن أرام صوبا في القرن الحادي عشر حيث أتخذ القائد رزون لقب ملك آرام. وقد كانت أقوى الممالك الأرامية، ضمت آرام تجمعا لمقاومة الآشوريين، لكنها سقطت سنة ٧٣٢ ق. م

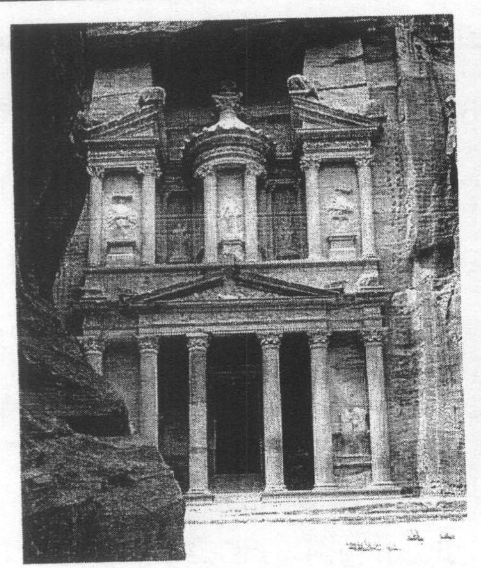
*الممالك الأرامية التي حافظت على استقلالها بعد القرن السابع قبل الميلاد :

١- ملكة الأنباط :



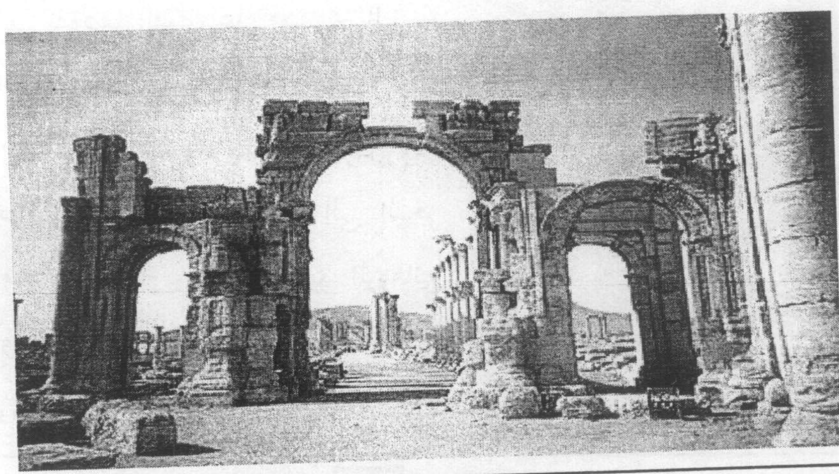
ظهر نفوذها القوي على مسرح التاريخ بدءاً من القرن الرابع قبل الميلاد، وكانت لغتها احدى اللهجات الأرامية وعاصمتها البتراء. وقد أمتدت حدودها من البحر الميت إلى البحر الأحمر، وقد سقطت بيد الإمبراطور الروماني تراجان، وبعد ذلك انتقل الدور الريدي في التجارة إلى تدمر.



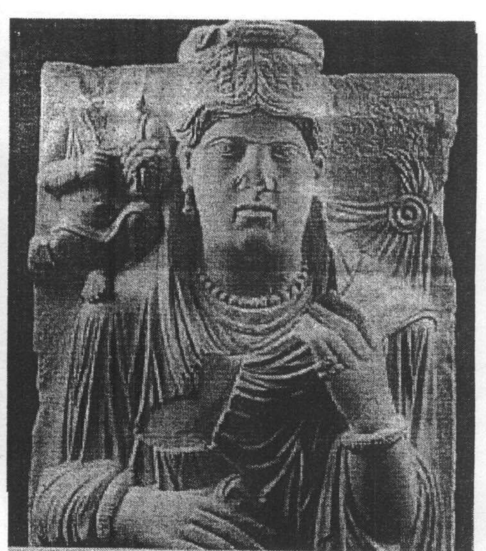


٢- مملكة تدمر (تقع وسط سوريا) :

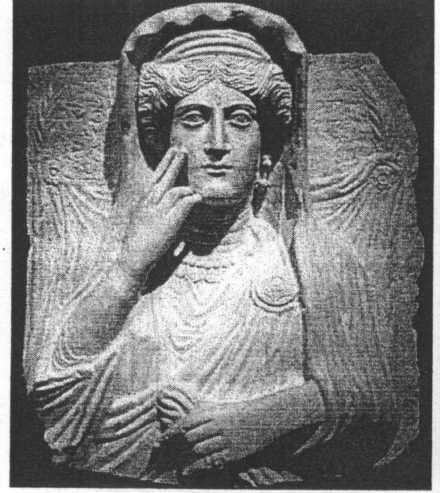
عرفت عند اليونان باسم بالميرا بمعنى النخيل (دوامة داتمرة) ولكن معنى اسمها بالسريانية (تدمرتو) الأعجوبة، تعود معظم آثار تدمر إلى القرن الثاني الميلادي. وقد كانت محطة هامة بين الشرق والغرب للقوافل التجارية، حافظت تدمر على استقلالها أثناء النزاع بين البارثيين والسلوقين، ولكنها سقطت عسكرياً بيد الإمبراطور أورليانوس .

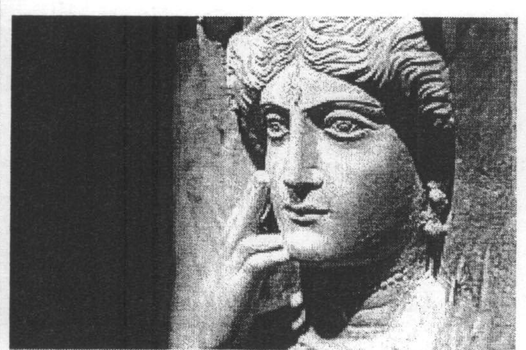






الملكة زنوبيا
ملكة تدمر





٣- مملكة الحضر :

هي من أقدم مملكة عربية في العراق، تقع إلى الجنوب الغربي من الموصل كانت اللغة الحضرية لهجة أرامية شرقية، والكتابة الحضرية لا تشبه الكتابة العربية الحالية في الشكل، ولكنها تحتوي على نفس المضمون ونفس الألفاظ .

٤- مملكة الرها :

تقع شمال سوريا (وهي اليوم مدينة أورفا في تركيا)، وفد أزدهرت هذه المدينة بعد دخول ملكها ابجر المسيحية، من ثم أصبحت مركز هام للكنيسة السريانية وتطورت بها العلوم والأداب منذ القرن الثالث الميلادي، لقد خضعت للنفوذ الروماني سنة ٢٢٤ م على يد الأمبراطور كركلا.

* اللغة الآرامية :

* لغات سامية :

تنتمي اللغة الآرامية وهي إحدى لغات سوريا القديمة إلى أسرة لغوية كبيرة عرفت في أوساط الباحثين باسم اللغات السامية وأقرب اللغات القديمة إليها هي اللغات الكنعانية، وكباقي اللغات بينها وبين اللغات السامية عناصر مشتركة كثيرة في النطق والمفردات والتصريف.

لقد عرف المشرق القديم في أيامهم وحدة ثقافية لغوية واقتصادية قامت على أكتاف الآراميين لم يشهد لها المشرق مثيل من قبل بهذا الاتساع وبهذه القوة، وحتى بعد دخول الإسكندر المقدوني وقيام الممالك الهلنستية (السلوقيين والبطالمة) انتشرت الثقافة الهلينية في بلاد المشرق، رغم ذلك بقيت اللغة الآرامية بالرغم من التأثيرات الجديدة وظلت منتشرة، وكان ذلك من أهم عوامل وحدة المشرق القديم، واستمرت اللغة الآرامية بقوتها حتى فتح المسلمين لبلاد الشام. وقد انطلقت اللغة مع قيام الحضارة الآرامية في وسط سوريا وكانت لغة رسمية في بعض الدول العالم القديم، ولغة الحياة في الهلال الخصيب، كما تعد لغة مقدسة. وقد فرضت اللغة الآرامية نفسها على المنطقة، يساعدها على ذلك النشاط

التجاري للمتحدثين بها. وتعود بدايات كتابتها للقرن العاشر قبل الميلاد، إلا أنها أصبحت اللغة المسيطرة في الهلال الخصيب بدءاً من القرن الخامس قبل الميلاد بعد هزيمة المملكة الآشورية، ومنذ القرن السادس قبل الميلاد غدت اللغة الآرامية اللغة السائدة بين مقاطعات الإمبراطورية الفارسية الواسعة الأرجاء، ولقد حصل الأرمن والفرس والهنود على أبجديتهم من مصادر آرامية، وحروف الفهلوية والسنسكريتية هي من أصل آرامي، وحمل الكهنة البوذيون الأبجدية السنسكريتية إلى قلب الصين وكوريا واليابان، وكان عدد المتكلمين بالآرامية في بلاد آشور أكثر من المتكلمين باللغة الآشورية.



نصب مالكي مزود بكتابة آرامية وجد في النيرب (تل آفيس) قرب حلب من القرن ٧ ق.م



نقش آرامي في مادبا الأردن

كانت لغة حيّة تطورت من لغة مجتمع بدوي إلى لغة مجتمعات حضارية مستقرة، وبقيت لغة الثقافة والتجارة والإدارة والفكر والأدب فترة طويلة تقرب من ألفي عام. وقد كُتب بها سفري دانيال وعزرا، ومخطوطات البحر الميت، وهي اللغة الرئيسية في التلمود. ومن المؤكد أن الآرامية هي لغة يسوع المسيح، وبها تأثرت اللغة الفارسية والعبرية واليونانية واللاتينية. أخذت اللغة الآرامية تتوارى، كلغة أدب وتخاطب، وحلّت محلها اللغة العربية، وأصبحت اللغة المحكية، وأضحت اللغة السريانية لغة دين وكنيسة. واعتنق كثير من السريان الآراميون الإسلام، وانصهروا في البوتقة العربية، فهجروا لغتهم، وتكلموا العربية، ففقدوا بذلك طابعهم الآرامي. وما زالت اللغة تستخدم كلغة للتداول اليومي في الشرق الأوسط خاصة بين معتنقي الديانة المسيحية من أتباع كنائس مسيحية سريانية في بلاد سوريا والهلال الخصيب وتركيا وإيران، وفي ولاية ميشيجان في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب الهجرة الكثيفة للناطقين باللغة الآرامية من السوريين والعراقيين إلى مدينة ديترويت، وفي السويد وألمانيا وهولندا بين المهاجرين من الشرق.

تطورت الكتابة الأرامية عبر العصور ليتوصّل الآراميون لكتابة خاصة بهم في القرن السابع قبل الميلاد بالترتيب الأبجدي. ثم تطورت كثيراً في القرن السادس قبل الميلاد بحيث صارت "لغة الدبلوماسية" كما هو الحال مع الإنجليزية حالياً إلى أن انبثق منها خطان: حضارة سوريا الداخلية الآرامية التدمرية والسورية القديمة والآرامية السريانية.

* اللهجات الآرامية :

الآرامية لفظة تشمل مجموعة لغوية غنية ومعقدة تتفرع إلى لهجات سامية نطقت بها المجموعات الآرامية المنتشرة في مختلف أنحاء الهلال الخصيب. وقد

تعلم الآراميون من الكنعانيين فن الكتابة الأبجدية وحاولوا استعمال اللغة الكنعانية في كتاباتهم، غير أنهم كشفوا عن ذواتهم باستعمالهم تعابير آرامية مثل مقطع "بو" و"بيت". وسرعان ماتخلوا عن الكنعانية وأخذوا في استعمال لغتهم الخاصة. إن أقدم النصوص التي وصلتنا باللغة الآرامية ترقى إلى القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، وفيها يبدو التطور واضحاً من اللغة الكنعانية إلى اللغة الآرامية. ويمكن تقسيم اللغة الآرامية إلى أربع فئات :

١- الآرامية القديمة :

هي لغة الكتابات التي عثر عليها في شمال سوريا الحالية والتي ترقى إلى الفترة التي ما بين القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد. إن أقدم المكتشفات تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد واللقى المكتشفة كانت تكتب باللغة الآرامية. ثم أخذت هذه اللهجة في التطور والاكتمال. ومن الصعب القول أن هذه اللهجة كانت سائدة لدى جماعات أخرى من الآراميين، لعدم توفر نصوص تعود إلى تلك الحقبة مثل تلك التي أُكتشفت في شمالي سوريا والمنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات (بلاد ما بين النهرين)؛ موطن الحضارة الآرامية.

٢- الآرامية الرسمية :

ظهرت لهجة جديدة في الكتابات التي وردتنا من شمالي سوريا بعد هذه الحقبة، وفي الكتابات الواردة في شريعة "بر ركوب" التي دونت أقدم أجزائها بالآرامية القديمة لغة سوريا القديمة. وهذه اللهجة الجديدة هي التي تداولتها الوثائق الرسمية في مختلف المناطق الآشورية، ثم تبنتها الإمبراطورية الفارسية بدورها كلغة رسمية في الدوائر الحكومية. ففي العهد الآشوري (١١٠٠ : ٦١٢)ق.م تبنت الدولة اللغة الآرامية وأصبح المشرفون على الشئون الإدارية

يتقنونها أكثر من الاكادية، لا سيما في المناطق النائية حيث استعملوا للمراسلات نموذجاً من الآرامية المبسطة. كما أن عادة إرفاق جداول آرامية بالألواح المسمارية أخذت تزداد منذ ذلك التاريخ حتى في قلب الإمبراطورية. وكانت هذه الجداول ترجمة آرامية موجزة لما تحتويه الألواح المسمارية؛ لاستعمال التجار بنوع أخصّ. حيث أن الآرامية التجارية صارت أساساً للآرامية الرسمية، إذ تبناها الشعب في مختلف أرجاء الإمبراطورية، مفضلاً أياها في الأغراض الأدبية على لغته الخاصة. كما نلاحظ في الألواح الأكّادية أن بعض الكتبة يسمون بـ "كتبة الآرامية". ونشاهد على تمثال "بر ركوب" في زنجرلي كاتباً أمامه وبيده ريشة وحبر ولوح مهيّأ للكتابة بهذه الآرامية الرسمية. ومن الجدير بالذكر أن بر ركوب هذا كان عميلاً مخلصاً للملك الآشوري. كما نرى هذه الآرامية منحوتة في كثير من الأختام والأواني – (التي عثر على العديد منها في سوريا) أو منقوشة على الخزفيات.

وقد انتشرت الآرامية الرسمية انتشاراً واسعاً في العهد الآشوري، وانتشرت من سوريا جنوباً وليس في الإمبراطورية الآشورية فحسب، بل في الأقطار الأخرى أيضاً. فقد عثر على إناء من البرونز بالقرب من أوليمبيا اليونانية تحمل اسماً محفوراً بالحروف الآرامية. ومن المحتمل أن تكون الأبجدية التي أخذها اليونان عن الساميين في سوريا وآسيا الصغرى من النموذج الآرامي أكثر مما هي من النموذج الفينيقي.

أما في مصر فإننا نجد كتابات بالآرامية منذ عهد أسرحدون (٦٨٠ : ٦٦٩) ق.م وقد اشتهرت المخطوطات التي عثر عليها في أسوان أو بالأحرى في الفنتين المصرية (جزيرة فيلة) هي عشر مخطوطات بيعت في أسوان سنة ١٩٤٠م. واكتشفت في طرطوس قيليقية كتابات أقدم. كما شقت هذه اللغة طريقها إلى قلب

الجزيرة العربية نفسها. واستمرت الآرامية تشغل مكانتها المرموقة في العهد البابلي الحديث (٦٢٦ : ٥٣٨) ق.م، وفي العهد الفارسي (٥٣٨ : ٣٣٠) ق.م.

وقد مرت هذه اللغة بفترة عصيبة في العهد اليوناني (٣١٢ : ٦٤) ق.م حيث أخذت اللغة اليونانية تفرض نفوذها على المناطق الهلنستية في كامل سوريا، غير أنها قاومت هذا النفوذ، وظلّت سائدة في "الحضر" مثلاً رغم مظاهر الحضارة اليونانية الرومانية البادية في أطلالها. وعوّضت الآرامية عما فقدته في العهد اليوناني، إذ بسطت نفوذها في البلاد العربية حيث تداولها الأنباط والتدمريون ومملكة تدمر حتى العهد المسيحي، وفي فلسطين حيث تمسكت بها الجماعات التي ناهضت الثقافة اليونانية.

٣- الآرامية الغربية :

انتشرت الآرامية الغربية في مناطق متفرقة من سوريا، وجنوبها وفي الممالك الآرامية السورية، وقد بقيت اللغة الآرامية هي السائدة بالرغم من سعة انتشار اليونانية. كانت الآرامية لا تزال لغة الشعب إبّان القرن الميلادي الأول، ولم تنافسها إلاّ اللغة العربية بعد قدوم المسلمين. واستمرت الآرامية حتى زمن طويل ولم تنطفئ تماماً لأنها لا تزال محكية في بعض قرى ومناطق سوريا ولو بصبغة متغيرة كثيراً. إن شهرة الآرامية الرسمية كلغة الثقافة والشئون الدولية أخّرت استعمالها للأغراض الأدبية، مثلما أخّرت اللاتينية استعمال اللهجات المحكية في إيطاليا للشئون الأدبية مثلاً. إلاّ أن فرقاً أخذت تستعمل لهجاتها المحلية في الممالك داخل سوريا للكتابة بدلاً من الآرامية الرسمية. ويمكننا أن نميز أربع لهجات سادت الآرامية الغربية هي:

* **الآرامية اليهودية الفلسطينية** : ظهرت هذه اللهجة في جنوب سوريا

وفلسطين بالكلمات الآرامية والتعابير الواردة في يونانية العهد الجديد وقد بقيت هذه العبارات بصيغتها الآرامية في العهد الجديد (متى ٢٧: ٤٦، مرقس ٣: ١٧، ٥: ٤١، ٧: ٣٤، ١٤:٣٦، ١٥: ٣٤، أعمال الرسل ٩: ٣٦، ١: ١٩، ١ كور ١٦: ٢٢، روم ٨ :١٥، غلاطية ٤: ٦). وكانت آرامية الجليل هي اللهجة التي نطق بها المسيح ورسله وهي تختلف اختلافاً واضحاً عن لهجة الجنوب السائدة آنذاك في أورشليم وما حولها (متى ٢٦: ٧٣). وقد كُتب التلمود وأقدم المداريش بهذه اللهجة الجليلية نفسها. وبهذه اللهجة أيضاً جاء ترجوم "يوناثان" المنحول والترجومات الأورشليمية ونتف من الترجوم الفلسطيني بنوع خاص. أما طريقة النطق بهذه اللهجة فليست أكيدة رغم ما تقوله القراءات الرابينية.

* **الآرامية السامرية** : إن السامريين ترجيحاً للتناخ بلهجتهم الخاصة التي تقرب كثيراً من اللهجة الجليلية. وقد كتبوا بها أيضاً قطعاً طقسية وأناشيد وقصائد وهي غير العبرية السامرية التي استعملت في الكتابات الدينية حصراً. أما الأبجدية الغربية التي كتب بها السامريون آراميتهم فهي تطور محلي للخط الكنعاني القديم. وقد زالت هذه اللهجة بعد الدخول الإسلامي وحلت العربية محلّها.

* **الآرامية الفلسطينية المسيحية** : استمر المسيحيون الأولون في فلسطين دون شك يستعملون اللهجة المحلية فيما بينهم، وأصبحت اليونانية اللغة الرسمية للديانة الجديدة وبها كتب العهد الجديد ما خلا إنجيل متى الآرامي. وشعرت الجماعات المسيحية التي انتحت جانب البيزنطيين في بلاد الشام بحاجة إلى نصوص دينية بلهجتهم الخاصة، فقامت بترجمات معظمها من اليونانية لكلا العهدين ولعدة رتب طقسية، وتدعى اللهجة في الجنوب "آرامية فلسطينية المسيحية" التي كانت مستعملة كذلك لدى مسيحيي مصر الناطقين بالآرامية.

* **الآرامية الغربية الحديثة** : ازدهرت هذه اللهجة في منطقة من سوريا ولا زالت هذه الآرامية مستعملة في ثلاث قرى واقعة في الشمال الشرقي من دمشق وهي: معلولاً وبخعا وجبعدين، وقد عانت تغييراً كبيراً وتأثرت إلى حد بعيد في نحوها وألفاظها باللغات التي سادت في دمشق وما حولها، ولكنها تعتبر لغة حية للآرامية الغربية.

٤- الآرامية الشرقية :

كان للآراميين الذين انتشروا في منطقة دجلة والفرات لهجاتهم المحلية الخاصة المختلفة عن الآرامية الرسمية. وقد أصبح بعض هذه اللهجات مكتوباً ومستعملاً للأغراض الأدبية أيضاً. وانتشرت هذه اللهجات المحلية حتى في جبال أرمينيا وآشور. ويمكننا أن نميّز في هذه الآرامية الشرقية أربع فئات أيضاً:

* الآرامية البابلية :

آرامية بابلية يهودية : وهي ظاهرة في التلمود البابلي وفي وثائق ترقى إلى ما بين القرنين الثاني والسابع للميلاد. ولم تكن هذه اللهجة موحدة، ويبدو اختلاف صيغها حتى في التلمود نفسه. أما كيفية التلفظ بها؛ فشأنها شأن الآرامية (اليهودية – الفلسطينية)، وهي تتبع الطرق المصطلحة لدى السلطات الرابينية التي كانت تتداولها.

* **اللغة المندائية** : كتب المندائيون بجنوب العراق أدبهم بهذه الآرامية الشرقية. فهناك وثائق لهذه الديانة المستقلة كتبت بلغة تطورت محلياً من الآرامية القديمة، قد تكون صيغة صافية من الآرامية الشرقية غير المتأثرة بالعبرانية، كاللهجة اليهودية، أو باليونانية، كما هي الحال مع السريانية. ولكن الوثائق التي وصلتنا بهذا

اللهجة ترقى جميعها إلى حقبة متأخرة، وقد طرأ عليها تغيير لفظي كبير وتأثرت كثيراً باللغة العربية.

* **اللغة السريانية** : لابدّ أن هذه اللهجة التي أصبحت اللهجة للآرامية الشرقية، وكانت مستعملة كلغة أدبية للسريان/الآشوريين في سوريا وشمال ما بين النهرين قبل العهد المسيحي. إلا أن النصوص القليلة الباقية والعائدة إلى القرن الأول الميلادي لا تتيح لنا البتّ في هذا الأمر. أما في منطقة الرها الآرامية؛ فقد حلّت فيها مدرسة مسيحية محل المركز الوثني وتطورت الآرامية الشرقية فيها إلى لغة أدبية مزدهرة ارتفع شأنها عالياً لا سيما بعد أن اتخذتها المسيحية لغة الدين والآداب لها. وفي القرن الخامس عندما ثارت الجدالات العقائدية في الشرق، استفادت اللغة من ذلك فائدة عظمى، إذ راحت كل فئة تعمل على صقلها واغناء مفرداتها وضبطها لتكون قادرة على التعبير عن حاجات الناس كلها، اللاهوتية والفلسفية والعلمية والطبية والفلكية واليومية. وكان للانعزال الذي سببته هذه الجدالات أثره العميق أيضاً في كلتا الفئتين الشرقية والغربية وفي تطور اللغة فيها، إذ اخذت الاختلافات اللفظية والكتابية تبرز واضحة منذ نهاية القرن السادس الميلادي. وهكذا انقسمت اللغة الآرامية من حيث اللفظ والخط إلى سريانية شرقية وسريانية غربية.

وقد جاهد المسيحيون للذّود عن لغتهم ضد التاثير البيزنطي المتصاعد، ولكنهم لم يفلحوا في منع تسرّب اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية، بيد أنهم افلحوا في نشرها في البلاد الفارسية ومنها إلى البلدان الشرقية، ثم إلى الشرق الأقصى؛ إلى الصين والهند. وما زالت متداولة في الهند لدى السريان الملباريين والملنكاريين كلغة طقسية. أما في المنقطة الغربية فقد امتدت إلى آسيا الصغرى

وبلاد الشام، ودخلت البلاد العربية. وكان تأثيرها كبيراً على لغات كثيرة كالعربية والأرمنية والإيرانية، حتى استعملها الوثنيون والمانويون أنفسهم لأغراض دينية. ثم تقلص نفوذها بعد الدخول الإسلامي أمام اللغة العربية فظلت لغة أدبية حتى القرن الرابع عشر ولم تزل لغة طقسية لدى الكنائس السريانية الشرقية والغربية. فعندما سيطر العرب على بلاد آرام التاريخية والعراق في القرن السابع الميلادي بدأت تتراجع اللغة السريانية مقابل اللغة العربية خصوصاً عندما أصدر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان مراسيم تعريب أدارة الدولة عام ٧٠٥م . ولكن لم تنتهي رسالة السريان الحضارية فقد لعبوا دوراً رئيسياً في حركة الترجمة التي شجعها الخلفاء المتنورين من العباسيين (مثل الأمين والمأمون)، ولقد كان الانتاج الفكري للسريان غزيراً وخاصة في الطب والفلسفة و تركوا تأثيراً كبيراً علي الثقافة العربية.



كتابة سريانية من القرن ١١.

* **اللهجات الآرامية الحديثة** : ما زالت لهجات الآرامية الشرقية (السورث) محكية لدى الجماعات المسيحية القاطنة في جبال آشور والقرى المسيحية

الواقعة في شمال شرق سوريا وشمال العراق وعلى الضفاف الشرقية من بحيرة أورمية وجبال طور عبدين. ولم يتخلّ عنها أصحابها الذين ونزحوا إلى أمريكا أو أوروبا أو غيرهما من الأقطار البعيدة. إلا أنه قد طرأ عليها (السورث) - على غرار الآرامية الغربية الباقية إلى الآن- تغيير كبير في اللفظ وتأثرت بالظروف وباللغات المجاورة كالعربية والتركية والفارسية وأخذ المتحدثون بها يستعملونها للأغراض الأدبية أيضاً منذ القرن السابع عشر تحت تأثير المراسلين الغربيين؛ فينشرون بها صحفهم ومجلاتهم وكتبهم، فسادت في هذا المضمار اللهجة الأورمية.

* لهجات أخرى :

هنالك لهجات آرامية أخرى كالمندعية والتدمرية والنبطية والحضرية وغيرها ولكن لافارق كبير بينها. والتدمرية -(مملكة تدمر الواقعة في وسط سوريا وعاصمتها تدمر وتسمى بالميرا)- والنبطية هما لهجتان آراميتان (الأنباط: أنباط الدولة النبطية في الأردن وعاصمتها سلع بالآرامية أو البتراء باليونانية).

خلاصة القول: إن الخط الذي اقتبسه الآراميون الأولون من جيرانهم الكنعانيين سكان الساحل السوري أصبح مصدراً لمعظم الكتابات الحالية. فانتشرت إحدى صيغه في آسيا الصغرى الواقعة إلى الشمال من سوريا ومنها انتقلت إلى بلاد اليونان حيث اعطت الأبجدية اليونانية التي أصبحت بدورها مصدر اللاتينية الغوطية والأبجدية القورلية المستعملة في أوروبا والكتابات القبطية في مصر. وهناك صيغة أخرى انبثقت منها الكتابة البهلوية في إيران الوسطى ومن خلالها الأفستية والسغدية والأبجدية المانوية التي منها أتت الكتابات الويغورية والمغولية والمانشؤية والكالموكية واليورياتية. واعطت صيغة أخرى منها الكتابات الخروشتية والبرهمانية ومن خلالها الكتابات التيبتية وكتابات مستعملة في الهند والجنوب الشرقي من

آسيا واندونيسيا. وإحدى صيغها الأخرى كانت مصدراً للكتابة الارمنية التي منها جاءت الكتابات الجيورجية والقفقاسية. وعن إحدى صيغها نتجت أيضاً الكتابة العربية المربعة والخطين التدمري والنبطي، ومن هذا الأخير جاء الخط العربي بأشكاله العديدة في الفارسية والتركية والاوردية والمالوية. وقد تفرعت الكتابة الماندية الغربية أيضاً من إحدى صيغ الكتابة الآرامية.

* الأدب الآرامي :

لم تؤد التنقيبات الأثرية التي أجريت حتى اليوم إلى العثور على الكثير من آثار الأدب الآرامي القديم في مناطق سوريا (بلاد آرام)، ومن أهم ما عثر عليه من الأدب الآرامي نقش "كيلاموا" ملك شمأل، ونقش آخر يمثل ملك "غوزانا" (في تل حلف حالياً)، ونقش تل الفخارية وهم من الآثار الآرامية في سوريا على نهر الخابور وهي (بلاد آرام) الجزيرة السورية قلب العالم الآرامي القديم. ولعل مرد قلة المكتشفات يعود إلى عوامل مناخية والتي لم تبق على الشيء الكثير من هذه الآداب القديمة لأن أكثرها كتب على لفائف من البردي أو على الجلد، وهي مواد لا تصمد لعوادي الزمن كالحجر.

* نقوش :

◂غوزانا وشمأل وتل الفخارية :

تعتبر غوزانا إحدى الممالك الآرامية في سوريا، ويعتبر نقش ملك غوزانا من صلب الأدب الآرامي، إضافة للنصوص الملكية الآرامية والتي تعود إلى منتصف القرن الثامن والتاسع قبل الميلاد في بلاد آرام في الجزيرة السورية، ونقش هدد ملك غوزانا وكذلك نقش كيلاموا ملك شمأل والنقوش الآرامية في تل الفخار،

وقد تبلور الأدب الآرامي في عدد من مدن آرام السورية، وينبغي القول أن "سيفوس" المؤرخ الروماني كتب كتابه المعروف في التاريخ القديم أولاً باللغة الآرامية السورية القديمة في عام ٧٥م وبعد ذلك باليونانية؛ وهو النص الذي وصل إلى أيدي الباحثين. ويتضح أن اللغة الآرامية تطورت وأصبحت لغة الإدارة والتجارة والأدب وغدت فيما بعد لغة عالمية.

نص دير علا : أو (نبوءة الكاهن بلعم بن بئور)

مع ما يعتري النقوش على بعض جدران دير علا في الأردن من شكوك في ارتباطها بالآرامية لغوياً، فهي على الأرجح نصوص بلهجة آرامية قديمة كتبت بالحبر الأحمر والأسود على الجدران المكسوة بالكلس. وإن وضع النص المؤطر ومحتواه يدعوان إلى التفكير بأنه نسخة عن نص أدبي كتب مبدئياً على ورقة أو ملف من البردي أو من الجلد. ويذكر استخدام الحبر الأحمر من أجل كتابة العنوان أو بعض مقاطع العرافة. ولما كان هذا النقش قد أصيب بتلف شديد، فإن محتواه يبقى عصياً على الإيضاح، ويمكن أن يثير تفسيرات مختلفة. ومع ذلك فإن البداية تتضمن حديثاً عن رؤيا تلقاها في الليل كاهن متنبئ يدعى بلعم بن بئور وفيها خبر سيء. وفي اليوم التالي نقل الكاهن متأثراً هذه الرؤيا إلى الناس الذين يحيطون به. ولا يعرف شيء آخر من مضمون هذه الرؤيا.

نصوص فيلة : أو (سيرة الحكيم أحيقار)

بين المخطوطات الكثيرة التي عثر عليها في جزيرة فيلة (وهي الفنتين) مقابل أسوان (سيين) في الصعيد؛ يمكن التعرف على عدد من النصوص الآرامية من عصر آرامية الإمبراطورية. أما أهم هذه النصوص فهي أمثال الحكيم أحيقار وقصته، وكانت هذه النصوص متداولة زمناً طويلاً في المدارس الآرامية في العصر

الفارسي، وقد بقيت سيرة أحيقار إثراً شعبياً معروفاً في الشرق الأدنى القديم كله كما يتضح من الترجمات المأثورة في عدد من الآداب الشرقية، ولاسيما في الأدب السرياني. أما النواة الأساس في كتاب أحيقار فتتألف من مجموعة أمثال باللغة الآرامية الغربية من مصدر سوري قديم. وقد انتظمت هذه الأمثال في قصة تروي ما أصاب أحيقار من سعد ومن نحس، وهو «الحكيم البارع مستشار آشور كلها، وحامل أختام سنحريب ملك آشور». وبقي اسم أحيقار مشهوراً في عصور لاحقة، لأنه يرد في لوح مسماري من العصر الهلنستي أدرجت فيه قائمة بأسماء عدد من المشهورين وفيهم أخوقار وهو أحيقار المذكور هنا على الأرجح. وقد عاش في مطلع القرن السابع قبل الميلاد. أما النسخة الأخرى لسيرة هذا الحكيم الآرامي فكتبت بلغة آرامية وبلهجة شرقية رافدية (لهجة الجزيرة السورية)، وكان هدفها ترسيخ قيم الشرف والأمانة والإخلاص لتربية أجيال من الكتّاب والموظفين الذين كانوا يعدّون للعمل في خدمة الدولة في آشور وبابل وفارس.

◄ **نقش بهيستون** : أو (تعاليم الملك دارا / داريوس / داريوش بالآرامية)

ويتضمن هذا النقش نصّا تعليمياً لتأهيل الموظفين، وهو في الأصل نقش ملكي حُوّل إلى نص مدرسي. وهذه وسيلة من الوسائل التي كانت تتبع لترسيخ الفكرة الملكية والإخلاص في رؤوس أولئك الذين يعدّون للعمل في الدواوين في أنحاء الإمبراطورية. يعود هذا الأثر إلى الأيام الأولى من حكم العاهل الفارسي داريوس الأول (٥٢٢/٥٢١) ق.م. وهو النسخة الآرامية من نقش تاريخي أُعدّ بالخط المسماري وبلغات مختلفة كانت معروفة في بلاد الإمبراطورية، هي الفارسية والعيلامية والبابلية، ليعمم ويعلن في مختلف الأصقاع.

ويمكن تأريخ النص الآرامي لنقش بهيستون في الربع الأخير من القرن

الخامس قبل الميلاد أي بعد قرن تقريباً من اعتلاء داريوس الأول العرش، وهو يؤكد إضافة إلى ملاحظات أخرى، استخدام النص الآرامي في تعليم سيرة الملك ومآثره في مدارس الإمبراطورية الفارسية وفي تربية أتباعه على الولاء له. وقد كتب النص الآرامي لنقش بهيستون على ملف بردي طوله نحو ثلاثة أمتار، ويتألف من ١٩٠ سطراً، وفيه رواية لأخبار الحملات الأولى التي قام بها داريوش الأول لتوطيد أركان عرشه وقمع عدد من الثورات. وتتضمن الخاتمة وصايا وتعاليم أخلاقية موجهة إلى من يتولى الحكم بعده، وفيها تحذير من الكذب والكذابين ودعوة إلى الصدق وقول الحق، وتبشير بمباركة الإله أهورا مزدا للصادقين ولأبنائهم من بعدهم.

◄نصوص قمران : أو (مخطوطات البحر الميت الآرامية)

وهي مخطوطات كتبت بالآرامية والعبرية عثر على عدد منها في مغاور قريبة من البحر الميت في فلسطين ١٩٤٧م، وقد أدى العثور عليها إلى كشف النقاب عن نصوص آرامية مهمة يمكن تعرف مضمونها بمقارنتها بنصوص موازية في لغات شرقية أخرى معاصرة. ويبدو لأول وهلة أن معظم هذه النصوص الآرامية كتب ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. ومن أهم هذه النصوص أربع مخطوطات من سفر طوبيا. وليس من شك لدى الباحثين اليوم في أن هذا السفر كان قد كتب، أول الأمر باللغة الآرامية، ومن المحتمل أن ذلك كان ما بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد بتأثير قصة أحيقار التي يفترض أن كاتب السفر قد عرفها. وهناك أيضاً سفر أخنوخ، الذي يضم الكتاب السماوي وكتاب الحراس وكتاب الأمثال وكتاب الحكماء ورسالة أخنوخ ويمكن أن يضاف إليها كتاب العمالقة. كان سفر أخنوخ معروفاً بفضل الترجمة الحبشية، ولكن بعد العثور على إحدى عشرة نسخة مخطوطة بالآرامية من هذا السفر في المغارة رقم ٤ في موقع قمران؛ غدا من

الواضح أن الآرامية كانت اللغة الأصلية للنص.

عثر على نصوص أدبية متنوعة من مصادر مختلفة مثل نص صلاة نبو نيد، ونص مزيّف عن التكوين من الممكن أن يعود إلى القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد. وكذلك ترجوم سفر أيوب. واستخدمت اللغة الآرامية إلى جانب اللغة المصرية الديموطيقية في كتابة بعض النصوص. ويوجد نص سحري مزدوج اللغة كتب بالمسمارية البابلية وبالآرامية ويعرف بنص أوروك (الوركاء)، وكان أول من قرأه وترجمه فرانسوا ثورو دانجان، ثم نشره أندره دوبون . سومر.

* الحضارة الآرامية : .

* الدين :

يضم مجمع الأرباب عند الآراميين في الميثولوجيا السورية آلهة من كنعان وبابل وآشور، إضافة إلى آلهتهم الخاصة بهم. وللإله عند الآراميين اسم عام هو بعل بمعنى سيّد، ويدعونه أحياناً بعل شميين (رب السموات) كما في نص ذكر ملك حماة ولعش. وعبدت إلى جانب بعل الربة الأنثى بعلت التي كانت تدعى ملكة شميين (ملكة السموات). ولبعض المناطق والمدن بعلها الخاص بها كبعل مملكة تدمر وبعل الأمانوس جبال الساحل السوري وبعل البقاع (بعلبك). وسمى الآراميون بعل هدد كإلهاً للطقس كما في دمشق؛ يرسل الأمطار فيخصب الأرض وينبت الزرع ويسبب الكوارث عندما تنحدر السيول من الجبال إلى الوديان. وكان مقر بعل في الجبل الأقرع (كاسيوس) في اللاذقية الذي كان له في حضارة سوريا القديمة ما لجبل الأوليمب عند اليونان في تاريخهم القديم. وكانوا يعتقدون أن الزوابع والرعود والبرق من الظواهر التي تدل على هدد الذي كان يطلق عليه في السامية الشرقية اسم أدد أو أدو ويدعى أيضاً رمون. وبتأثير الحوريين أدمج هدد

برب العاصفة عند الحوريين تيشوب ورشف عند الحيثيين. وكما تدل الشواهد الفنية يبدو هدد في نحت بارز من شمأل (سمآل) الواقعة في أعالي الأمانوس، في صورة رجل محارب حاملاً الشوكة الثلاثية والمطرقة رمز البرق والرعد. وفي ملاطية يبدو واقفاً على ظهر ثور.

* الآلهة الآرامية :

كانت أهم معابد "هدد" في دمشق وحلب ومنبج (هيرابوليس) وبعلبك (هليوبوليس). وفي العصر الروماني عبد هدد في بعض المعابد بتأثير الثقافة الكلاسيكية (اليونانية – الرومانية) باسم "جوبيتر"، وعرف في دمشق باسم جوبيتر الدمشقي. وفي منبج عبدت الربة السورية "أثارغاتيس" إلى جانب هدد، وكانت هذه الربة صورة مطبوعة بالهلينية لـ"عشتارت" و"عنات"، وكانت تدعى أيضاً "بنيت" أي ربة الذرية والنبوة وقد حمل الآراميون عبادتها من جبل سمعان وجبل بركات في سوريا إلى وادي النيل، ووصف الكاتب السوري لوقيان السميساطي (١٢٥:١٩٢)م، الذي كتب باليونانية، معبدها في منبج في كتابه عن الآلهة السورية. واختلطت عبادات الآراميين بعبادة آلهة أخرى عند جيرانهم في سوريا الساحل أو عند البابليين، مثل "إل" الكنعاني الذي كان يعد أباً لكل الآلهة، وأقاموا لهم بيوت العبادة حيثما حلو، و"سن" إله القمر عند الرافديين ويدعى بالآرامية "شهر"، و"نابو" رب الحكمة في بابل الذي حملوا عبادته حتى أسوان، و"شمش" إله الحق والعدل في آشور وبابل.

وعلى الرغم من قلة المصادر عن شعائر العبادة فإنه من المؤكد أن الحياة الدينية لم تشغل الآراميين كما شغلت المصريين القدماء، إلا أنهم كانوا يرغبون في كسب مرضاة الآلهة من دون أن يكون لديهم تصور واضح عن العامل الآخر.

لكن نصوص باناموا (من شمأل) تذكر الطعام والشراب مع هدد بعد الموت، وكان للسحرة مكان بارز بين الكهنة كما تشير نصوص سفيرة.

* الفنون الآرامية :

لم يعثر إلا على عدد قليل من الآثار التي تصلح شواهد على الفن الآرامي. فقد شجع أمراء بيت بخياني في الجزيرة وشمأل في كيليكية والأمانوس فناً تشكيلياً سوريّاً متأثراً بالفن (الحوري – الحيثي). ومن المؤكد أن السوريين في هذه المنطقة الشمالية من البلاد كانوا يرتدون ملابس كملابس الحوريين الميتانيين والحيثيين، وقد انعكس ذلك على الفن التشكيلي، ومع ذلك فإن الفنانين الآشوريين الذي زينوا القصر الآشوري في تل برسيب (تل أحمر) صوروا الآراميين على شاكلة البدو. كما صوروا آرامیي بابل ملتحين ويرتدون مآزر قصيرة ويضعون عمائم على رؤوسهم، أما النساء فكنّ يرتدين أثواباً طويلة. وهكذا فإن الفن التشكيلي، التصوير والنحت، عكس البيئات المختلفة للمجتمعات الآرامية.

وتبدو الخصوصية في الفن الآرامي في العمارة، فالقصور تتصف بالغرف الواسعة، وتؤدي إليها أبهاء تحمل أسقفها أعمدة منقوشة ومزينة بالنحت الجميل ولها شرفات واسعة من نموذج حيلاني، كما في تل حلف وعين دارة (وسط سوريا). ويبرز تطور فن العمارة في الأبواب وإكساء الجدران. وفي بناء العتبات بالحجر البازلتي. أما التماثيل الكاملة المكتشفة فقليلة، وأهم المنحوتات عثر عليها في القبور الملكية في تل حلف وشمأل. أما التصوير فإن الرسوم الجدارية تمثل مشاهد من الحروب والصيد والرحلات النهرية والبحرية وموضوعات ميثولوجية. وفي رسوم عن الطبيعة تختلط صورة الإنسان بمخلوقات أخرى كما في

(الإنسان – العقرب) (من تل حلف). وتبدو التأثيرات المصرية في أسلوب مسلّة برهدد التي نذرها للإله "ملقرت" (من القرن التاسع قبل الميلاد).

شجع أمراء الممالك الآرامية السورية في بيت بخياني وغوزانا في الجزيرة السورية وسآل في كيليكية والأمانوس الفن التشكيلي بامتياز وإبداع واضح يدل على مدى ما وصل إليه الآراميون في سوريا القديمة من تقدم، ويوجد تشابه بين الفن الآرامي والفن (الحوري – الحيثي).

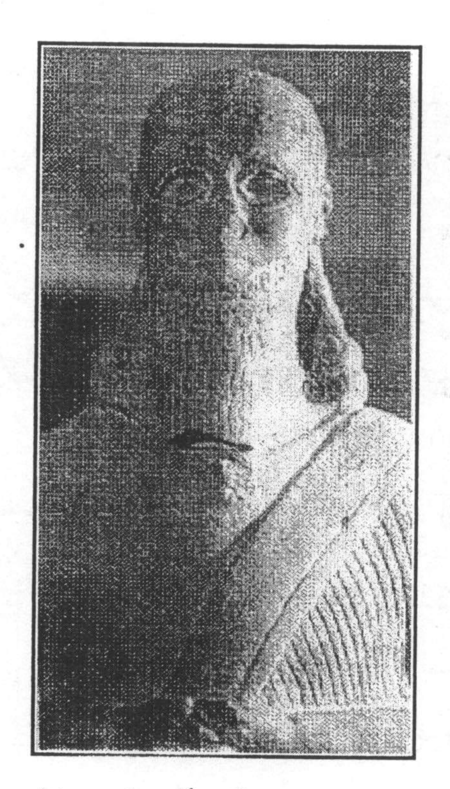
ومن المؤكد أن السوريين في هذه المنطقة الشمالية من البلاد كانوا يرتدون ملابس تشابه مع ملابس الحوريين الميتانيين والحيثيين من الممالك السورية الشمالية، وقد انعكس ذلك على الفن التشكيلي السوري القديم، ومع ذلك فإن الفنانين الآشوريين الذي زينوا القصر الآشوري في تل برسيب (تل أحمر) صوروا الآراميين بملابس مميزة. كما صوروا آرامي بابل ملتحين ويرتدون مآزر قصيرة ويضعون عمائم على رؤوسهم، أما النساء فكنّ يرتدين أثواباً طويلة. وهكذا فإن الفن التشكيلي الآرامي، والتصوير والنحت، عكس البيئات المختلفة للمجتمعات الآرامية، في سوريا وفي المناطق الأخرى التابعة لحضارة الآراميين.



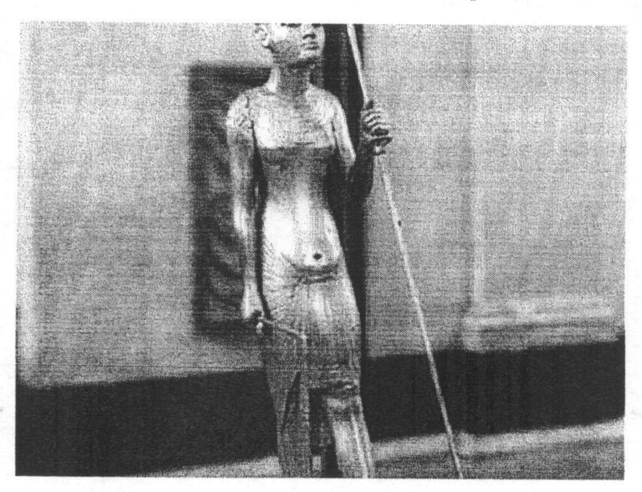




"هدد" قطعة عاجية عثر عليها في قصر حزائيل



تمثال هد-يسعي الذي أقامه قدام (الاله)



تمثال لإله آرامي يعود للقرن الثامن للميلاد في متحف آثار حماة

* مواقع أثرية :

يُفسر تأسيس الممالك الآرامية في المناطق المختلفة من سوريا، تسمية سوريا قديماً في ذلك العصر باسم «بلاد آرام»، كما أن اهتمام كثير من الباحثين بدراسة الفن الآرامي، أسهم في إغناء المعلومات عن فن الآراميين في المواقع الأثرية المختلفة ونخص بالذكر منها مايلي :

. **غوزانا :** (تل حلف حالياً) : عند رأس العين، على نهر الخابور. أظهرت التنقيبات الأثرية في هذا الموقع حصناً كبيراً مؤلفاً من معبد وقصر.

. **شمأل :** (زنجرلي حالياً) : أظهر التنقيب الأثري آثاراً تعود إلى مبنى واحد.

. **دمشق :** حافظ مكان معبد «حدد الآرامي» على قداسته عبر العصور. وقد عثر في أحد أساسات المبنى على منحوتة بازلتية آرامية، تمثل كائناً له رأس إنسان يعلوه تاج، وله جسم سبع مجنح.

. **قلعة حلب:** عُثر فيها على منحوتة بازلتية، تمثل كائنين مجنحين متقابلين ومتماثلين.

. **عين دارة :** يبعد هذا الموقع الأثري عن أرفاد (تل رفعت) حالياً، مسافة نحو أربعين كيلومتراً، وقد أظهرت التنقيبات فيه معبداً هاماً وتمثال أسد بازلتي.

. **صرين :** قرب عين العرب، عُثر في هذا الموقع على نصب يمثل مشهد عربة يقودها رجلان، ونصب آخر نقش عليه رمز رب القمر «سين»، الذي اشتهرت حران وغيرها بعبادته. ويتألف هذا الرمز من هلال فوق رمز الرب مردوخ، كما عثر على تمثال بازلتي ضخم، ارتفاعه

١٩٤سم وعرضه ٤٧سم لأمير آرامي، يرتدي ثوباً طويلاً يتوسطه حزام، ويتدلى من الحزام سيف، ويحمل الأمير بيمناه عصا طويلة (الصولجان).

. **تل النيرب**: يقع جنوب شرقي حلب، ويبعد عنها ٦كم، عثر فيه على نصب يمثل سادناً جالساً خلف مائدة وليمة جنائزية، يحمل بيمناه كأساً، وأمامه خادمه، وفي أعلى النصب كتابة آرامية تتضمَّن اسم «اجبار» سادن رب القمر في حران والنيرب، وأسماء أخرى لآلهة (مثل شمس ونرجال). ويعود هذا النصب إلى نحو ٧٣٠ق.م، كما عُثِر على نصب آخر يمثل السادن «سن . زر . ابني»، يقف رافعاً إحدى يديه، ويحمل بالأخرى منديلاً وقد نُقشت كتابة آرامية تحت قوس هذا النصب.

وتميّزت عمارة الآراميين بواجهة قائمة فوق أعمدة، وتقع خلفها قاعة رئيسية لها شكل مستطيل. وتدل النصوص التاريخية على مدى اهتمام قدماء العموريين بفن العمارة العسكرية والدينية والمدنية، ويستنتج الباحثون تأثر الآراميين بالتراث المعماري المحلّي، وحسن إفادتهم منه واعتمادهم عليه في إقامة منشآتهم المعمارية. وأبدع النحاتون الآراميون روائعهم النحتية، ويلاحظ أن مادة الحجر البازلتي البركاني لم تساعدهم أحياناً في إبراز التفاصيل بدقة، مما جعل بعض منحوتاتهم يسودها طابع الخشونة. ورأى بعض الباحثين في عدد من المنحوتات الآرامية تأثيراً من الفن الحيثي الجديد وغيره.

◂ومن أشهر الروائع النحتية الآرامية هي :

. **تماثيل وأنصاب آلهة** : مثل منحوتة تمثل الرب «ملقارت»، ونقش على هذا

النصب كتابة تذكارية تاريخية، تتضمن اسم «بر حدد» ملك دمشق، الذي أقام هذا النصب للرب «ملقارت» الذي استجاب لندائه.

. تماثيل أمـــراء : مثل تمثال أمير من «صرين» قرب عين العرب، تمثال أمير من «عين التل» وتمثال ملك واقف، نقشت على ثوبه كتابة آشورية مسمارية وآرامية أبجدية.

. تماثيل أســـود : مثل تمثال أسد مكتشف في «عين دارة».

. كائنات خيـالية : مثل منحوتة مكتشف في أحد أساسات مبنى الجامع الأموي في دمشق، تمثل كائناً له رأس إنسان يعلوه تاج، وله جسم سبع مجنّح.

. مواضـــيع

من الحياة اليومية : مثل مشهد صيد، عربة يقودها رجلان.

. رمـــوز : مثل رب القمر «سين». وهناك مجسّمات الألواح، التي تغطّي جدران المباني في مداخل المدن والقلاع.

وتجدر الإشارة إلى القطع العاجية، التي كانت تزيّن عرش ملك دمشق «بر حدد»، وقد استولى عليها ملك الآشوريين تجلات فلاسر (تجلات بلاصر)، الذي استطاع أن يقضي على مملكة دمشق الآرامية عام ٧٣٢ق.م، ويعود منها بغنائم كان منها ما تبقى من روائع المنحوتات العاجية، التي تمثل مواضيع مختلفة مثل: وجه حسناء تجسّد الرّوح وتطلّ على عالم الأحياء، ومشهد بقرة ترضع عجلها .

وهناك الكتابة المسمارية الآشورية والكتابة الأبجدية الآرامية، المنقوشتان

على ثوب تمثال ملك من حجر البازلت، اكتشف جنوب شرقي تل فخيرية جنوب رأس العين، وتتضمّنان اسم «سيكاتي» حاضرة مملكة (غوزانا) .

وهناك أيضاً المعاهدة الآرامية المنقوشة كتابتها على حجر البازلت البركاني، وكانت قد اكتشفت في قناة سجين، فنقلت إلى قرية «سفيرة» قرب حلب، وهي محفوظة حالياً في المتحف الوطني بدمشق. ويعتبر نص هذه المعاهدة أقدم وثيقة تتضمن كتابة باللغة الآرامية، وتدل حروفها عل مدى تشابهها مع الحروف الفينيقية، ومدى العناية بحسن كتابتها ونقشها، وهي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وتتضمن اسم «برغايا» ملك كيتاك، و«متعال» ملك أرفاد (تل رفعت) حالياً، الذي كان خصم الملك الآشوري تغلات فلاسر الثالث، الذي استطاع في نحو عام ٧٤٠ق.م أن يقضي على مملكة أرفاد بعدما حاصرها أربعة أعوام. وقد جاء في نص المعاهدة عبارات تتضمن الخطر، الذي يهدّد «متعال» ومملكته فيما إذا نقض عهده. وهناك روائع الصناعات الفنية والفنون الصناعية، مثل صناعة الأواني الفخارية الجميلة المختلفة.

* نماذج للفنون الآرامية :

* معبدا عين دارة وتل حلف :

في البدء يجب أن نشير إلى ناحية هامة وهي أن العصر الآرامي هو آخر عصر في سلسلة عصور ممالك القبائل التي توالت على السلطة في بلاد الهلال الخصيب منذ مطلع الألف الثالث وحتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد؛ حيث سقط المشرق العربي وحتى أرض الكنانة في أيدي الإخمينين وخضعت البلاد بأكملها ولأول مرة للإحتلال الأجنبي الذي جاء بعده إحتلال أجنبي آخر هو الإحتلال اليوناني ثم (الروماني / البيزنطي)، وقد دام الخضوع للإحتلال الأجنبي

منذ عام ٥٣٥ ق.م حتى بدء الفتوحات العربية الإسلامية أي ما يقارب ١٢٠٠عام. خلال هذه الفترة توالى البناء فوق العواصم الآرامية كما في دمشق أو هجرت هذه العواصم كما في تل حلف (جوزن)، وحداتو (آرسلان طاش)...إلخ، ولكن لم تطمس معالمها نهائياً كالعواصم الأسبق مثل "تل مرديخ" (إبلا)، و"أوغاريت" (رأس الشمرا) ... إلخ بل بقيت أجزاء من أوابدها ظاهرة مثل البوابات والأسوار وجوانب القصور التي لفتت إليها أنظار الباحثين منذ نهاية القرن الماضي.

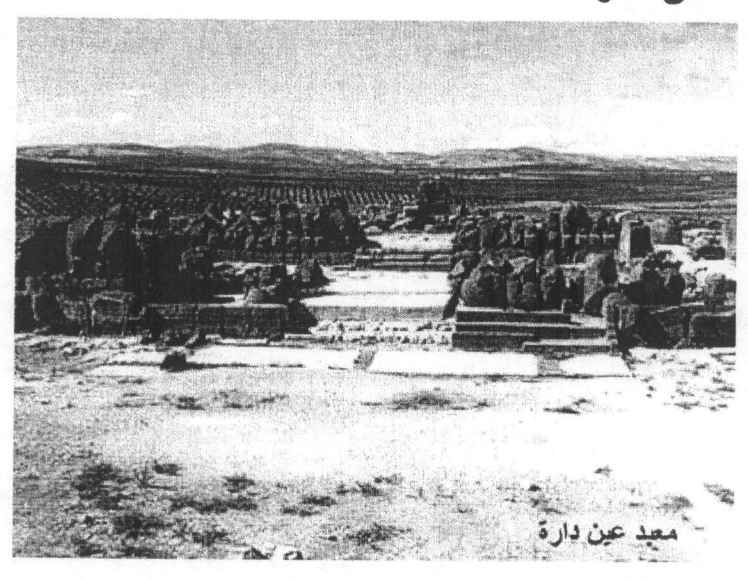
وإذا نظرنا إلى الأوابد المعمارية المكتشفة حتى الآن نلاحظ أنها قصور وليست معابد والسبب هو أن المدن الآرامية التي جرت فيها تنقيبات أثرية لم تُكتشف كلها حتى الآن بل لاتزال تحت الأنقاض هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى فإن الكتابات الآرامية لم تتحدث عن بناء هياكل عبادة كما تحدثت الكتابات الآشورية المعاصرة مثلاً .

* المعبد الآرامي ومخططه :

نستطيع القول أن شكل المعبد الآرامي إنما نشأ عن امتزاج تقليدين حضاريين عريقين في بلاد الشام أولهما 'المعبد الكنعاني' الآموري، والثاني بيت حيلاني (عيلاني) 'البيت العالي' الآرامي. بالنسبة للمعبد أو الهيكل الكنعاني فهو بناء بسيط مستطيل الشكل له مدخل محرابي لأن بابه يتراجع عن جدار الواجهة إلى الوراء لصالح درج وشرفتين جانبيتين فهو غائر في الجدار، ويلي الباب قاعة أمامية مستطيلة الشكل ثم المصلى الذي فيه عند الجدار الصدراني المحراب، والسدة وقد يكون فيه حوض الذبائح، والجدير بالذكر أن الأبواب والمحراب على محور واحد . أما البيت العالي فهو نوع من العمائر التي تمتاز بصفات خاصة فهو يتألف من مدخل عميق واسع وعال يرفع ساكفة على أعمدة تليه قاعة أمامية

مستطيلة ثم القاعة الرئيسية المستطيلة أيضاً، وفيها الموقد الثابت أو المتحرك وتحيط بها الحجرات من جوانبها الثلاثة، وغالباً ما نجد ببيت الدرج عند أحد ضلعي العرض للقاعة الأمامية، وهو بعد هذا كله بناء مغلق مرتفع لايصح توسيعه بإضافة حجرات إليه لأنها ستشوه المخطط. وبعد هذا الوصف الموجز للمعبد الكنعاني والبيت العالي نستطيع أن نتساءل عن شكل المعبد الآرامي الذي نشأ عن الزواج بين هذين الأسلوبين المعماريين في نمط جديد، ويتمثل الوليد الجديد في معبد عين دارة ومعبد جوزن (تل حلف).

* معبد عين دارة :

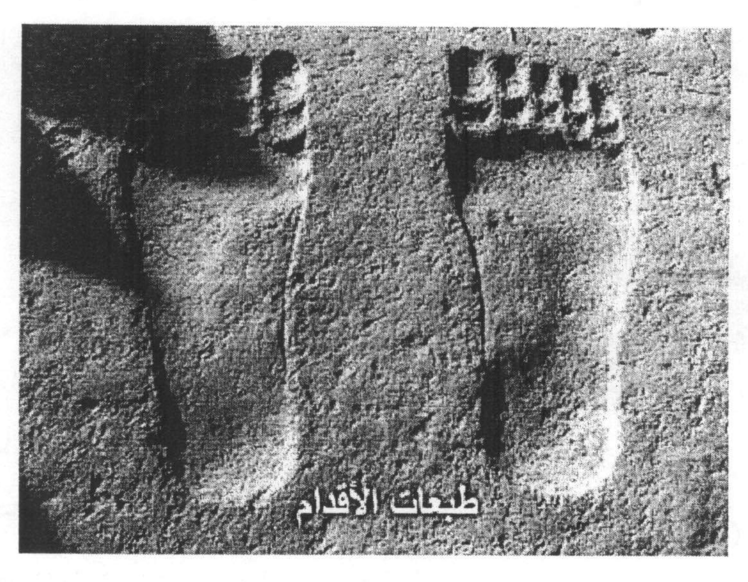


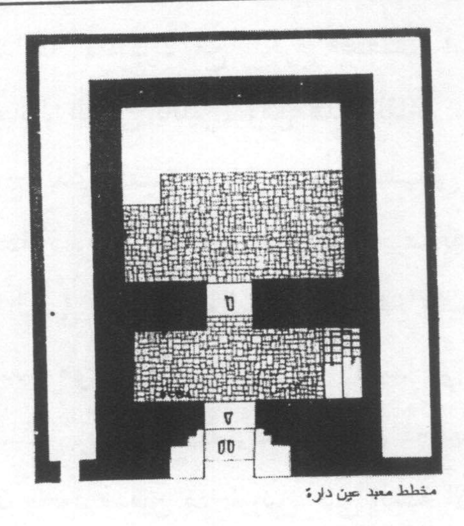
معبد عين دارة

يقع معبد عين دارة شمال حلب، وعلى بعد (٨كم) جنوب عفرين. يتألف هذا المعبد من هيكل مستطيل الشكل (٣٨×٣٢م) يتجه مدخله نحو الجنوب الشرقي تتقدمه باحة مبلطة بلوحات حجرية كبيرة (كلسية – جصية) وأخرى بازلتية صغيرة؛ ولو أنها تامة لبدت كالبساط الجميل الذي يغلب فيه اللون الأبيض على اللون الأسود، وفي زاويتها الشرقية بئر ماء مطوية جيداً وعميقة وبجانبها حوض من

الحجر الكلسي الجصي فكان يجب على كل من يدخل إلى هذا المعبد أن يغتسل أو يتوضأ في هذا الحوض ثم يدخل إلى هذا المعبد وذلك حفاظاً على طهارة هذا المكان الديني وبعد الوضوء يعبرون الباحة الجميلة ليصلوا إلى المدخل المحرابي الجميل الكبير والعميق. يربط درج خارجي عريض –(لم يبقى منه إلا جناحه الأيسر)– الباحة بالمدخل؛ ويتألف من درجات صنعت من الحجر البازلتي، ونقشت عليها أشكال تشبه الضفائر، ويصعد الدرج الأوسط إلى العتبتين؛ بينما يصعد الجناحان الجانبيان إلى شرفتين جميلتين فيهما قاعدتان بازلتيتان كبيرتان ارتكز عليهما عمودان خشبيان فحملوا الساكف الخشبي، ويلي الدرج الأوسط عتبتان كبيرتان من الحجر (الكلسي – الجيري) نقشت على الأولى صورة قدمين بشريتين وعلى الثانية صورة القدم اليسرى، وما من شك في أن الباحة والدرج والعتبات عناصر معمارية جميلة ومعبرة ولكنها ليست إلا حبة جميلة في واجهة القلادة المحكمة النظم؛ فالدرج يحرسه أسدان برأس امرأة وجناحي طائر، وخلفهما من كل جانب أسدان متقابلان يلتفتان نحو اليمين ونحو اليسار، وجميعها يرقب كل زائر للهيكل. وإن كانت هذه اللوحات مشوهة الآن إلا أنها تعكس ما كان لها من روعة وجمال. وقد اصطفت تحت نسق من الأسود الجانبية التي يبلغ ارتفاعها المترين ويقوم عليها الجدار اللبني المتهدم. كما تحفل الواجهة بالمشاهد المختلفة. المعبرة التي لها في نفس الناظر وقع خاص، ولكن ما أن نعبر المدخل المحاط ببرجين شامخين حتى نصل القاعة الأمامية ذات العناصر الزخرفية المتنوعة وهي مستطيلة الشكل (١٦×٦ م) يصل بينها وبين الحرم درج فاخر درجاته بازلتية مزينة بأشكال تشبه الضفائر تنسجم مع مثيلاتها التي تزين النعلة البازلتية السوداء التي ترتفع مقدار (٦٠سم) فوق الأرضية. فوق النعلة وفي الجدارين الجانبين توجد بلاطات بازلتية أيضاً عليها أشكال رب الجبل أو ضفائر تفصل بينها عوارض بارزة،

أما فوقها وفي جدارها المشترك مع الحرم فتنتصب أسود كالتي في الواجهة الرئيسية تحمل الحائط المبني باللبن، ومن هذه القاعة ندخل إلى البرج الأيمن ومنه إلى بيت الدرج الذي يلتصق بجدار القاعة الشمالي الشرقي، وإذا ماصعدنا الدرج نصل إلى عتبة كبيرة من الحجر الكلسي يحيط بها أسدان وبرجان ونقش عليها رسم القدم اليمنى لإنسان، والواقع أن نقش رسم الأقدام على العتبات الثلاث المتتالية للمعبد هو أحد أغرب المشاهد اليتيمة في هذا المعبد فهي ليست عنصراً زخرفياً فحسب بل لها دلالة يصعب علينا تحديدها ولكن من الممكن التكهن بمغزاها. إن وجود قدمين متجاورتين على العتبة الأولى يشير إلى المتعبد؛ أن قف وتمهل علىْ العتبة الأولى، وأتل تسابيح معينة. وبعد ذلك يخطو بالقدم اليسرى إلى الأمام ثم يعبر القاعة الأمامية ويصعد الدرج ليدخل الحرم أو المصلى بالقدم اليمنى. إذاً وجود الأقدام يهدي المتعبد إلى آداب الدخول للهيكل وقد تكون لهما فائدة أو دلالة أخرى مثل الرمز إلى الرب بواسطة الجزء بدلاً من الكل ....الخ .


طبعات الأقدام

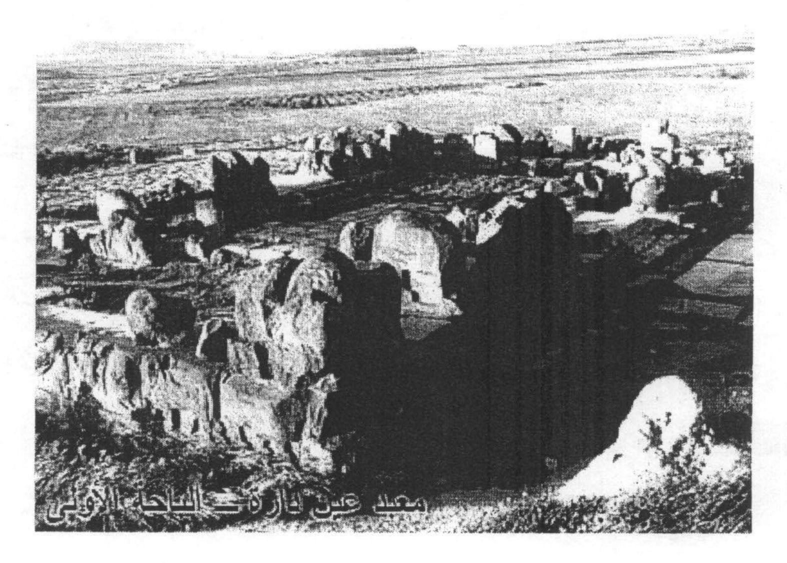


مخطط معبد عين دارة

الباب بين القاعة الأمامية والمصلى لايغلق ولايقفل كالباب الرئيسي فوجوده لا يعني الفصل ين المصلى (الحرم) والقاعة الأمامية؛ بل ترتيب الدخول إلى الحرم؛ فحين يعبر المتعبد الباب الرئيسي ليس له أن يتابع طريقه على هواه؛ بل عليه أن يتريث في هذه القاعة منتظراً دوره أو خروج الناس من المصلى أو ... إلخ. إذاً الباب يؤدي غرضاً مماثلاً لغرض الأقدام؛ وجميعها تعكس تعلق القائمين على المعبد في الحفاظ على قدسيته، وتدل على حبهم وتعلقهم بضوابط الأمور.

لقد أصاب الحرم الخراب والدمار وعبثت به أيدي السكان ومع ذلك لازالت فيه عناصر تشهد على كيفية تقسيمه وحسن بنائه وجمال زخرفه. لقد خصص ثلثه الأخير تقريباً للسدة التي يتقدمها المحراب وتوضع فوقها التماثيل، أما القسم الباقي فظل للمصلين؛ فقد كانت تزين حائطه نعلة بازلتية نقش عليها زوج من الأشكال الرشيقة التي تشبه الضفائر وتعلوها لوحات مزخرفة، ثم الجدار اللبني. وتشير الدلائل المتوافرة حتى الآن إلى أن هذا المعبد قد أحيط بعد بنائه برواق يعتبر أشهر قسم فيه، ويرتفع الرواق فوق الأرض المجاورة مقدار (١.٧٠م)، وقد غطيت صفحته بعدد كبير من اللوحات البازلتية المزينة بأشكال الأسود وأبي الهول

التي تلتفت نحو اليسار أو اليمين؛ وقد صنعت بحيث يتقابل أسدان أو اثنان من تماثيل أبي الهول؛ وتعتبر هذه التماثيل أيةً في الإبداع والإتقان. وكان للرواق مدخلان أحدهما عند الزاوية الشرقية للمعبد، والآخر عند الزاوية الجنوبية للمعبد، وقد سُد الذي عند الزاوية الجنوبية فيما بعد، وتخرب الذي عند الزاوية الشرقية. وبما أن الرواق مرتفع فوق الأرض المجاورة فكانت له أدراج لم تبقى منها بقية. وأقيمت في الرواق أنصاب من حجر البازلت تكسر معظمها، ويبدو أن عددها كان (٣٠ نصباً) جعلت متقابلة ونقشت عليها مشاهد مختلفة منها : رجلاً يقود ثوراً أو يقف لوحده، أشجار النخيل، ملك يجلس على العرش .....إلخ. ولقد استخدمت الأنصاب التي زاد ارتفاعها على (٣أمتار) كعمد لسقف الرواق الذي لم يكن له جدار خارجي وكان سقفه أقل ارتفاعاً من سقف المعبد.



معبد عين دارة - الباحة الأولى

لقد بلغت هندسة البناء الآرامية أوجها في هذا المعبد الذي بني لرب نجهل اسمه ولعله بني للربة عشتار التي عثرنا على رسمها بالزي الحربي فوق لوحة بازلتية جميلة اكتشفت مقلوبة قرب الزاوية الغربية للقاعة الأمامية. وفي الواقع أن

هذا المعبد الشامخ فوق أنقاض مدينة لانعرف اسمها حتى الآن؛ ومافيه من الإفراط في التزويق بالأشكال المنقوشة على الأحجار البازلتية قد جرى تصحيحه وإنشائه ليجمع بين التقاليد المعمارية العريقة وليكون بحق أروع أثر معروف في صناعة البناء.



فن النحت في عين دارة :

إن فن النحت عند الآراميين كان متصلاً اتصالاً وثيقاً بالعمارة حتى كاد أن يكون جزءاً منها، ونظرة واحدة نلقيها على معبد "عين دارة" المكتشف حديثاً تتضح لنا هذه الحقيقة بكامل أبعادها فاللوحات المنقوشة والأنصاب هي الجزء الأهم في المعبد فهي زخارف وقواعد جدرانه حاملة لسقفه وهي فوق ذلك على أصناف هي:

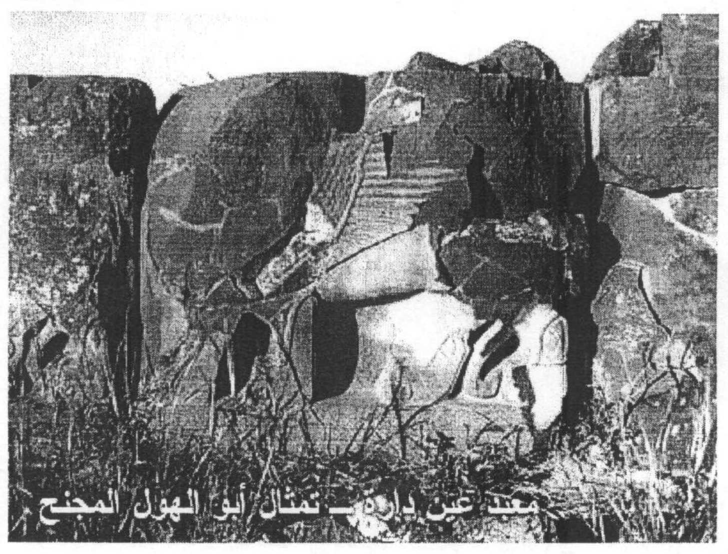
١. اللوحات التي تكسو أجناب مصطبة المعبد :

يبلغ عددها سبعون قطعة نقشت عليها صور أبي الهول والأسد بمنتهى الجودة والإتقان حيث تبرز أجسام الحيوانات عالية فوق السطوح الملساء المستوية وتلتف برؤوسها ذات اليمين أو ذات اليسار، ويبدو أن لفت الرؤوس على

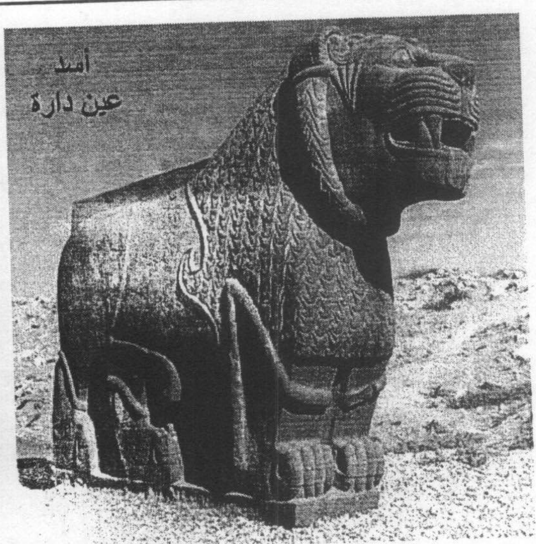
هذا النحو هو الذي جعل الأجسام تظهر وكأنها مجسمة رغم أن أحد جانبيها ملتصق باللوحة. وقد وزعت الحيوانات على أزواج يألف كل زوج من أسدين أو أسد وأبي الهول أو اثنين من أبي الهول متقابلين يسير الواحد نحو الآخر غير أن سيرها بطيء بحيث تبدو وكأنها ساكنة لا تؤثر الحركة بأجسامها المليئة الملساء.

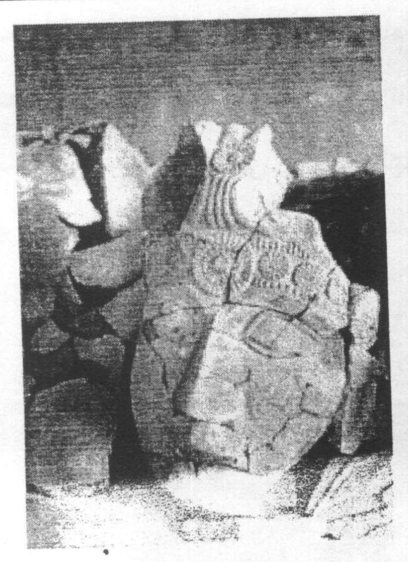


اللوحات التي تكسو أجناب مصطبة المعبد
تمثل أبو الهول المجنح



معبد عين دارة ـ تمثال أبو الهول المجنح





من منحوتات معبد عين دارة

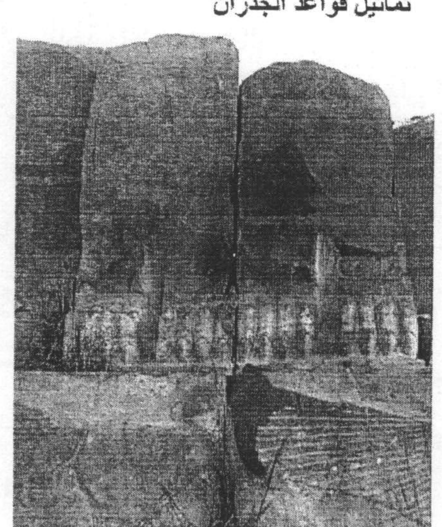
ونلاحظ هنا كما لاحظنا في منحوتات جوزن وشمأل أن النحاتين قد عزفوا عن إظهار العناصر الكثيرة في أعضاء الجسم؛ ويبدو أن قصدهم من ذلك كان رسم حيوانات هادئة وقورة وليس حيوانات مهاجمة أو متوثبة، ويتجلى هذا القصد واضحاً من ذيول الحيوانات التي تلتوي بين القائمتين الخلفيتين في حركة لاتكون إلا في حالة السكون أو السير البطيء، ورغم أن هذه الحيوانات مشوهة لكنها لاتزال تحتفظ برونقها وجودة صنعتها ووقارها وهي تعبّر بجلاء ووضوح عن قيمة المعبد التي تسمو في ذهننا حينما ننظر إلى المجموعة الثانية من المنحوتات.

٢. قواعد الجدران :

وهي على شكل عضادات من البازلت زينت واجهاتها بمقادم الأسود أو أبي الهول؛ وليس بين الأسود لبوة واحدة أما أبي الهول فهي مذكرة ومؤنثة. وبما أن أجسام هذه الحيوانات كبيرة لذا كانت رؤوسها كبيرة أيضاً وفي هذه الحالة كان الفنان يؤلف بين جميع العناصر؛ في الواجهة الجدار العالي وقاعدته، وفي المصطبة

وكسوتها، وانطلاقاً من هذه القاعدة جعل الرؤوس بارزة للأمام لتشكل شريطاً أفقياً موازياً لشريط رؤوس حيوانات لوحات المصطبة. وبعد هذا كله فإننا لانجد في هذا النموذج من المنحوتات أجساماً كاملة فكل ما هناك رأس ولبدة وقائمتان أماميتان؛ أما اللبدة فتحيط بالرأس كالإكليل، وأما القائمتان فتنتهيان إلى مخالب غاية في الدقة والإتقان والواقعية .

تماثيل قواعد الجدران



٣. المجموعة الثالثة :

وتضم أنصاب الرواق البالغ عددها ثلاثون قطعة ومن المؤسف حقاً أن معظم هذه الأنصاب مشوهة ومع ذلك بقي منها ما يدل على هويتها، وأول مانلمحه من هذه البقايا الباقية من الأنصاب أن المواضيع المنقوشة عليها متنوعة : (فهنالك رجل يقرب القربان، والملك على العرش، والمحارب، وشجرة النخيل)، وقد نقشت الأشكال البارزة على سطوح الأنصاب الملساء، والأجزاء الباقية منها تنم عن قدرة فائقة على تصوير جذع النخلة، وثوب الملك المزركش وكرسيه،

وقوائم الثيران، والرجال؛ ويشعر المرء وهو يتأملها أنها كانت أعمالاً باهرة تؤلف بمجموعها معرضاً لفن النحت في هذه المدينة .

٤. المجموعة الرابعة :

وتضم اللوحات التي كانت تزين الجدارين الجانبين للقاعة الأمامية وسلسلة الأحجار التي كانت تكسو الجزء السفلي من محراب المصطبة في المصلى. إن نقوش هذه القطع غاية في الدقة والإبداع وتتألف من أشكال رب الجبل التي تحيط بها الأشكال المركبة من إنسان وحيوان، وبما أن نقوش لوحات القاعة الأمامية مشوهة فسنكتفي فقط بدراسة نقوش محراب المصلى؛ حيث عثر على ٧ قطع نقش؛ على خمسة منها مشهد مؤلف من رب الجبل في الوسط وعلى جانبيه (الإنسان – الثور) ، وعلى القطعتين الأخريين مشهد مؤلف من رب الجبل في الوسط وعلى جانبيه (إنسان برأس أسد وأجنحة)؛ أو (إنسان برأس نسر وأجنحة)، ويقف رب الجبل رافعاً يديه إلى الأعلى وينظر إلى الأمام ويرتدي تاجاً ذا ستة أزواج من القرون وثوباً طويلاً ذا أكمام قصيرة يشده حزام ثلاثي إلى خصره، وزُيِّن الجزء السفلي من الثوب فوق الأطراف السفلية بأربعة صفوف من الأشكال الحرشفية النافرة التي تشبه حبك الدرع وبزوجين من الجريد، والشيء الملفت للنظر في صورة رب الجبل هو قدماه اللتان صورتا من الجانب وليس من الأمام كما كان يتوقع، وترتدي الأشكال المرافقة قميصاً قصيراً وتلتفت نحو رب الجبل، وترفع الأيدي إلى الأعلى مقلدةً رب الجبل. وتمتاز الأشكال بحيويتها وقوتها وببروزها القوي فوق السطوح الملساء المستوية، ولشدة بروزها تبدو وكأنها تماثيل تستند إلى جدار أو تقف أمامه.



قطعة من تماثيل رب الجبل



تمثال ورأس الإلهة عشتار
المكتشفان في عين دارة

وبعد استعراض هذه النماذج من منحوتات عين دارة لابد من لفت النظر إلى أن نقوش الألواح قد اقتصرت على شكلين اثنين هما أبو الهول والأسد؛ زِد على ذلك أن العضادات البازلتية في قواعد الجدران زوقت هي الأخرى بهذين الشكلين فما هو الغرض من ذلك؟ نحن نعلم أن الأسد من حيوانات الربة عشتار فهو رمزها وشارتها في الجناح الشرقي للهلال الخصيب مثلما كان أبو الهول رمزها وشارتها في الجناح الغربي منه، ويعتبر رب الجبل من معاونيها ومرافقيها؛ ومن المؤكد أن اختيار هذه الصور كان للإشارة إلى أن هذا المعبد للربة عشتار ومما

يعزز وجهة النظر هذه أننا عثرنا على لوحة بازلتية نقشت عليها صورة عشتار المحاربة وتعتبر هذه اللوحة من نفائس المنحوتات في عين دارة ورغم أن الربة مدججة بالسلاح لكنها تبدو بملابسها المتنوعة والمزركشة كأنها عروس.

* موقع معبد تل حلف (جوزن) :

يقع موقع تل حلف شمال سوريا على الحدود السورية التركية على منابع الخابور قرب رأس العين، ويعود الموقع إلى عصر الحديد (القرن التاسع والعاشر قبل الميلاد).

♦ معبد القصر في تل حلف (جوزن) :

لقد شيد المعبد القصر في جوزن (تل حلف) في القرن العاشر قبل الميلاد على مصطبة ترتفع من (١-١.٥٠م) فوق سطح الأرض وقد بنيت باللبن الذي بلغ حجمه (١٦٠٠٠م^{3})، وتمتد المصطبة أمام المدخل وكان فيها درج ومذبح وعمود مرتفع يحط عليه طائر كبير يشبه النسر مصنوع من حجر البازلت، وقد ارتفع قبالته الساكف الخشبي على ثلاث أنصاب أرباب تقف فوق أسد وثور ولبوة، ويبلغ عرض المدخل الذي يتراجع عن البرجين المحيطيين به (١٠م) وارتفاعه (٦م) ويشكل تمثالان لأبي الهول دعامتيه كما تزينه لوحات حجرية كلسية وبازلتية منقوش عليها أشكال متعددة مثل منظر صيد الأيل، الشمس المجنحة ...إلخ . وبعد عبور هذا المدخل العميق المزين بزخارف بديعة نصل إلى القاعة الأمامية (٣٦.٧٥×٥م) ثم إلى القاعة الرئيسية (٣٦.٧٥×٨.٠٥م) التي كان فيها موقد مصنوع من البرونز يحرك على عجلات ويبلغ عرض مدخل القاعة الرئيسية (٤م) وكان مزيناً باللوحات المنقوشة. وتحيط الحجرات الصغيرة بالقاعتين من ثلاث جوانب ويدعم برجان كبيران أصمان زاويتي الواجهة الشمالية المدعمة بعضادات

بارزة والمزينة بنعلة تألف من (٢٤٠ لوحة) يتراوح ارتفاعها من (٦٠-٨٠سم) صفت بالتناوب: لوحة بازلتية تليها لوحة جيرية ضاربة إلى الحمرة وقد نقشت عليها زخارف متنوعة مثل: (أشكال حيوانية، كائنات مركبة من إنسان، حيوانات تدق على آلات موسيقية ...إلخ).



إعادة تشكيل واجهة معبد تل حلف ـ المتحف الوطني بحلب

هذه الآبدة حافلة بالزخارف والنقوش وأغرب ما فيها تماثيل الأرباب: (ربان يقفان فوق ثور وأسد وربة تقف فوق لبوة) ويحملون ساكف (سقف) المدخل الخشبي، لقد تجاوز البناؤون المألوف ونصبوا التماثيل في المدخل ليس فقط ليزينوه بل ليضفوا على البناء صفة القدسية. أما وجود المنقل البرونزي في القاعة الرئيسية فدليل على السكن فيه .

◄ النحت في جوزن:

يحتل الفن في مدينة جوزن (تل حلف) مكان الصدارة بين مراكز الفن الآرامي؛ ففي هذا المركز نشأ وترعرع الفن الآرامي قبل نشوئه في بلاد الشام؛ وفيه كشف التنقيبات الأثرية عن مجموعة كبيرة من المنحوتات كان معظمها في مكانه

الأصلي مما ساعد في التعرف على وظيفتها ودراستها وفق مكان وجودها. وبما أن اللوحات والمنحوتات التي كانت تزين القصر الغربي هي الأكثر والأقدم والأهم فسوف نبدأ بها.

لقد درج الآراميون على عادة تزيين قواعد جدران قصورهم من الخارج باللوحات المنقوشة؛ فلما كانت الجدران من اللبن وتتعرض أجزائها السفلى إلى التأثير بسبب العوامل الطبيعية والإنسانية لذا وجبت حمايتها بطرق متعددة اقتصرت في البدء (أي قبل العصر الآرامي بمئات السنين) على رفع الأساس الحجري فوق سطح الأرض لتتشكل قاعدة حجرية تفصل بين الجدار اللبني والأساس. ومع مرور الزمن وتطلع الإنسان إلى تحسين وتجميل هذه القاعدة الحجرية طرأت عليها تحسينات وتعديلات كثيرة كان آخرها سترها أو كسوتها بنعلة حجرية منحوتة ومزوقة بالزخارف ذات الأشكال المتنوعة سماها الباحثون اورتوستات (Orthostat) نسبة إلى المصطلح المعماري اليوناني (Orthostat) الذي يعني المستقيم أو الشاقولي أو (dado) التي تعني بالانجليزية الجزء السفلي من الجدار أو كسوته.

كان أول من استعمل النعلة هم سكان "إبلا" وسكان "آلالاخ" الذين كسوا الأجزاء السفلى من بوابات مدينتهم باللوحات الحجرية الجميلة المنحوتة وغير المنقوشة وذلك خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد. وسواءاً أكانت هاتين المدينتين من الكنعانيين هم أول من ابتدع هذه التقنية المميزة أم لا فإنها أول ماظهرت في بلاد الشام وبقيت سائدة في القرنين (١٥/١٤) ق.م في آلالاخ (تل العطشانة) بالذات؛ حيث كانت نعلة القاعة الأمامية لقصر (نقم عفا) هي سلسلة من اللوحات الحجرية البازلتية المنحوتة التي يبلغ ارتفاعها ٧٢سم ولم تكن منقوشة

وإذا كانت هذه اللوحات غير منقوشة فإنه عثر في "إبلا" و"آلالاخ" و"حاصور" على لوحات منقوشة، وهي وإن كانت ثلاثاً فقط فإنها تدل على قدرة السكان على نقش اللوحات ولكنهم لم يفعلوا !؛ كالآراميين الذين أتوا بعدهم .

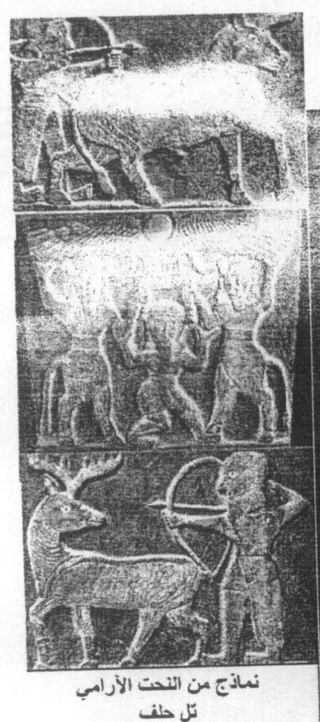
إن نقوش لوحات تل حلف متعددة وقد نقش شكل واحد على لوحة واحدة واصطفت اللوحات بجانب بعضها دونما ترابط بين نقوشها إذ نجد مثلاً : (صورة محارب على لوحة تليها لوحة ثانية عليها صورة جمال ثم لوحة ثالثة عليها صورة أرنب وأيل) من غير أن تؤلف موضوعاً ومشهداً واحداً هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن المشاهد لم تتكرر إلا فيما ندر وكان عددها بعدد اللوحات أي حوالي ٢٤٠ مشهداً استوحيت من فنون الممالك الأقدم باستثناء عدة مشاهد مثل (الفارس على ظهر الجمل، وصياد النعامة، والإنسان المجنح برأس أسد، والأسد المجنح برأسي أسد وإنسان ....الخ). ولعل مرد هذا إلى أن الغرض منها كان لتزويق الجدران فقط ولم يكن لتصوير حدث معين بذاته صنعه الملك كما في الفن الآشوري. ويتضح هذا الاتجاه الفني في جوزن من التماثيل واللوحات الأخرى التي كانت تزين مدخل القصر والتي كانت أكبر من اللوحات التي ذكرت. وأكثر المنحوتات تأثيراً في نفس الزائر: التماثيل الثلاثة التي كانت تحمل الساكف الخشبي للمدخل إذ يبلغ ارتفاعها ٢.٧٥م ويقف كل واحد منها على حيوان يبلغ ارتفاعه ١.٥٥م. والتماثيل الثلاثة لرجلين وامرأة بحيث يقف كل من الرجلين على أسد وثور بينما تقف المرأة على لبوة في الجهة اليسرى وبهذا يصبح الثور في الوسط وترتدي المرأة ثوباً طويلاً وتبرز الأرداف ويبرز الثديان من تحته فيبدو وكأنه رقيق وتضع على رأسها قبعة مزركشة تشبه لباس رأس دمية عاجية لإمرأة من مجدو تتزين بالحلي كالأطواق والأساور والخلاخيل أما الرجلان فيرتديان ثوباً يشبه الدرع

الذي شاع استعماله في بلاد الشام خلال هذا العصر ويلتفان بشال كعادة أهل ماري في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد وكعادة الآراميين في هذا العصر، ليس في لباس هؤلاء الأشخاص ولا في الكتابة المنقوشة على ثوب المرأة وكتف الرجل مايدل عليهم فمن الباحثين من يقول بأنهم آلهة ومنهم من يقول بأنهم من أفراد أسرة كبارة باني القصر ومهما يكن الأمر تبقى هذه القطع رائعة ولا مثيل لها في فن الهلال الخصيب حيث لم يكن استخدام التماثيل الإلهية أو البشرية في مثل هذه الحالة مألوفاً لذا نحن نرجح أن تكون مجرد عناصر زخرفية تزيينية كاللوحات وتماثيل أبي الهول التي تزين المدخل، ومما يعزز وجهة النظر هذه أن النحات قد اهتم قبل كل شيئ في ملائمة وضعية الأجسام مع عملها فالناظر إليها يرى بوضوح كيف أنه قد أتقن تقليد الأجسام التي تنوء بالحمل بينما لم يهتم كثيراً في تقليد أعضاء الجسم؛ ففي حين نرى أن الآذان والركب تشبيهية نجد أن الأقدام ونعالها واقعية والرؤوس بلا أعناق تقريباً، وحسب الكتابة المسطرة على بعض التماثيل فإن تاريخ القصر يعود إلى عصر "كبارة ابن خادياني" وهو مؤسس قصر حلف أي يعود تاريخ القصر إلى القرن العاشر ومطلع الألف التاسع قبل الميلاد؛ وعلى هذا الأساس تكون المنحوتات من هذا العصر، ويستثنى من ذلك اللوحات الصغيرة التي كانت تزيين الواجهة الشمالية، والتي هي أقدم من عصر كبارة الذي أعاد استخدامها في قصره فهي من القرن العاشر قبل الميلاد. هذا من حيث الموضوع أما من حيث الأسلوب فنرى أن الفنان قد حافظ على الشكل التكعيبي للكتلة الحجرية حينما جعل جزء الثوب الذي يغطي الساقين من تحت الركبتين وكأنه سطح للمقعد الذي يجلس عليه الممثَّل، وحينما جعل الجذع يشكل مع الساقين زاوية قائمة وضمن هذا الإطار الهندسي للشكل العام اهتم الفنان قليلاً بإبراز بعض أعضاء الجسم من تحت الثوب وبوضعية الذراعين على الجسم التي

تعبر عن التأمل، وفي بروز الوجنتين أو الخدين والجعدة تحتهما التي تعبر عن ابتسامة رقية أو شرود في التأمل. كما أن معالجة الفنان للشعر ليست واحدة ففي حين تتدلى خصل شعر الرجل والمرأة فوق الظهر؛ تنسدل ضفيرتان على صدر المرأة بحيث تغطيان جزءاً من الوجه والجيد الطويل وتساعدان في إظهار الابتسامة على الوجه .



في الحقيقة ليست هذه التماثيل وحدها في "جوزن" فقد عثر على تمثالين أحدهما لامرأة جالسة والآخر لرجل جالس في مدفن قرب البوابة الجنوبية للحي الملكي، وعلى تمثال لرجل وامرأة جالسين بجانب بعضهما في حجرة عبادة قريبة من المدفن، وإن وجودهم في مثل هذا المكان له مغزى ديني؛ فقد كان من عادة الآراميين وضع صور في المدفن للأشخاص الكبار في القوم تمثلهم وهم جالسين إلى المائدة مثلاً وتفسير ذلك أن التمثال ينوب عن الجسد الفاني، وفيه وبواسطته يبقى الميت حياً، ولكن لماذا يوضع في القبر؟ نحن نظن أن مرد ذلك إلى أن القبر يزار في مناسبات معينة فيلتقي الخلف بالسلف عن طريق الصورة.


نماذج من النحت الآرامي
تل حلف


الكاهن والكاهنة - النحت الآرامي - تل حلف

في الختام نرجح أن تكون هذه التماثيل من إنتاج القرن التاسع قبل الميلاد أو على الأرجح من إنتاج النصف الأول منه، وكما قلنا قبل قليل فإن غرض فن النحت في جوزن خاصة وعند الآراميين عامة التزيين؛ وفي سبيل تحقيق هذا الغرض قلد النحات من سبقه من الفنانين ورسم أشكال غريبة عجيبة مركبة من أنواع من الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة (أسد مجنح برأس صقر) أو من الإنسان والحيوان (إنسان + سمكة)؛ ولكنه ابتدع أشكال جديدة مثل المنحوتتين اللتين كانتا تزينان بوابة العقارب التي تسهل الدخول إلى الحي الملكي؛ فالشكل هنا يتألف من رأس إنسان ملتحي يلبس تاجاً ذا قرون للدلالة على ربوبيته وركب الرأس فوق مقدم طائر جسمه جسم عقرب يعلوه جناحان، ولم تكن المنحوتتان متشابهتين تماماً بمعنى أن الواحدة نسخة عن الأخرى بل توجد اختلافات بسيطة

تميز الواحدة عن الأخرى وتدل على أنها من صنع فنانين؛ كما تنقص خصل الشعر فوق الجبهة والوجنتين والشفة السفلى في الكائن الغربي الذي تعلو فمه ابتسامة وتتدلى لحيته فوق صدره ككتلة واحدة، ويتفق الباحثون على أن بوابة العقارب و منحوتاتها من القرن التاسع قبل الميلاد.

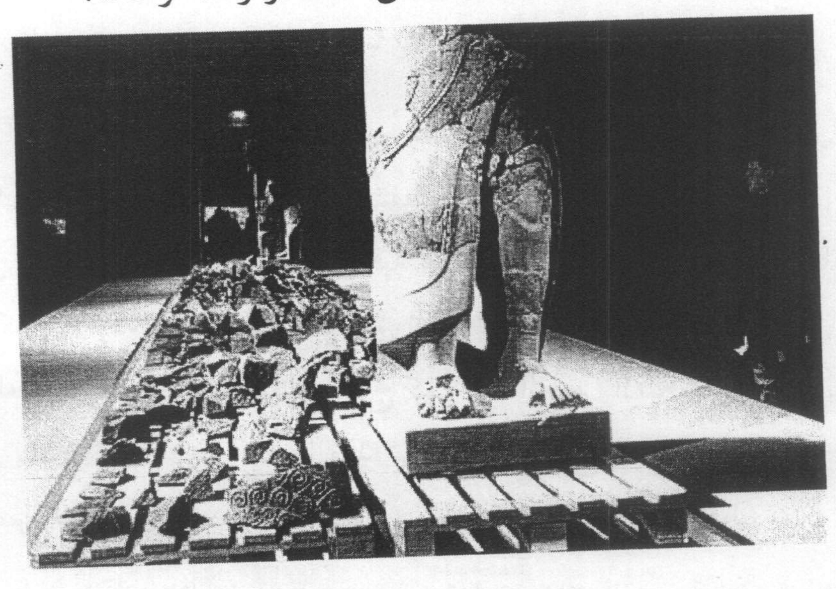

النحت المركب - من النماذج الآرامية - تل حلف

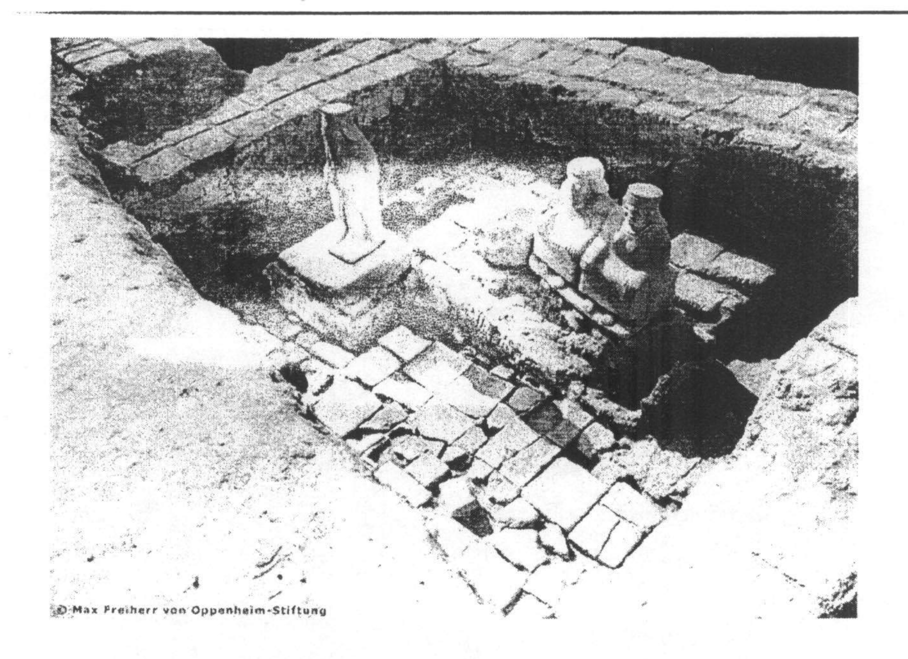
◄ آلهة «تل حلف» الآرامية في سوريا تنهض من الرماد ببرلين :

آثار تل حلف تعود بالذات إلى قصر الملك الآرامي كابارا بن قاديانو (كبارة ابن خادياني). ومن أهم المكتشفات العائدة لهذا العصر بالإضافة إلى المساكن والبيوت؛ القصر الذي كشف فيه عن نقوش ومنحوتات تعود إلى الملك الآرامي كابارا ، وقد شيد هذا القصر وفق المخطط المعروف بـ"بيت هيلاني" أي البيت العالي؛ له مدخل ضخم يليه درج كبير من الحجر المنحوت، وتم تزيين المدخل بمنحوتات حجرية ضخمة وقد تم تشكيل نموذج صناعي شبيه لمدخل هذا القصر (نسخة عن المنحوتات) وتم تزيين مدخل متحف حلب الحالي به.

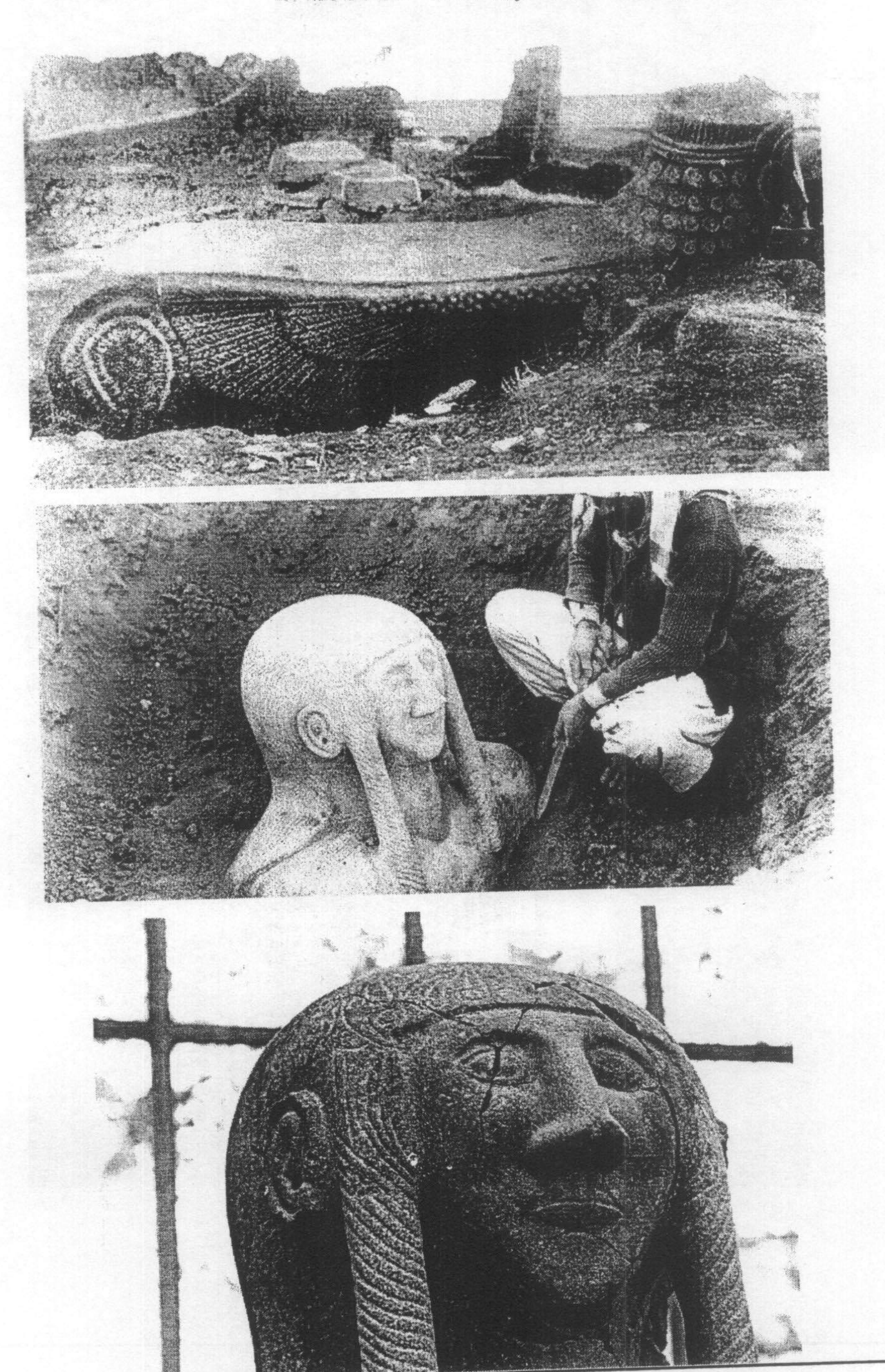
علماء الآثار الألمان نجحوا في إعادة لصق ٢٧ ألف «شظية» لتماثيل

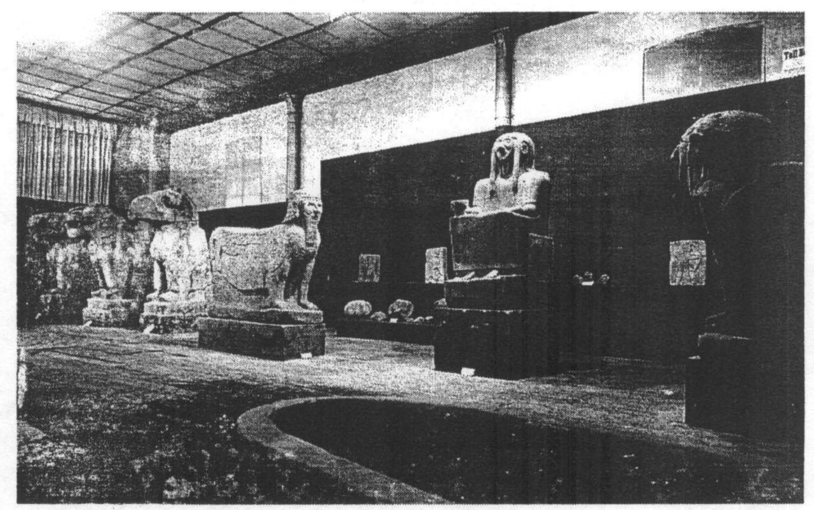
مهشمة، جمعت شظايا آثار تل حلف عام ١٩٤٣ في صناديق وتم خزنها في أقبية متحف البيرغامون، (ويعود الفضل في نقل الآثار السورية إلى برلين إلى الدبلوماسي الألماني "ماكس فون اوبنهايم" الذي بذل جهده وماله من أجل الحفريات في تل حلف). قضى فون اوبنهايم، بعد ذلك ٤ سنوات في حفر القصر الذي يعود إلى سلالة الملك الآرامي كابارا بن قاديانو . كان ماكس فون اوبنهايم قد تعلق كثيراً بتمثال لامرأة ذات جدائل بوضعية الجلوس وجد في إحدى الغرف واعتبره أهم التماثيل التي إكتشفها حتى أنه سماها "فينوس" على اسم الآلهة الإغريقية؛ حيث وجد تحت عمق متر من التمثال جرة كبيرة فيها بقايا جثة محروقة مع بعض الحلي من الذهب والفضة والعاج. ويتميز هذا التمثال بجمالية نادرة نسبة إلى تماثيل عصره وبتعابير مميزة. وُجِد أيضاً تمثال آخر يعتقد بأنه لملكة آرامية تنظر إلى الشرق في غرفة مجاورة. نرى وضعية السيدتين أنهما جالستين وتضعان اليد اليسرى على الفخذ بينما تلتقط بيدها اليمنى صحناً أو وعاءاً أو كأساً.

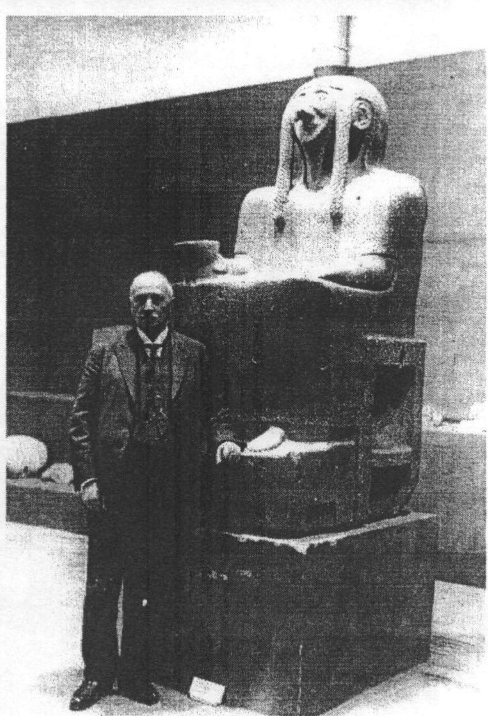



© Max Freiherr von Oppenheim-Stiftung

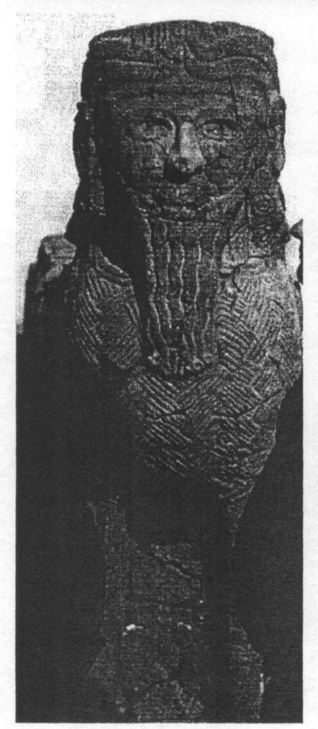


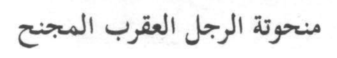

190 RAS-UL-AIN - Ruine Assyrienne de Tell-Halef



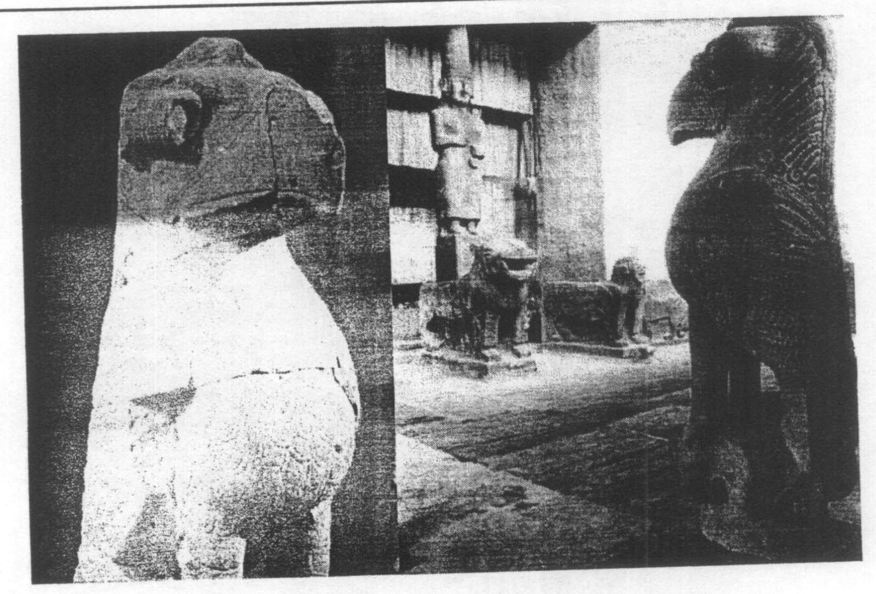


المنحوتة التي أحبها ماكس فون اوبنهايم
والتي وجدت في غرفة دفن



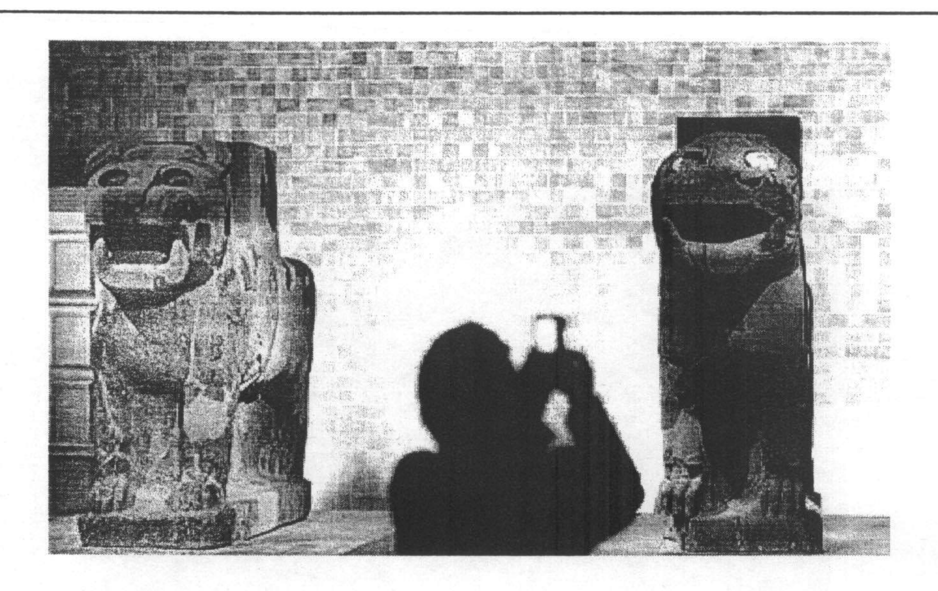


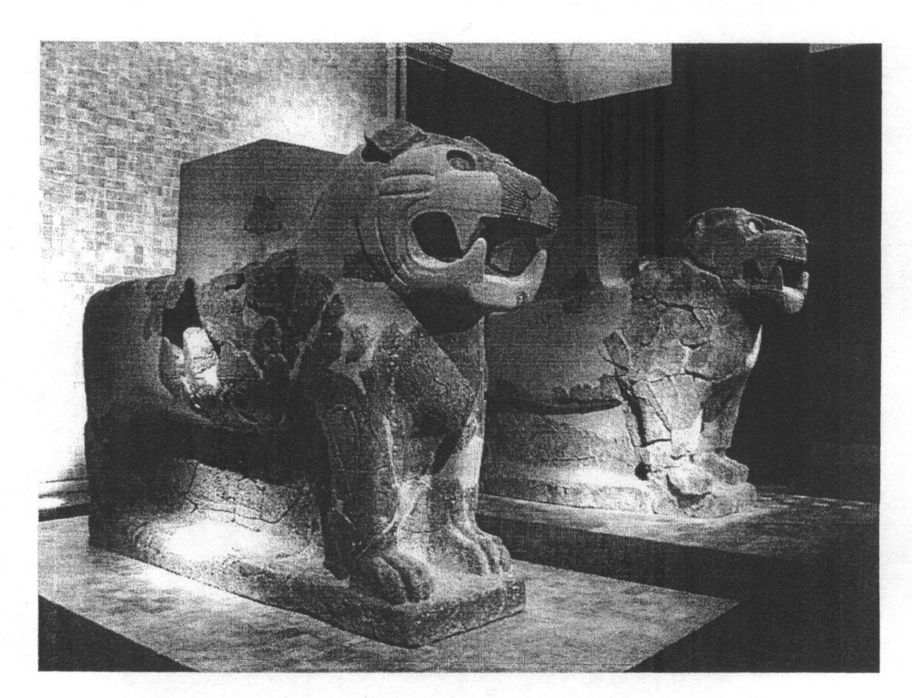
منحوتة الرجل العقرب المجنح



منحوتة لطائر جارح







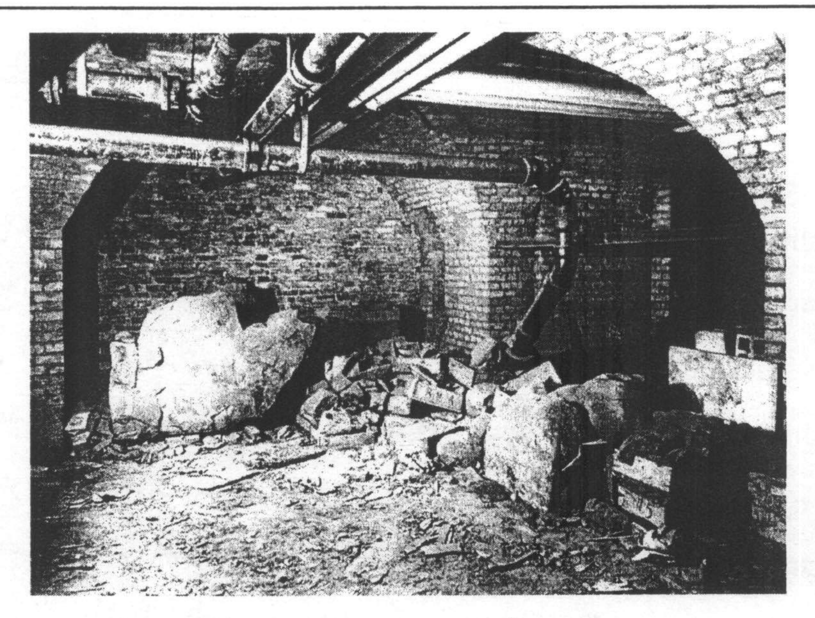
أسود بازلتية من مدخل قصر كابارا ٩٠٠ سنة قبل الميلاد



منحوتة لزوجين وجدت في إحدى غرف قصر كابارا في تل حلف

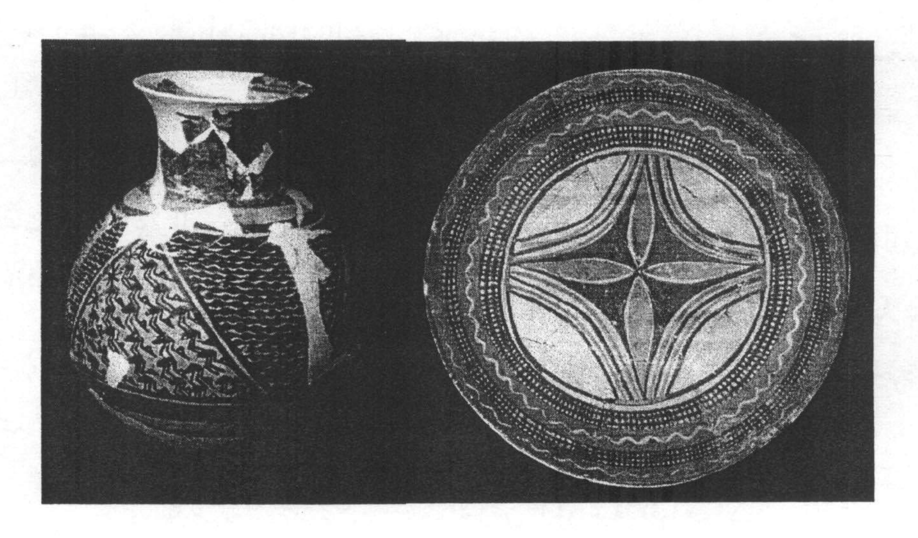


نقش بارز لكائنات تحمل قرص الشمس أو النسر الذي اتخذ شعاراً للسريان، تل حلف



هذه القطع الأثرية تم العثور عليها في تل حلف،

أحد مقرات الأمراء الآراميين في الألف الأولى قبل الميلاد.



فخار مزخرف من حلف

* مظاهر الحياة :

لقد احتكر الآراميون تجارة سوريا الداخلية، وكانت قوافلهم تجوب الشرق الأدنى بأكمله؛ تحمل الأرجوان من فينيقيا والأبنوس والعاج من أفريقيا واللؤلؤ من الخليج، كما تاجروا بالألبسة والنحاس واستخدموا النقود في تجارتهم، عثر في أطلال آشور ونينوى على أوزان نحاسية آرامية، كما أجادوا صناعة التحف العاجية وصياغة الحلي الذهبية والفضية والنحاسية، وصناعة الأسلحة والمركبات الحربية، وقد عثر في تل حلف على إناء برونزي منقوش. وكانت مملكة «بيت زماني» تعتمد في اقتصادها على استخراج النحاس المحلي من منطقة المناجم الواقعة على بعد ٦٠ كم إلى الشمال الغربي من ديار بكر، وورد ذكر القصدير في حولياتهم مع المعادن الأخرى، وخاصة الذهب والفضة.

اعتمد الآراميون في غذائهم على الحبوب والخضروات والفاكهة، فقد ذكرت النصوص أن أهم أنواع الحبوب كانت الشعير ثم القمح، حيث كان الشعير وسيلة الدفع في الحضارة الرافدية القديمة، قبل أنّ تصبح الفضة والذهب هي الوسيلة في وقت لاحق. وتذكر النصوص أن زراعة الكرمة والأشجار المثمرة ترافقت مع زراعة الحبوب. أمّا تلقيح النخيل فكان يتم يدوياً، وقد تمّ تصوير ذلك في الأشكال الفنية، إذ وجدت في «جوزن» منحوتة من القرن التاسع قبل الميلاد تمثل رجلاً يتسلق شجرة نخيل بواسطة السلم، من أجل القيام بتخصيب الشجرة الأنثى ثم يقوم بوضع الزهر الذكري بوساطة كوز مخروطي.

لقد كان الآراميون يتركون نصف الأرض الزراعية للراحة دون زراعة، من أجل المحافظة على خصوبة التربة وعدم إفقارها. وقد كان نظام الأراضي بوساطة

الأقنية موجوداً في أغلب الأحواض المائية، كما أسهم نظام السقاية في تعديل الأساليب التقليدية التي كانت متبعة في بلاد آشور وشمالي الرافدين.

كشفت الحوليات اقتصاداً مختلطاً من تربية المواشي والزراعة عن طريق الذكر المتكرّر لضرائب تتألف من الغنم والثيران والأغنام، وذكرت الحبوب والتين والجياد والبغال. حصل «هدد نيراري الثاني» على الأحصنة وتفحّص بنفسه الأملاك والحجارة الكريمة، والعربات، والنساء والأولاد، وكل الممتلكات الثمينة. ومن «جوزن» جاءت لوحة منحوتة فيها تمثيل لجمل يمتطيه رجل يجلس على سرج يشبه الصندوق. وأحدهم جلب من «بيت عديني» أنثى قرد كبيرة وأخرى صغيرة، وتلقى عدداً من البط ووجدت دمية طينية تمثل الفيل وراكبه، واصطادوا الفيلة من أرض حرّان وأرض الخابور.

اهتمّ الملوك الآراميون بتحصينات المدن وبناء القصور الضخمة والواجهات الكبيرة، وقد درجوا على عادة تزيينها من الخارج باللوحات المنقوشة، وأكثر المنحوتات تأثيراً؛ التماثيل الثلاثة التي تحمل السقف الخشبي للمدخل، إذ يقف كل منها على أسد وثور، بينما تقف المرأة على لبوة.

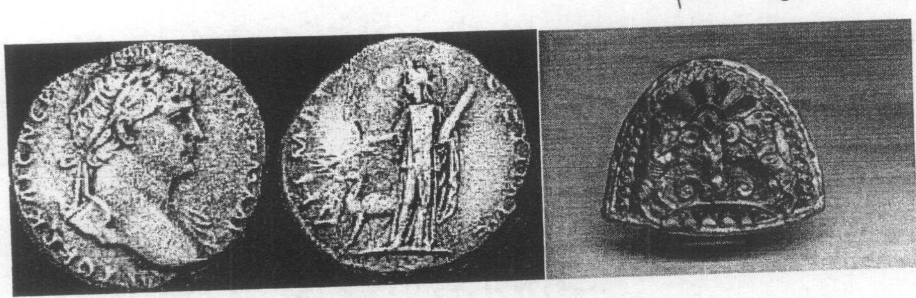
والمعبد بناء بسيط مستطيل الشكل، له مدخل محرابي، يليه قاعة أمامية، ثمّ المصلّى، وقد يكون فيه حوض الذبائح، وعادة تبنى المعابد في العمارة الدينية لدى الآراميين فوق مصطبة مرتفعة تكسى واجهتها بالأحجار البازلتية المنحوتة على شكل أسود وأبي الهول الآرامي أو تمثال الربة عشتار. وقام الآراميون بنحت المسلات ذات الموضوعات الدينية والحربية، يأتي على رأس الآلهة التي عبدت عند الآراميين الإله حدد، إله الزوابع والرعد والمطر، والإله سين، إله القمر، والإله شمس، إله الشمس. وعبد فريق من الآراميين الإله ركب.

كانوا يعتقدون أنّ الأرواح الشريرة تدخل إلى جسم الميت من فمه، لذلك اعتادوا على وضع صفيحة معدنية على فمه لتمنع دخول هذه الأرواح إلى جسده. كما اعتقدوا بتأثير الكواكب على الحظوظ البشرية.

* الصناعة والتجارة في العصر الآرامي :

* الصناعة :

برع الآراميون كالكنعانيين في الصناعات الصغيرة المختلفة مثل صناعة الملابس الصوفية والكتانية والقطنية الجميلة، والأثاث الخشبي والجلود، وأدوات الكتابة، وفي صناعة الحليّ من الفضة والذهب والحفر على المعادن والعاج، وقد عثر على نماذج من العاج في أسلان طاش (حداتو في شمالي سوريا)، هي موجودة اليوم في متحف اللوفر. واشتهرت بعض المدن السورية القديمة منذ عصر أوغاريت وإبلا وحماة وكركميش بالحفر على عاج الفيل الذي كانت قطعانه تعيش في سوريا الشمالية في غاب العاصي حتى أواخر الألف الأول قبل الميلاد، وقد صنع منه الحرفيون المهرة الأختام التي نقش عليها صور من الحياة اليومية والدينية والتماثيل والعلب والأمشاط واللوحات التزيينية واستخدموه لتطعيم الخشب كالموزاييك وغيرها الكثير من الصناعات التي برع فيها الإنسان في فترة الحضارة الآرامية في سوريا والمشرق القديم.



الأختام الآرامية

* التجارة :

للتجارة في سوريا القديمة ماض عريق يرقى إلى إبلا وأوغاريت وماري وغيرهم من الممالك السورية القديمة. ولكن التجارة بلغت ذروة مجدها في العصر الآرامي. وكان التجار الآراميون يبعثون قوافلهم إلى جميع بلاد المشرق القديم لتصل إلى منابع دجلة والفرات شمالاً وإلى مصر والحجاز جنوباً. واكتشف في العاصمة الآشورية نينوى بعض الأوزان البرونزية التي خلّفوها. واحتكر الآراميون التجارة الداخلية في البلاد، كما سيطر الكنعانيون على التجارة البحرية في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. ومن دمشق حاضرة البلاد السورية كانت تنطلق قوافل كبيرة باتجاهات مختلفة. وعمل ملوك بلاد آرام ولاسيما حزائيل على فتح طرق التجارة مع مدن فلسطين ومصر وشبه الجزيرة العربية. واحتل التجار الآراميون مكانة مهمة في البنية الاقتصادية للإمبراطورية الفارسية الأخمينية فيما بين القرنين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد؛ فحملوا الأرجوان من مدن الساحل السوري الفينيقي وتاجروا بالأقمشة المطرزة والكتان والحجر الكريم واليشب، وجلبوا النحاس من قبرص، وخشب الأبنوس من أفريقيا واللؤلؤ من الخليج العربي، ونقلوا العطور والعقاقير والزيوت والتمور والثمار المجففة، واتصلوا في رحلاتهم ببلاد بعيدة استوردوا منها التوابل والبخور. وكان يرافق التجار في رحلاتهم المسافرون والمغامرون وقد تميز التجار الآراميون بشكل كبير عن غيرهم. وهكذا تحركت في عالم الشرق العربي أسر وتنقلت من سوريا جاليات حاملة معها حضارتها ومعتقداتها وثقافاتها وعاداتها ولغاتها وهو ما أدى إلى تفاعل بين أقطار المشرق العربي القديم وثقافاته وانتشار الثقافة والفن والتجارة الآرامية في مناطق قريبة وبعيدة، وهذا يوضح مدى ما كان علية الآراميون من حضارة وتقدم استمر مع تعاقب الحضارات.

المراجع

١. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج٢.

٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان .جُند دمشق .تاريخ الولوج ١٠ كانون الأول ٢٠١٣.

٣.العش والجندي وزهدي، المتحف الوطني بدمشق ، (دليل مختصر ١٩٦٩).

٤.فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ترجمة: أنيس فريحة ، (دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩).

٥. دروزة، محمد عزة. ١٩٩٣. مذكرات محمد عزة دروزة. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٦. خلفية عن سوريا (بالإنجليزية)، وزارة الخارجية الإمريكية، ٢٦ كانون الثاني ٢٠١١.

٧. توزع السكان في المدن الكبرى والمدن التي يزيد عدد سكانها على مائة ألف - ٢٠٠٨ (بالإنجليزية)، موقع إحصاءات الأمم المتحدة، ٢٦ كانون الثاني ٢٠١٠.

٨. دكتور أنيس أبي فرح، من أجل تنمية بشرية في لبنان

٩.أسعد صوما، موقع أخبار السريان، ٢٦ كانون الثاني ٢٠١١.

١٠. الأرمن في البلاد العربية، موقع أزاد، ٢٦ كانون الثاني ٢٠١١.

١١. المركز الوحيد في العالم لتعليم اللغة الآرامية في معلولا، موقع الجمل بما حمل، ٢٦ كانون الثاني ٢٠١١.

١٢. "الاقليات الدينية" *Religious Minorities* . مكتبة الكونغرس

13. لغات الأردن *Languages of Jordan* ethnologue.com.

14. Lowi ،Miriam R.، *Water and power: the politics of a scarce resource in the Jordan River basin* ، Cambridge University Press ،1995 .

15. Harris, William W. The Levant: a Fractured Mosaic

الفهـــرس